أنور الجندي

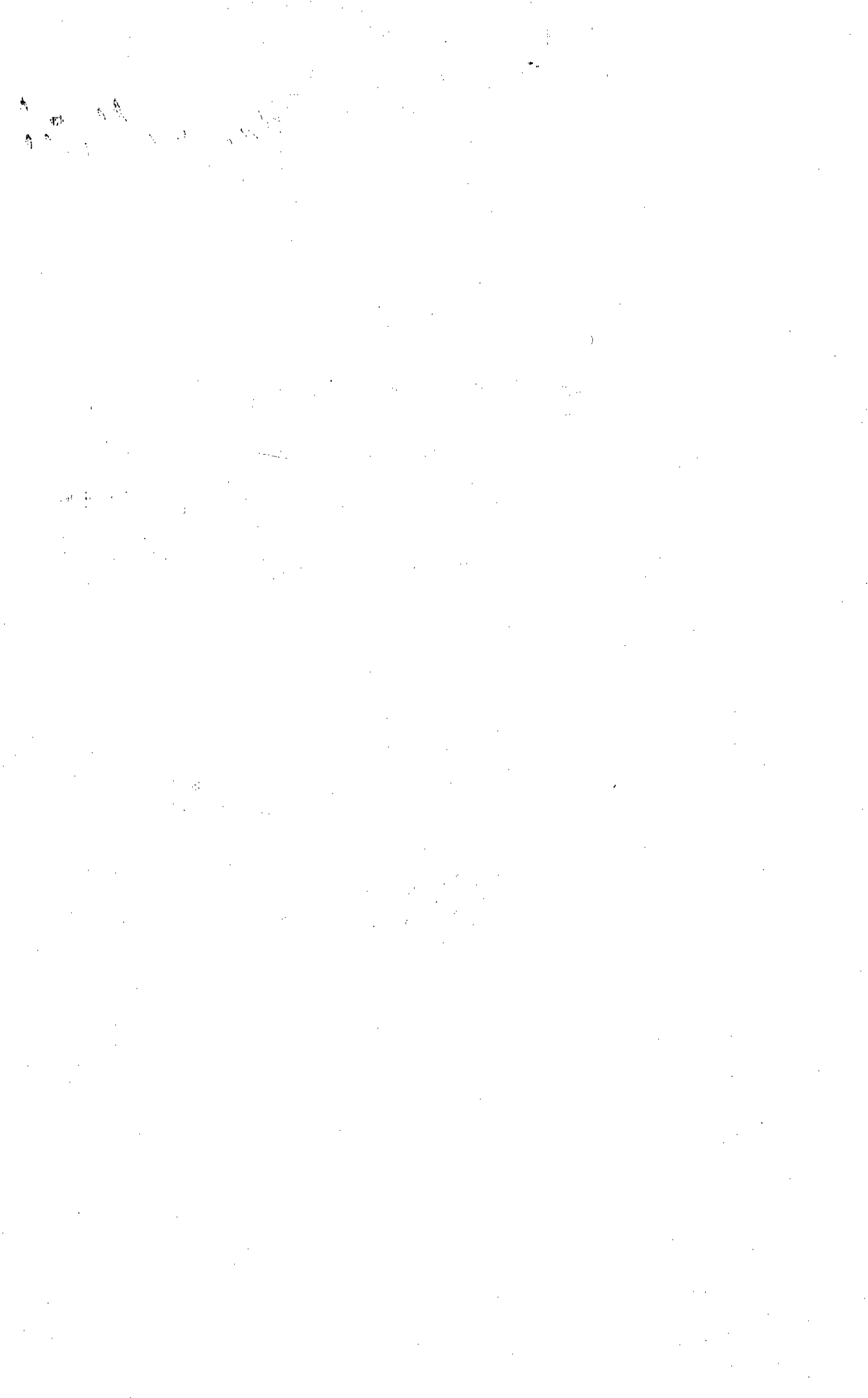


١

المنار - محمد رشيد رضا

١٣١٥ هـ - ١٨٩٨ م
١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م

توزيع
دار الانصار
٨١ شارع البستان ناصية شارع الجمهورية
عابدين ت ٩٣١٠٨١



موســـــــوعة

تاريخ الصحافة الإسـلامية

(خلال القرن الرابع عشر الهجرى)

(١٣٠١ ـــ ١٨٨٤) الى (١٤٠٠ ـــ ١٩٨٠)

١ ـــ مجلة المنار ـــ رشيد رضا

٢ ـــ مجلة الفتح ـــ محب الدين الخطيب

٣ ـــ صحف الاخوان ـــ حســـن البنـــا

٤ ـــ مجلة الأزهر ـــ (فريد وجدى ـــ محب الدين الخطيب ـــ الزيات)

٥ ـــ الصحف الاسلامية (بعد الحرب الثانية الى نهاية القرن الرابع عشر)
(١٩٤٠ ـــ ١٩٨٠)

تصدر تباعا باذن الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى تاريخ الصحافة الاسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن دعا بدعوته الى يوم الدين . تباركت ربنا وتعاليت وحمدا على فضلك وعطائك ان هديتنا الى هذا العمل النافع : تاريخ الصحافة الاسلامية منذ نشأتها الى اليوم ونسألك الهداية والتوفيق الى تمام الأمر وحسن العرض وكمال الأداء .

المرحلة الأولى : حتى نهاية الحرب العالمية الأولى :

وبعد فالصحافة الاسلامية هي قطاع من الصحافة العربية التى عرفها العالم الاسلامى فى العصر الحديث ، توصف بالاسلامية لتمييزها بدراسة شئون المسلمين وقضاياهم ، وقد صدرت الصحف فى تركيا ومصر ولبنان فى هذه الفترة الباكرة (يومية واسبوعية وشهرية) وأبرز الصحف التى عرفت بالاهتمامات الاسلامية هى (ثمرات الفنون) التى عاشت فترة طويلة فى لبنان (١٨٨٥ ـ ١٩٠٨) عبد القادر قبانى (وهى تحتاج الى دراسة مستفيضة) .

اما فى مصر فان ابرز الصحف اليومية التى عنيت بقضايا العالم الاسلامى فهى المؤيد (على يوسف) التى صدرت ١٨٨٩/١٢/١ ثم اللواء (مصطفى كامل) وصدرت ١٩٠٠/١/٢ وفى هذه الفترة صدرت مجلتان شهريتان اسلاميتان هما :

المنار (محمد رشيد رضا) ١٨٩٨

الحياة (محمد فريد وجدى) ١٨٩٩ .

ولم تلبث (الحياة) أن توقفت بينما استمرت (المنار) حتى توفى صاحبها ١٩٣٥ .

اما أبرز المجلات الشهرية الاسلامية فهى (العروة الوثقى) التى أصدرها الأفغانى ومحمد عبده فى باريس ١٨٨٤ (ولم يصدر منها الا ١٦ عددا ثم توقفت) .

ويرى السيد رشيد رضا ان (المؤيد) هى الصحيفة الاسلامية اليومية الأولى ويرتبط بها فى كثير من المواقف والأحوال والواقع ان جريدة اللواء (مصطفى كامل) كانت تعنى بقضايا العالم الاسلامى وتعالج القضية الوطنية من مدخل اسلامى أساسى .

وقد أصدر مصطفى كامل (الحزب الوطنى) فيما بعد مجلة العالم الاسلامى (١٩٠٥ ـ ١٩٠٧) .

ثم أصدر الشيخ عبد العزيز جاويش مجلة (الهداية) .

ولما أن هاجر الى تركيا أصدر مجلة العالم الاسلامى (١٩١٦ ـ ١٩١٧).

وفى هذه المرحلة التى تنتهى بالحرب العالمية الأولى نجد عددا من المجلات العربية والاسلامية خاصة تلك المجلات التى صدرت عن الجمعيات الاسلامية :

مجلة جمعية الملاجىء ١٩٠٦ خليل حمدى حمادة .

مجلة مكارم الأخلاق الاسلامية ١٩٠٠ (١٣١٧ هـ)

وكانت قد صدرت (مجلة مكارم الأخلاق) ١٨٨٧ (أحمد الشريف)

كما صدرت مجلة الأزهر (حسن رفقى وابراهيم مصطفى) ١٨٨٩ (وهى المجلة التى استأجرها وليم ولكوكس فيما بعد لنشر دعوته الى العامية) .

مجلة الملاجىء العباسية ١٩٠٦ .

وهناك صحف صدرت فى هذه الفترة لها طابع اسلامى ولكنها ليست اسلامية خالصة :

مرآة الشرق ١٨٨٢

مصباح الشرق ١٨٩٨

الموسوعات ١٨٩٨

مجلة المجلات العربية ١٩٠٨

ويربط السيد رشيد رضا مجلته بالعروة الوثقى ويرى أنه امتداد لها

للبريطانى بينما يتجنب الشيخ رشيد رضا معارضة النفوذ البريطاني الذى كان جاثما على البلاد . وبين صـدور العروة الوثقى (١٣٠١ — ١٨٨٤) وصدور المنار ١٣١٥ (١٨٩٨) أربعة عشر عاما لم تصدر فيهـا مجلات اسلامية سوى مجلة (الاسلام) ١٨٩٤ (١٩١٢) أحمد على الشـــاذلى الأزهرى وهى مجلة ذات طابع خطابى ونمطى (والأستاذ الشـــاذلى هو الذى سافر من بعد الى اليابان وأدخل الاسلام الى ربوعه) .

والواقع ان مجلة المنار هى التى أدخلت أسـلوب المعالجة الحديث وقضايا المسلمين الى الصحافة الاسلامية .

مجلة الاسلام (أقدم مجلة اسلامية تحمل اسم الاسلام)

بدأت ١٨٩٤ وتوقفت ١٩١٤ ولم يسبقها الا مجلة الأزهر (حسن رفقى وابراهيم مصطفى)

يقول أحمد على الشـــاذلى — الأزهر — فى التعريف بالصـــحافة الاســـلامية :

ان الجرائد لها من فضل ما يضيق عن حصر نطاقه بيان كاتب وقلم شاعر اذ هى مصباح النهى ، ورائد الأمة ، ومرآة ذوى الأمور ، بهـا يعرضـون ما انطوى عليه العالم شرقا وغربا ويهتدون الى حجة الصواب بلا معاناة سـفر أو معاناة حركة فكم حملت مخترعات ووضعت أساسا وربت بنين وبنات وهذبت رجالا وشيوخا وهى السبب الأكبر الذى نهض بالغربيين الى هذا الحـد الذى نراه حين اعتاضـوا بحرب الأقلام عن حرب المـدافع ، واســـتغنوا بالطروس عن الديناميت وبالحبر عن التوربين ، لم يزل بين اظهرنا معشر الشرقيين المسلمين من يلتفت لهـذا الأمر الجليل (الصحف الاسلامية) بلادهم ملأى بالجرائد الدينية التى تهتز لدعاة الملة وغـيرهم سبيل الدعوة منشأ الطفل وقد عرف اباه وأمه والمعبود الذى يدين بالتقرب اليـه .

وان الشرق مفعم برجال الدين الثقاة وفرسان الكتابة المجيدين الذين عرفوا الأمر معرفة خير وسبروا ...

فى مدارس الأجانب وينشؤون على غير معرفة بدينهم وقلوبهم خالية من حب الاسلام فاذا صادفتهم شبهة أو سمعوا نعرة من آخر طاروا اليها فرحا . وهــذا ما أثار فى قلبى حمية العمــل والاجتهاد فى بث تلك المبــادىء فى قلوب الشباب والعامة من الناس الذين لا يعرفون العلم الا بالآذان ولا يرون الا يفرون بفرهم ويذلون بذلهم وسميتها الاســلام تسمية لهــا بأشرف مبحث تحرير جريدة عربية العبارة اسلامية المشرب مصرية الهداية تكفل لاخواننا المسلمين بيان أمور دينهم وتدلهم على طرق النصــح لهم ولاخوانهم الذين يفرون بفرهم ويذلون بذلهم وسميتها الاســلام تسمة لهــا بأشرف مبحث ينشر فيها » .

وقد حفلت المجلة بأبواب مختلفة منها :

ادبيات — أمثال وحكم ، آداب الاسلام ، العقائد التوحيدية ، قواعد الاســلام ، كتاب صحيح البخارى ، صلاة الجماعة ، اجتناب المعاصى ، الخمر ومضارها ، الحشيش ومضاره .. الخ الخ .

هذه هى طلائع الصحافة الاسلامية التى أعطاها أصالتها فريد وجدى ورشــيد رضــا .

مجلة الحياة (١٣١٧ — ١٨٩٩)

يقول الأستاذ فريد وجدى : أن مقصــد (الحيــاة) المجلة — هو الحيلولة بين مكاريث الالحاد وأذهان أبناء المشرق ولذلك فهى ســتجعل مطمح نظرها جملة نقط مهمة :

أولاها : اقامة أقوى الأدلة العلمية على أن الديانة الاســلامية هى روح العمران وقوام سعادة الانسان بطرق لا تجعل للشــكوك مجالا فى الأذهان وستسلك لهذا العرض المسالك العصرية فى تأييد أقاويلها بالحجج الفلسفية الحسية .

ثانيا : تثبيت الأحوال الدينية فى العقول الطموحة . كاثبات وجود الله تعالى والروح والآخرة بالأدلة الدامغة . وســتعتمد فى ذلك على تحقيقات العلماء العصريين جريا مع سنة الزمان اعتقادا منا بأن نشــأتنا الحديثة أحوج الى الخدمة منها الى سواها وايقانا من لدنا بأن نقش أصول العقائد

فى أذهاننا بالطرق العصرية أنفع لها وللبلاد من تعليمهم الطبيعة والكيمياء وليس بعد المشاهدة حجة لمرتاب .

وليس قصدنا الا خدمة الأقطار العمومية من هذه الوجهة الرئيسية :

التمدن والتدين — تغذية الجنان ببدائع الاكوان — اثبات وجود الله تعالى — ما وراء المادة .

واننا وان كنا لا نود فائدة مادية ، من هــذه المجلة ، الا أننا لا نود أيضا أن نخسر فيها كثيرا واننا لم نتشجع على تحمل هذه الخسائر المادية الا لمــا نعلمه من شغف الخاصة والعامة بمطالعة ما نكتبه (وأشار الكاتب الى آثاره السابقة على انشـــاء المجلة وخاصة كتاب الحديقة الفكرية فى اثبات وجود الحضرة الالهية بالأدلة الطبيعية) .

يقول : وقد اسسنا هذه المجلة ومطمح نظرنا غرضان مهمان :

وهما تثبت أصول الدين الاســـلامى الحنيف فى عقول ابنائه بنتائج العلم العصرى واقامة الأدلة العلمية والفلسفية على أن هذا الدين الكريم هو منتهى ما يصل اليه الانســـان من حقيقة الدين وغاية ما تدفعه اليه استعداداته الفطرية المنزوية فى طى مواهبه الطبيعية .

وقد اعتضدنا فى سائر أبحاثنا ببراهين الفلسفة الغربية ، واستخدمنا نتائج أفكار قادتها وثمرات كدهم وكدحهم فى تأييد أصولنا الاسلامية ، مراعاة لمطلوب العصر الحاضر ومجاراة للأميال العامة رأينا أن اندفاق مدنيــة الغرب على الشرق ستجر معها ما يلابسها من سموم قاتلة ومكاريت هائلة فوجدنا أن أجل خدمة تؤدى للاسلام هى وقوف بعض بنيه على مآرب ذلك التيار المندفع بمصفاة من العــلم لتحجز ما تحمله من قذر وتترك الســبيل لسلسبيله الصافى ليرده من بعد الورود بلا خوف ولا تحرج . وقد تبين العالم أجمع أن ترك ذلك التيــار على ما هو عليه من كدر ودجل قد جر بعضا منا الى ما لا يحمد من الخروج عن دائرة الحكمة حتى قال قائلنا اذا كانت هذه نتائج المدنية فاللهم حوالينا ولا علينا)) .

وقد مضى فريد وجدى فى منهجه هذا الذى اطلق عليه :

((الشبهات العصرية على الأديان ونفيها عن الاسلام))

وهو مدخل حقيقى لما أطلق عليه من بعد علم مقارنات الأديان . وهذا المنهج الذى سار عليه فريد وجدى حياته كلها يختلف اختلافا واضحا عميقا عن منهج رشيد رضا وان كان هذا المنهج قد بدأ فى طريقة الشيخ محمد عبده ، فان فريد وجدى يعتبر نفسه تلميذا لهذه المدرسة السلفية ولكنه يتفرد بالجنوح الى دراسات الفلسفة والعلم الحديث واجراء مقارنات بينها وبين الاسلام ، وقد مضى فريد وجدى فى مجلة الحياة فترة لم تطل فقد توقفت المجلة ولكنه ولى عام ١٩٢٥ رئاسة تحرير مجلة الأزهر وساد فيها هذا الأسلوب الى نهاية حياته ١٩٥٢ تقريبا . وقد وقع فى شأن هذا المنهج خلاف واسع وعميق بينه من ناحية وبين رشيد رضا ومحب الدين الخطيب من ناحية أخرى كما يظهر فى مساجلات مجلة الفتح (الحلقة الثانية : مجلة الفتح) .

أما منهج المنار فهو يختلف اختلافا واضحا عن هذا الأسلوب الذى اتخذه فريد وجدى ، اذ أنه يعتمد على أسلوب أهل السنة والجماعة وهو أصح المذاهب وهو التطور الطبيعى للأسلوب الذى بدأه جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده (وكانا يسميان المعتزلة الجدد) وصولا الى منهج أهل السنة ومفهوم القرآن الأصيل على النحو الذى سار عليه رشيد رضا واتسع بعد وعمق فى كتابات الأستاذ حسن البنا (الحلقة الثالثة : صحف الاخوان).

وفى هذه المرحلة نجد أن هناك عددا من المجلات الاسلامية فى البلاد العربية والاسلامية :

المنصف — تونس — محمد الشريف التيجانى — ١٩٠٧

القبلة — مكة المكرمة — محب الدين الخطيب — ١٩١٦ .

ولا ننسى فى هذا المجال ان نذكر أن مجلة الأستاذ لصاحبها (عبد الله نديم) صدرت فى عام ١٨٩٢ ولكنها لم تلبث أن توقفت وهى ليست مجلة اسلامية بقدر ما هى مجلة وطنية اجتماعية .

أما مجلة الهداية التى أنشأها الشيخ عبد العزيز جاويش (١٩١٠ — ١٣٢٨) فقد عنيت بتفسير القرآن (أسرار القرآن ، النسخ فى القرآن ، نزول القرآن) .

وقد أولت اهتماما كبيرا لأحوال المســـلمين فى العالم فتحدثت عن مسلمى بلغاريا وروسيا والبوسنة والهرسك وانتشار الاســـلام فى أفريقيا وبين روسيا وفارس والاسلام فى الهند وعن وفد مسلمى الصين الى السلطان ، كما أولت اهتماما للغة العربية وانشاء نادى دار العلوم للغة العربية واهتمت باحياء التراث الاسلامى ، والكلام عن الشريعة الاسلامية ، وموقف العرب من مذهب داروين وهذه عبارتها :

(تزود عن الدين الحنيف وتزيل الشكوك التى يروجها المشـــككون وتدحض مزاعم الطاعنين من القساوسة والراهبين وتدعو الى التمســك بتعاليم دينهم وبالأخلاق الكريمة :

يقول الأستاذ عبد العزيز جاويش : كان حقا على كل مســـلم نور قلبه الايمان أن يهيب بالمسلمين داعيا اياهم الى السبيل القويم ناصحا لهم أن يعضوا على دينهم بالنواجز مستمسكين منه بالعروة التى لا تنفصـــم ، مستعصمين منه بالحبوة التى تؤمن كل معتصم مفندا ما يأتى به الطاعنون فيه من الشبه التى تقوى ضعاف اليقين فقد طمى سيلها وسكت عن تفنيدها الذين من أخص خصائصهم أن يفندوها ويدحضوها حتى كثر ســـــواد الطاعنين من القساوسة والرهبـــان ولم يعذر الســـفيه الا أن يؤتى دواه وقلما ، رأينا وسمعنا ذلك فعن لنـــا أن ننشىء مجلة تفرغ بعضـــها لاذاعة (أسرار القرآن) الذى هو دستور السعادتين .. ولرد تلك الشبه وادحاض ما يكيلونه جزافا من الأكاذيب وبيان أن الاسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ونفرغ من بعاضها قسما لانعاش لغة العرب من عثارها مما نأتى به من التحقيقات اللغوية والاشارات الأدبيـــة فقـــد أصبحت الألسنة ترتضح عجمه لبست الأصيل والدخيل ونودع ما بقى من فراغ المجلة ابحاثا أخرى)) .

وقد مضى الشيخ عبد العزيز جاويش وهو تلميذ الشيخ محمد عبده أيضا الى اصدار مجلته ولكنه توقف بعـــد قليل — وان كانت له مثل فريد وجـــدى مؤلفات مشهورة — أما الذى صـــمد فى الحقيقة من تلاميذ الامام الثلاثة فهو رشـــيد رضا .

المرحلة الثانية : من الحرب العالمية الأولى الى الحرب العالمية الثانية (١٩١٩ — ١٩٣٩)

وهذه هي أدق مراحل العمل الصحفي الاسلامي فقد صدرت فيها مجلات اسلامية كثيرة أبرزها :

١ — مجلة الفتح : محب الدين الخطيب ١٩٢٦

٢ — مجلة الأزهر : ١٩٣٠ صدرت تحت اسم نور الاسلام ثم عدلت

٣ — صحف الاخوان المسلمين : [١٩٣٣ أسبوعية (الاخوان) النذير ١٩٣٨ المنلود ١٩٣٨]

٤ — الشبان المسلمون ١٩٢٩ (جماعة الشبان)

٥ — مجلة الشهاب (عبد الحميد بن باديس) قسنطينة ١٩٣١ .

٦ — التمدن الاسلامي : دمشق ١٩٣٥/١٩٥٤ — أحمد مظهر العظمه (وما تزال مستمرة الى اليوم) وهي من أنبل المجلات التي يجب دراستها

٧ — الاعتصام (أحمد عيسى عاشور) ١٩٣٩

٨ — الهداية الاسلامية (محمد الخضر حسين) ١٩٢٨ .

٩ — الهدى النبوى — ١٩٣٧ — محمد حامد الفقى

وفى أنحاء العالم الاسلامي صدر عدد من المجلات الاسلامية منها :

الهدى — ماليزيا — عبد الواحد الجيلاني العلوى ١٩٣١

مرآة المحمدية — جاكارتا — محمد على قدس ١٩٢٧

المرشد — بغداد — محمد الحسنى / صالح الشهرستانى ١٩٢٥

الاصلاح (مكة المكرمة) محمد حامد الفقى ١٩٣٠

الاعتصام (حلب) عبد الله المعتز ، عون الله الاصلاحى ١٩٢٩ .

أم القرى (يوسف ياسين) ١٩٢٥

شمس الاسلام (تونس) محمد الصالح بن مراد — ١٩٣٧

القضايا التى عالجتها الصحافة الاسلامية :

وقد تناولت هذه المجلات مختلف القضايا الاسلامية المثارة فى هذه المرحلة :

قضية الدعوة الاسلامية : صحف الاخوان

قضية الخلافة (المنار)

قضية التغريب : طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق (المنار والفتح)

قضية الفلسفة : الأزهر (فريد وجدى)

قضية العقائد : مصطفى صبرى — فريد وجـــدى — محب الدين الخطيب (الفتح)

قضية فلسطين : صحف الاخوان والفتح .

قضايا التحرر السياسى الاسلامى ، قضايا المغرب الباكســتان ، فلســطين (الفتح وصحف الاخوان)

قضايا الاقتصاد الوطنى : (صحف الاخوان)

قضايا الشريعة الاسلامية : (صحف الاخوان والفتح)

قضايا بناء المجتمع الاسلامى بالتربية (صحف الاخوان) .

كما تناولت الصحف الاسلامية فى هذه الفترة قضــايا النفوذ الأجنبى وقضايا الدعوة الاسلامية ، واللغة العربية والتاريخ وتركت تراثا ضخما واسعا فى حاجة الى عرض وتقييم واسعين نرجو أن نتمكن من القيام بجانب منه فى دراستنا للصحف الاسلامية .

[المنار — الفتح — صحف الاخوان — الأزهر]

تتميز هذه المرحلة بالجرأة فى معالجة قضايا التبشير والاســتشراق والتعريب وبروز عدد كبير من اعلام الفكر الاسلامى

٣ — المرحلة الثالثة : من الحرب العالمية الثالثة الى اليوم :

فى هذه المرحلة صدرت صحف اسلامية عديدة أبرزها :

الدعوة — مصر — صالح عشماوى — ١٩٥١ (ثم توقفت ١٩٥٦) وعادت الى الصدور ١٩٧٤

المجتمع — الكويت — جمعية الاصلاح ١٩٧١

جوهر الاســلام (تونس) .

دعوة الحق (المغرب) .

الأصالة (الجزائر) .

اللواء الاسلامى : أحمــد حمزة .

البصائر ــ الجزائر ــ محمد البشير الابراهيمى ١٩٤٧

الشهاب ــ مصر ــ حسن البنا ١٩٤٧

جريدة الاخوان المسلمين (اليومية) ١٩٤٦

المسلمون : سعيد رمضان ١٩٥١

الوعى الاسلامى : الكويت

الرابطة الاسلامية : محمد شاهين حمزة ١٩٤٤

منار الاسلام : ابو ظبى

منبر الاسلام : (وزارة الأوقاف) ١٩٤٨

البريد الاسلامى : محمد توفيق احمد ١٩٤٣

الأمة : قطر

حضارة الاسلام : سوريا (مصطفى السباعى) .

صوت الاسلام : محمد عطية خميس ١٩٥٤

رابطة العالم الاسلامى : محمد سعيد العامودى (رابطة العــــالم الاســـلامى) مكة

وواصلت الشبان المسلمين ، الاعتصام ، الأزهر ، الفتح صدورها .

البلاغ : الكويت (عبد الرحمن الولايتى) ...

الدعوة : المملكة السعودية ..

المسلم : محمد زكى ابراهيم ١٩٥١

هذه عجالة لاستعراض رءوس موضوعات وأسماء الصحف ، نقدمها بين يدى الدراسة الأولى عن (العروة الوثقى والمنار) على أن نعد فى نهاية المطاف بحثا مستفيضا مفصلا عن نتائج دراسة الصحافة الاسلامية وتحليل لواقعها وآثارها على أن تبدأ من اليوم فنضع هذه الخطوط العامة :

أولا : هناك صحافة دعوة وصحافة فكر :

أما صـــحافة الدعوة فهى التي تتحدث عن التربية والتكوين الخلقي

والاجتماعى للشباب المسلم ولا تقدم له الا الابحاث الناضجة البعيدة عن الخلافات والتيارات الفلسفية ، رغبة فى اعداده اعدادا سليما ٠

اما صحافة الفكر فهى التى تعنى بالدراسات الفلسفية والمنطقية وغيرها على النحو الذى نراه واضحا فى المرحلة الاولى من مجلة الازهر خلال تولى فريد وجدى رئاسة تحريرها (١٩٣٥ — ١٩٥٦) حتى وفاته ٠

اما مجلة الفتح وصحف الاخوان ومجلة الدعوة فهى صحافة دعوة ٠ وهناك صحف جمعت بين الدعوة والفكر ٠

ثانيا : هناك صحف لمعت فى المراحل التالية لها واخذت وضعا اشد قوة وحيوية مما كانت فى اول امرها ، كما ان هناك صحف توقفت تحت ضغط الظروف السياسية او وفاة منشئها ٠

ثالثا : هناك صحافة شعبية وصحافة حكومية :

الصحافة الاولى التى يقوم بها افراد او جمعيات اسلامية وهى اكثر حرية واكثر تعمقا فى معالجة المشاكل والقضايا وابراز وجهة نظر الاسلام اكثر من الصحافة الاسلامية الحكومية التى ترتبط بمواقف الحكومات من هذه القضايا او بمواقف بعض الاقطار بالاقطار الاخرى ٠

رابعا : ولم تتوقف الكتابات الاسلامية على كتاب الاسلام العرب ولكن ظهرت اسماء كثيرة من الكتاب الاسلاميين من الهند وباكستان واندونيسيا وماليزيا وايران وتركيا ٠

خامسا : غطت الصحافة الاسلامية جميع القضايا الاسلامية المثارة فى العصر والبيئة معا ووصلت بعض الصحف الاسلامية الحرة الى القدرة على الكشف عن وجوه النقص والقصور فى تلك القضايا ٠

سادسا : ابرز القضايا التى عولجت هى قضية فلسطين ثم قضية فلسطين والقدس وقضايا الربا والتعليم الغربى ومختلف قضايا المجتمع الاسلامى والاقتصاد والسياسة والتربية وقد قدمت فيها دراسات خصبة وأوراق عمل نافعة ٠

صدرت فى السنوات الاخيرة مجلات اسلامية اخرى خاصة فى القاهرة : اللواء الاسلامى والنور والتصوف الاسلامى ٠

سابعا : غطت الصحافة الاسلامية جميع المؤتمرات الاسلامية التى عقدت لدراســـــة مختلف القضايا وخاصة قضايا التضامن الاســـلامى والملتقيات الاسلامية فى الجزائر والرياض وجاكارتا ومكة المكرمة . ومؤتمر السنة والسيرة فى اسلام اباد واستانبول والدوحة .

ثامنا : كشف مخططات الاستشراق والتعريب فى عديد من مؤتمراتهم ودراساتهم ، وزيف تلك الشــبهات وأبانت عن وجه الحق كما كشفت زيف الديمقراطية والاشتراكية والوجودية والعلمانية ، وواجهت النحل المنحرفة كالقاديانية والبهائية .

تاسعا : صحافة اسلامية مختلطة : كالاسلاميات فى مجلات الرسالة والهلال والثقافة .

والصفحات الاسلامية السياسية التى كانت تنشر فى الصحف اليومية : البلاغ وكوكب الشرق والجهــاد .

وفى المرحلة الثالثة تلك الصفحات الاسلامية الأسبوعية فى الأهــرام والجمهورية وأخبار اليوم ، ومدى الدور الذى تقــوم به (مع ملاحظة ان الجمهورية أصــــدرت ملحقا دينيا بتوجيه مصطفى بهجت بدوى واشراف صلاح عزام خلال فترة الستينات) ثم توقف ، كذلك فانه يجب دراســـــة ظاهرة صدور صحيفة يومية اســلامية وكان هذا أمل من آمال المصلحين خلال نصف قرن فلما صدرت صحيفة الاخوان اليومية (١٩٤٦ — ١٩٤٨) ثم توقفت لم يتجدد التفكير فى اصدار صحيفة يومية اسلامية مرة اخرى .

كتاب الصحافة الاسلامية

كشفت هذه الصحافة الاسلامية عن عدد كبير من الكتاب الذين اشتغلوا بالصحافة والدعوة الاسلامية فى مقدمتهم :

احمد حمزة : لواء الاسلام
احمد عارف الزين : العرفان
احمد مظهر العظمة : التمدن الاسلامى
احمد عيسى عاشور : الاعتصام
احمد الشاذلى الأزهرى : الاسلام
امين الرافعى : الأخبار
امين عبد الرحمن : الاسلام
احمد انس الحجاجى : منزل الوحى
حسن البنا : (صحف الاخوان) و (الشهاب)
حسن عبد المقصود : الأنصار
سعيد رمضان : المسلمون
صالح عشماوى : الدعوة
على الفاياتي : منبر الشرق
عمر التلمسانى : الدعوة
عبد الحميد الزهراوى : الحضارة
عبد الحميد بن باديس : الشهاب
عبد العزيز جاويش : العالم الاسلامى والهداية
فريد وجدى : الحياة
لبيبة احمد : النهضة النسائية

محب الدين الخطيب : الزهراء ، الفتح ، القبلة
محمد الههياوى :
محمد ابو زيد عثمان : النذير
محمد شاهين حمزة : الرابطة الاسلامية
محمد البشير الابراهيمى : البصائر
محمد حامد الفقى : الهدى النبوى
محمد الخضر حسين : الهدى الاسلامى
محمد عطية خميس : صوت الاسلام
محمد زكى ابراهيم : المسلم
محمد رشيد رضا : المنار
محمد محمد علوان : الاسلام والتصوف
محمود ابو الفيض المنوفى : العالم الاسلامى ، لواء الاسلام
محمد سعيد العامودى : الرابطة الاسلامية
محمد توفيق احمد : البريد الاسلامى
مصطفى السباعى : حضارة الاسلام

(ولقد افرزت الصحافة الاسلامية خلال هذه المراحل الثلاث عددا ضخما من كتاب المدرسة الاسلامية هم جديرون بدراسة خاصة مستقلة عنهم) .

وبعد فهذا استعراض سريع هو بمثابة أطار للتحرك من داخله فى اصدار هذه الموسوعة عن تاريخ الصحافة الاسلامية ، هذا وبالله التوفيق .

انور الجندى

الباب الأول

العروة الوثقى

الفصل الأول : أثر العروة الوثقى فى منهج الصحافة الاسلامية

الفصل الثانى : من العروة الوثقى الى المنار

الفصل الأول

اثر (العروة الوثقى) فى منهج الصحافة الاسلامية
(بين العمق التاريخى والأثر المستقبلى)

صـــدر العروة الوثقى فى باريس (٥ جمادى الأولى ١٣٠١) الموافق ١٣ مارس ١٨٨٤ وتوقفت فى ١٦ أكتوبر ١٨٨٤ (وأصدرت ثمانيـــة عشر عددا) فكانت هـــذه الاضمامة بمثابة دستور جامع شامل للعمـــل الصحفى الاسلامى لم يلبث أن نما واتسع بعد خمسة عشر عاما بصدور مجلة المنار عام ١٨٩٩ حيث امتدت ستة وثلاثين عاما ، وقد كانت المنـــار بمثابة منار حقيقى للصحافة الاسلامية التى حملت لواء الفـــكرة السلفية بكل نقائهـــا وايمانها وقد امتدت الى المغرب غربا والى أندونيسيا وأرخبيل الملايو شرقا عبر جميع الأقطار الاسلامية من الجزيرة العربية الى الشـــام الى العراق الى الهند الاسلامية والباكستان وأفغانستان .

ولقـــد كانت هناك صحافة سياسية قبـــل العروة الوثقى تتحـــدث عن قضايا العالم الاسلامى من أبرزها مجـــلة الجوائب التى كان يصدرها أحمد فارس الشدياق منذ ١٨٥٠ ميلادية (١٣٠٤ هـ) حتى وفاته ١٢٧٧ هـ (١٨٨٧ م) فعاشت ثلاثة وعشرين عاما ولكنها لم تقـــدم منهجا اسلاميا للصحافة على النحو الذى عرفناه فى العروة الوثقى .

لقد صدرت العروة الوثقى بعد الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ (وبعد الاحتلال الفرنسى للجزائر ١٨٣٠ وتونس ١٨٨١) ، وكانت خلفيـــة العروة الوثقى ممثلة فى أمرين :

أولا : كان أمام محمـــد عبـــده وجمال الدين تجربة الامام ابن تيميـــه فى الحروب الصليبية ومواجهة الغزو الخارجى .

ثانيـــا : حركة التوحيـــد فى الجزيرة العربيـــة بقيـــادة الامام محمـــد بن عبد الوهاب .

وكانت هـــذه المرحلة قد تجاوزت الوقوف عنـــد قضية تحرير الفـــكر الاسلامى من قيد التقليد التى قامت بها حركة التوحيد ، الى العمل لمواجهة الغزو الاستعمارى للعـــالم الاسلامى ، هـــذه القضية التى بدأت باحتـــلال

الجزائر بعد جهاد الامام عبد القادر خلال سبعة عشر عاما ، وهى المعركة التى واجهت الامام محمد بن على السنوسى فطاف البلاد العربية والاسلامية للبحث عن مواجهة الخطر ، وكان جمال الدين الأفغانى قد قدم من أرض أفغانستان وايران والهند حيث كان النفوذ الأجنبى (الانجليزى) يتحرك هناك بقوة ، وقد واجه هو شخصيا فى بلاط امبراطور فارس هذه التجربة وحاول التصدى لاصدار الدستور الايرانى ، ومن ثم واجهه النفوذ الاستعمارى بالاضطهاد فقدم الى مصر « قلب العالم الاسلامى » ليواجه هذه الغزوة الاستعمارية ، وكانت كلمته المعروفة دائما :

هى « تنكيس أعلام بريطانيا فى العالم الاسلامى » .

وكانت بريطانيا قد سيطرت على الهند عام ١٨٥٧ وامتد نفوذها الى ايران وأفغانستان عام ١٨٦٨ .

* * *

ومن هذا فقد جاء صدور العروة الوثقى بعد الاحتلال البريطانى لمصر مضيفا مبدأ جديدا للعمل الصحفى الاسلامى وهو قضية الوحدة الاسلامية التى كان يحمل لواءها السلطان عبد الحميد حاكما ، والسيد جمال الدين الأفغانى داعيا ، وقضية تحرير الأوطان الاسلامية من النفوذ الأجنبى .

وهكذا أنشأت « العروة الوثقى » ذلك المنهج الجامع الصحيح الذى سارت عليه الصحافة الاسلامية منذ ذلك اليوم والى اليوم من خلال أهداف واضحة محددة اهمها :

أولا : ايقاظ الروح الكامنه فى النفس الشرقية ومحاربة اليأس ومواجهة النفوذ الأجنبى الزاحف .

ثانيا : التماس منهج القرآن فى بناء الأفراد والمجتمعات بوصفه المنقذ الوحيد للمسلمين .

ثالثا : تنبيه الأمة الى ذاتيتها الأصيلة التى أنشأت الحضارة الاسلامية الزاهرة وقدمت صفحات التاريخ الوضئى والتذكير بعظمة التراث الاسلامى .

رابعا : محاربة الاستعمار بكل ما تملك الأمة من وسائل بمفهوم الجهاد الاسلامى .

خامسا : الدعوة الى امتلاك أسباب القوة والتقدم والعلم والتمدن

دون التخلى عن الجذور فى دائرة مفهوم الاسلام القائم على العدل والرحمة والاخاء البشرى .

سادسا : مقاومة التبعية والحيلولة دون الذوبان فى الأممية أو الفكر العالمى .

***

وبذلك دخلت الصحافة الاسلامية الى اطار الاسلام السياسى والحضارى والاجتماعى وكانت قبل ذلك تقف عند كتابات حول العقائد والعبادات .

ومن قبل صدور العروة الوثقى ومنذ وصول جمال الدين الى القاهرة عام ١٨٧٩ ، فقد كان له دوره الواضح الخطير فى الصحافة المصرية والأداء الصحفى بالتحول عن أسلوب السجع والمحسنات اللفظية والمقدمات المستطردة الى أسلوب جديد أقرب الى الأداء العلمى المبسط ، وهذا ما ظهر فى كتابات تلاميذه والصحف التى صدرت فى عهده وفى كتابات محمد عبده وابراهيم اللقانى وسعد زغلول .

***

ولقد كان أثر العروة الوثقى واضحا على مستويات متعددة :

فى بيان الزعماء والمصلحين وكتابات الكتاب وفى الحركات الاسلامية وفى الصحف التى صدرت منذ ذلك الحين .

وقد كان أكبر مظاهر هذا الأثر فى مصر عن طريق المنار التى تعتبر الامتداد الطبيعى للعروة الوثقى من حيث أن الشيخ محمد عبده الذى كان المحرر الأول للعروة هو بمثابة المشرف على المنار (مع ملاحظة تغيرات العصر والمسائل المتجددة) حتى وفاته ١٩٠٥ .

وفى هذه المرحلة صدرت صحيفتى المؤيد (الشيخ على يوسف) اللواء ، والعلم (الحزب الوطنى وأبرز محرريها الشيخ عبد العزيز جاويش) ، وذلك حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ثم صدرت صحف سياسية تقدم صفحة اسلامية تحت عنوان العالم الاسلامى أو العربى ، وذلك فى صحف كوكب الشرق (أحمد حافظ عوض) ، البلاغ (عبد القادر حمزة) ، والجهاد (توفيق دياب) ، وجريدة الأخبار (أمين الرافعى) .

ثم صدرت بعد الحرب مجلات : الأزهر (١٩٣٢) تحت اسم « نون

الاسلام » أولا ، ومجلة الفتح ١٩٢٧ (محب الدين الخطيب) ، ومجلات الجمعيات الاسلامية : الشبان المسلمين ، والاخوان ، والهداية الاسلامية وغيرها عشرات المجلات الاسلامية الأخرى التى لم تخرج على هذا النسق الذى رسمته العروة الوثقى وطبقه المنار .

وفى أوربا (فى جنيف) صدرت مجلة الأمة العربية (شكيب أرسلان واحسان الجابرى) ، وصدرت منبر الشرق (على الغاياتى) لمعالجة قضايا الأقطار الاسلامية .

أما فى المشرق الاسلامى فقد صدرت المجلات الاسلامية الآتية :

تونس : شمس الاسلام ١٩٣٧ ، مجلة المعارف ١٩٠٧ (محمد صادق المحمودى) .

الحجاز : مجلة مكة المكرمة (هاشم يوسف الزواوى) ، الاصلاح ، أم القرى ١٩٢٥ ، القبلة .

حلب : الاعتصام

دمشق : التمدن الاسلامى .

قسيطينة : الشهاب ١٩٢١ (عبد الحميد بن باديس) .

ماليزيا : الهدى ١٩٣١ (عبد الواحد الجيلانى العلوى) .

الجزائر : البصائر (محمد البشير الابراهيمى) .

وصحف أخرى كثيرة يخطئها الحصر .

أما عشرات الأعلام الذين تعلموا على « العروة الوثقى » والمنار ، فهم كثيرون ، فى مقدمتهم عبد العزيز الثعالبى والطاهر بن عاشور فى تونس ، وعبد الحميد بن باديس فى الجزائر ، وعلال الفاسى فى المغرب وفى دمشق ، الشيخ حسين الجسر ، وطاهر الجزائرى ، والكواكبى ، وجمال الدين القاسمى ، وعبد الرازق البيطار ، وفى العراق محمود شكرى الألوسى .

***

فهذه المدرسة السلفية التى أنشأتها العروة والمنار امتدت الى كل هذه المناطق ، وكان محمد عبده قد أقام فى بيروت فكون بذرة صالحة هناك لاذاعة مفاهيم التوحيد الخالص ، كما أنه زار تونس والجزائر وترك فيها بذرة العمل السلفى الذى انبثقت منها الحركة الوطنية فى الجزائر والمغرب وتونس

فى سبيل مقاومة النفوذ الأجنبى ونشأ على ذلك جيل قاوم هذا النفوذ مقاومة صامدة حتى تحقق له النصر .

وأينما تتلفت فى أقطار الاسلام الى المجاهدين فى سبيل تحرير الأوطان تجدهم من تلاميذ العروة الوثقى والمنار ، وقد امتد هذا النفوذ الى أرخبيل الملايو حيث يقول المستشرق ك . ك . برج . (فى كتاب وجهة الاسلام) تأليف هاملتون جب وترجمة الأستاذ محمد عبد الهادى أبو ريدة ما يلى :

« ولم يشرق منار القاهرة على المصريين وحدهم ولكنه أشرق على العرب فى بلادهم وخارجها وعلى مسلمى أرخبيل الملايو الذين درسوا فى الجامعة الأزهرية وعلى الأندونيسى المنعزل الذى ظل محافظا على علاقاته بقلب العالم الاسلامى بعد عودته لبلاده النائية على حدود دار الاسلام : هؤلاء جميعا رأوا الاسلام على نور جديد لم يرو فيه مثالا للتشدد والجمود ورأوه الدين المختار بين الأديان ، وحامل المثل الأعلى لكل زمان مضى ، المثل الجديدة لكل زمان آت ، وهو شباب متجدد الشباب حامل لواء كل تقدم ، شديد فى التسامح ، وقد أصبح الذين اقتبسوا من نور المنار منارات صغرى فى أندونيسيا بعد أن عادوا اليها » .

وقد أشار مؤلف كتاب « الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال أفريقيا » الى اثر الشيخ محمد عبده والمنار فى الحركة السلفية فى تونس والجزائر والمغرب على أثر زيارته لتونس عام ١٨٨٣ ثم زيارته للجزائر عام ١٩٠٤ ثم كانت المنار التى تصل الى كل مكان فى العالم الاسلامى وقد تأثر بها الدعاة المسلمون هناك وكان خطها واضحا فى مجلة الشهاب التى أصدرها الامام عبد الحميد بن باديس عام ١٩٣٠ على نفس النهج ، ولقد حدثنى الأستاذ أحمد توفيق المدنى الذى هو أحد ثمار ما سمى فى الجزائر وتونس جماعة العروة الوثقى أن الجماعة أصدرت عام ١٩١٥ أول صحيفة اسلامية فى الجزائر تحت اسم الفاروق بقيادة السيد عمر بن قدور الجزائرى وانها تصدت للاستعمار الفرنسى بمقال كتبه المدنى كان من نتيجته أن حكم عليه بالسجن هو ومؤسس مجلة الفاروق من ١٩١٥ الى ١٩١٨ فى زنزانة ضيقة .

وفى الجزيرة العربية كانت العروة ثم المنار موضع تأثير كبير فى مجالس العلم ، ويتحدث الأستاذ مبارك الخاطر فى كتابه عن القاضى الرئيس قاسم ابن مهزع حيث يصور الحركة الفكرية فى البحرين فيقول : ان شباب البحرين الذين درسوا فى الأزهر بمصر وكلية عليگرة فى الهند وعادوا قد اعتنقوا آراء

السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى وأحزابهم فى مصر والشام والعراق الذين وجدت آراؤهم صدى لها هنا بين الشباب اذ ذاك عبر ما يقرأونه هنا من صحف هؤلاء المصلحين المجددين أمثال العروة الوثقى للأفغانى ومحمد عبده ، والمؤيد لعلى يوسف ، والمنار لرشيد رضا ، واللواء لمصطفى كامل ، وقد كانت هذه الصحف تحمل آراء هؤلاء الى كل أبناء المسلمين فى كل الأرض وكانت عناوين مقالات تلك الصحف من مثل (أخبار الجاويين) أى مسلمى أندونيسيا وجمعيات المسلمين فى الهند ، والمسألة الشرقية ، فقد كتب التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ، الجامعة الاسلامية ، المسلمون الروس فى مجلس الدوما السوفياتى ، الاستعمار فى جزيرة العرب ، الغارة على العالم الاسلامى .

وكان من ظهور هذه الصحف العربية الاسلامية وآخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كردة فعل جاءت بالفكر الاسلامى الاصلاحى الجديد وكسلاح فكرى اسلامى لوقف الأخطبوط الماسونى التبشيرى الذى غزا الأمة الاسلامية على حين غرة ممهدين السبيل للهجمة الصليبية الاستعمارية الجديدة التى استهدفت عقيدة هذه الأمة وتراثها ليسهل أمر استعبادها فكريا وبالتالى ليستمر استعبادها جسديا ، وقد كان .

وكان الشيخ قاسم بن مهزع زعيم الفكر الاسلامى فى البحرين يقرأ مجلة المنار ويقول انها تعبر عن الأقوال الفاصلة بالحق .

***

ولقد امتدت المنار حتى عام ١٩٣٦ حيث توفى السيد رشيد رضا ولكن مجلة الفتح التى أنشأها السيد محب الدين الخطيب الذى يعتبر خليفة السيد رشيد رضا فى هذا المجال امتدت حتى عام ١٩٤٨ ، كذلك فان السيد فريد وجدى تلميذ الأستاذ الامام قد أشرف على مجلة الأزهر (١٩٣٤ — ١٩٥٢) ثم تولاها السيد محب الدين الخطيب ثم الأستاذ أحمد حسن الزيات .

وقد امتدت جماعة العروة والمنار من تلاميذ الأستاذ الامام فى مجموعة أخرى ، منها الشيخ سرور الزنكلونى والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ عبد المجيد سليم ، ثم فى مجموعة تالية أو طبقة تالية ، منها الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الجليل عيسى .

***

وفى الهند الاسلامية امتدت هذه المدرسة فى الشاعر محمد اقبال والسيدين المودودى وابو الحسن الندوى ، وفى أفغانستان وايران لا نعدم الكثيرين من تلاميذ المدرسة السلفية التى كونتها العروة والمنار .

وقد أحصى المغفور له الدكتور أحمد الشرباصى فى كتابه (مدرسة الأستاذ الامام وأثرها فى اللغة والأدب) عددا كثيرا ممن تأثروا فى أسلوبه ومنهجه وهم تلاميذ العروة والمنار على الأصح ، سعد زغلول ، حفنى ناصف ، محمد المهدى ، مصطفى لطفى المنفلوطى ، على يوسف ، رشيد رضا ، شكيب أرسلان ، عبد القادر المغربى ، عبد الرحمن البرقوقى ، أحمد لطفى السيد ، مصطفى عبد الرازق ، أحمد تيمور ، محمد مصطفى المراغى ، أحمد فتحى زغلول ، ابراهيم اللقانى ، عبد الكريم سلمان ، ابراهيم الهلباوى ، عبد العزيز جاويش ، حافظ ابراهيم ، اسماعيل صبرى ، رفيق العظم ، أحمد ابراهيم ، حسن منصور ، عبد الوهاب النجار ، مصطفى العنانى وغيرهم .

أما فى الحاضر فان مدرسة العروة والمنار فما تزال ذلك أثر واضح فى الصحافة الاسلامية القائمة الآن التى لم تخرج عن نفس الأصول العامة التى وضعتها العروة قبل مائة سنة بل ان القضايا التى ظهرت فى سنوات ما بين الحربين وما بعدها كسقوط الخلافة الاسلامية وانشاء اسرائيل ، وظهور حركات التبشير والتغريب والغزو الثقافى فانها كلها تدخل تحت تلك الأصول وقد كانت مؤامرة النفوذ الأجنبى واضحة تماما لصاحبى العروة وكاتبيها رحمهما الله رحمة واسعة وأجزل مثوبتهم جزاء ما قدما ومكن لكل العاملين على طريق الصحافة الاسلامية الأصيل .

***

مراجع البحث :

تاريخ الأستاذ الامام (الجزء الثالث) : محمد رشيد رضا .

اليقظة الاسلامية فى مواجهة الاستعمار : أنور الجندى .

الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال أفريقيا : أنور الجندى .

المنار والأزهر : محمد رشيد رضا .

الشيخ طاهر الجزائرى : الدكتور عدنان الخطيب .

مدرسة الأستاذ الامام وأثرها : الدكتور أحمد الشرباصى .

القاضى الرئيس قاسم بن مهزع : مبارك الخاطر .

وجهة الاسلام : هاملتون جب وآخرون .

الفصل الثانى

من العروة الوثقى الى المنار

تحدث السيد رشـــيد رضا فى (المنار) عن (العروة الوثقى) وكيف كان لها أثرها فى تكوينه الثقافى والاجتماعى وفى منهج المنـــــار ، فى أكثر من موضع وعلى مر السنوات الطوال . فأشـــار الى الدور الذى قامت به فى توجيه الرأى العام الاسلامى ، كما نقل فصولا متعددة من العروة الوثقى فى مناسبات متوالية وأعلن أنه وجريدته امتداد لهذه الحركة التى أطلق عليها « حركة الاصلاح الاسلامى » كما قارن بين العروة الوثقى والمنار فقال : كل ما صـــــدر من « العروة الوثقى » (١٨ عددا) هزت القلوب وأيقظت العقول وكان الغرض من انشائها : اثارة العالم الاسلامى وجمع كلمته لدفع عبودية الاستعمار الأوربى وتجديد دولة اسلامية عزيزة تتولى فى ظل حريتها ما يجب من الاصلاح الدينى والدنيوى وكان من رأى السيد جمال الدين أن الثورة أقرب الوســـائل لتجديد الملة بالعلم الصـــحيح والعمل المفيد فى ظل الاستقلال والقوة . أما عرض (المنار) فهو اعداد الأمة لهذا التجديد وأول وســـائله بيان أمراض الأمة وأســـبابها ووصف علاجها وتأليف الجماعات للتعاون فى المعالجة المطلوبة وكان الأســـــتاذ الامام أول من ناط أمله به فى الاصلاح المطلوب كله وكان يصرح به فى مجالســـــه لمن يراهم أهلا لفهمه واســـتعداد لطلبه وهو الذى أغناه عن كتابة وصيته للأمة ، اذ الوصـــية لا تكون الا كلاما مجملا ، لما أنشىء « المنار » لبيانه مفصلا والناس لا يفهمون من الكلام الا بقدر ما اســـــتعدوا لفقهـــــه والاعتبار به ولا يكون ذلك الا بالتدريج .

وقد مضى « المنار » لطيته وما زال بتوفيق الله وحوله وقوته يرتقى فى كل معراج من معارج عمله ، ودون كسبه نظام معيشته فمنشؤه قد نشـــأ وشب وشاب على الزهد فى الدنيا وجدانا وعملا لا رأيا وعقلا ، فهو يرى أن الزهد لا يجوز أن يتجاوز شـــعور القلب الى التقصير فى الكسب ، لكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق الله » متفق عليه ، وروى بزيادة (اعملوا) فى أوله ، وبهـــذا الزهد يسر الله له أن يتصرف بكل قواه الى الاصلاح والتجديد الاســـــلامى علما وبحثا ودعوة وحجة ودفاعا

واقناعا حتى صار موضع ثقة خواص المسلمين غير الجغرافيين فى العالم الاسلامى كله فى اصلاحهم كما قال الأستاذ المراغى شيخ الاسلام وخليفة الأستاذ الامام على اصلاح الأزهر لمولوى مشير قدوائى من كبراء مسلمى الهند وقد سأله أن يروى عنه لمسلمى الهند كله فيما يجب عليهم من الاصلاح فقال ما خلاصته : « ان المسلمين لا يرجى لهم صلاح الا بالقرآن على الوجه الذى يفسره به المنار » تلك فائدة زهد منشىء المنار فى دنياه له وللناس وهى علمية خالصة ، أما مضرة هذا الزهد له فهى مالية خالصة به ، ذلك أنها أوصدت أمامه باب طلب الرزق وفتحت عليه باب الدين ، حتى كادت تقضى على المنار الذى كان مفتاح كل خير فانى لم أستطع أن أعنى بنظام ادارته وضبط حساباتها ولا مراقبته بنفسى ، وانما تركت مطالبة قراء المنار بما له عليهم من حق النفقة لأجل أن أوفيهم حقهم وحق الأمة كاملا بقدر استطاعتى.

(٢)

وفى موضع آخر عرض للعروة الوثقى وأثرها فى المنار فقال :

أنشأ (الأفغانى ومحمد عبده) جريدة العروة الوثقى لدعوة المسلمين الى الوحدة الصحفية ، وأن يجعلوا امامهم الأعظم « القرآن الكريم » أرشدت هذه الجريدة العلماء الى اماتة البدع واحياء السنن كما أرشدت الملوك والأمراء ولا سيما المختلفين فى المذاهب (كأهل السنة والشيعة) الى الاتحاد والاتفاق ، وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعى فى الدين من أسباب التفرق والانقسام الذى يقضى على الجميع فاهتز لها العالم الاسلامى هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الأرض زلزالا لو طال الأمد على جريدة « العروة الوثقى » لحدث فى العالم الاسلامى انقلاب مهم ، ولهب المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجد آبائهم وأجدادهم ، ولقد بلغ من غرام نبهاء المسلمين بهذه الجريدة أن حفظها بعضهم عن ظهر قلب . كانت العروة الوثقى قبسامن نور القرآن ونعمة من روحه ، وجدولا من ينبوعه ، خافت الدولة الانجليزية يومئذ مغبة الأمر ، لم تذكر فيها الشئون الاسلامية العامية فى الجرائد الا ما يجىء فى عرض القول ، حتى أنشأ نابغة الكتاب عبد الله نديم مجلة الأستاذ ١٣١٠ وكتب فيها المقالات الطنانة الربانية فى تنبيه المسلمين الى الأخطار المحدقة بهم وبسائر الشرقين فتر بعدها الكلام عن (الجامعة الاسلامية) حتى وفقنى الله لانشاء المنار لاحياء تعاليم العروة

الوثقى فوضعنا قاعدته على أساسها ، وأضأنا قمة نبراسها الا ما كان فيها من السياسة التى تتعلق بالمسألة المصرية والتحريض على الانجليز فهـذا أمر ذهب بذهاب وقته .

قلنا أن (المنـار) وافق (العروة الوثقى) فى تعاليمها الاجتماعيـة وقواعدها التى وضعتها للوحدة الاسلامية وخالطها فى وجهيها السياسـة المصرية . ونقول أيضا : أنه زاد عليها البحث فى حرفيات البدع وتفصيل القول فى التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المقيدة ونحو ذلك .

ولهذا يقول قراء المنار أنه لم توجد قبله جريدة فى موضـوعه وقال صاحب الأهرام ان فى طريق هـذه الخدمة خطرا عظيما ، وهو مقاومة أوربا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى عن وجهة الدين (ناقشـه صاحب المؤيد وصاحب المنار) وفى هذه السنة (١) كثرت الكتابة فى شـأن المسلمين فنشر المؤيد كثيرا من المقـالات لكتاب من المسلمين فى الشرق والغرب منهم الفقير منشىء هـذه المجـلة : جريدة زمان التركية فى قبرص ، جريدة محمـدان الهندية ، جريدة معلومات العربية فى الأسـتانة ، ثمرات الفنون ، جريدة الحاضر التونسية ، وفى هذين الأسـبوعين كتب الأهرام بعنوان الجامعة الاسلامية ثم كتب المقطم ، وناقشهما المؤيد وكتب اسماعيل عصبرنسكى فى جريدة ترجمان فى القريم ، الأهرام والمقطم متفقان على أن الدعـوة الى الجامعة الاسلامية باسم الدين مضرة وغير موصلة الى الغاية وانه لا سبيل الى ترقى الأمة الاسـلامية الا باتباع خطوات أوربا كما فعلت اليابان (المسلمون ثلاثمائة مليون) أما المؤيد فقد اقترح عقد مؤتمر اسلامى ودعا الى الأخـذ بالفنون والصـنائع الأوربية ومن الآراء تعميم التربية والتعليم وانشاء الجمعيات والشركات والمنتديات العلميـة والأدبية وتكثير الجرائد التى ينطق بها المسلمون والعناية بأمر القوة الحربية وتعليم النساء .

واقترح المنار تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون مقرها مكة المكرمة ولها شعب فى سائر البلاد وجريدة مخصوصة وتقوم الأصـول على التوحيد فى العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والتربية والتعليم وتلافى البدع والتعاليم الفاسدة واصلاح الخطابة والدعوة الى الدين .

والنتائج هى اتحاد الحكومات الاسلامية ، ان سـبب النهضة التى

---

(١) المنار مجلد ١٠ — ١٩٠٧ م .

تجمع الأسباب كلها هو تعميم التربية العملية والتعليم الصحيح من الوجهة الدينية الجامعة لمصالح المعاش والمعاد . وأكبر عقبة فى سبيل ذلك هو ندرة الرجال القادرين على التعليم الذى نريده والتربية التى نبتغيها .

(٣)

كذلك فقد نقل السيد رشيد رضا كلمات كثيرة من العروة الوثقى الى المنار فى مناسبات مختلفة مجددا هذه الدعوات الحارة ومن ذلك ما نقله فى المجلد الثانى من فهم صاحبى العروة للاسلام وذلك قوله :

الديانة الاسلامية وضع أساسها على طلب الغلب والشوكة ، ورفض كل قانون يخالف شريعتها ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامها ، فالناظر فى أصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكما لا ريب فيه بأن المعتقدين بها لابد أن يكونوا أول ملة حربية فى العالم وأن يسبقوا جميع الملل الى اختراع آلات المقاتلة واتقان العلوم العسكرية والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وجر الأثقال والهندسة وغيرها ومن تأمل فى آية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) أيقن أن من صبغ بهذا الدين فقد صبغ بحب الغلب وطلب كل وسيلة الى ما يسهل لها سبيلها والسعى اليها بقدر الطاقة البشرية فضلا عن الاعتصام بالمنعة والامتناع من تغلب غيره عليه ومن لاحظ ان الشرع الاسلامى حرم المراهنة الا فى السباق والرماية انكشف له مقدار رغبة الشارع فى معرفة الفنون العسكرية والتمرن عليها . ولكن مع كل ذلك تأخذه الدهشة من أحوال المسلمين المتمسكين بهذا الدين لهذه الأوقات اذ يراهم يتهاونون بالقوة ويتساهلون فى طلب لوازمها وليست لهم عناية فى فنون القتال ولا فى اختراع الآلات حتى فاقتهم الأمم سواهم فما كان أول واجب عليهم واضطروا لتقليدها فيما يحتاجون اليه من تلك الفنون والآلات .

(مقدمة الجزء الثانى من العروة الوثقى)

الباب الثانى

مجلة المنار : محمد رشيد رضا

مدخل : عرض عام لخطة المنار وأهدافها .

الفصل الأول : من نشأة المنار الى وفاة الأستاذ الامام .

الفصل الأول : من نشأة المنار الى وفاة الأستاذ الامام .

الفصل الثالث : الى سقوط الخلافة الاسلامية .

الفصل الرابع : المنار الى وفاة الشيخ رشـــيد .

مدخـــــل

عرض عام لخطة المنار واهدافها

صدرت من ٢٢ شوال ١٣١٥ هـ الموافق ... ١٨٩٨ م واســتمرت الى ٣٠ محرم ١٩٥٤ الموافق مايو ١٩٣٥ (٣٤ مجلدا) خلال ثلاثة وثلاثين عاما ، أصدرها السيد محمد رشيد رضا فى القاهرة وظل يصدرها الى حين وفاته (فى نفس العام) وقد نوه على صدر صفحتها الأولى أنها « مجلة شهرية تبحث فى فلسفة الدين وشئون الاجتماع والعمران ») .

وقد كشفت منذ عددها الأول عن هدفها الذى يتمثل فى العنـــاصر الآتيــة :

— الاصلاح الدينى والاجتماعى لأمتنا الاسلامية .

— اتفاق الاسلام مع العلم والعقل وموافقه لمصالح البشر فى كل قطر وكل عصر .

— ابطال ما يورد من الشبهات عليه وتنفيذ ما يعــزى من الخرافات اليـــه .

— الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وفى البدء طبع ألف وخمسمائة نسخة من كل عدد أرسلت الى البــلاد المصرية والسودانية وكانت لا تلقى رواجا فى أول الأمر ، حتى كانت السنة الخامسة للمنــار ١٣٢٠/١٩٠٢ مبدأ رواجه وسعة انتشاره ، وقد بدا على هيئة جريدة أسبوعية ذات ثمان صفحات كبيرة كانت تحمل برقيات الأسبوع وبعض الأخبار ثم وضع فى شكله المجلد (الحجم ٧٠ فى مائة المعروف الآن) فى السنة الثانية وأعيــد طبع السنة الأولى وفق هذا الحجم الذى استمرت عليه المجلة الى نهايتها .

يقول : وما زاد المشتركون عن ١/٢ الألف الا قليلا ، وما كان انتقاص عملى منتقصا شيئا من أمالى ولا زهد آلامه فى المنار باعثا على جعله طعاما للنار بل كنت أحرص عليه حاســبا أن الناس ســيعودون اليه ، وقد عاد الناس فعلا وبدءوا يطلبون مجموعات السنين الماضية .

قال السيد رشيد رضا فى افتتاحية العدد الأول :

فأنشأت هـذه الجريدة اجابة لرغبة من تنبهت نفوسهم لاصلاح الخلل ومشايعة للساعين فى مداواة العلل ، الذين أرشدتهم تعاليم الدين وهداهم النظر فى الآيات الكونيـة . فتكون الجريدة وصـل بينهم وبين الأمة تبعث بارشادهم روح الهمة فى أفرادها ، وتحيى ميت العبرة فى نفوس أحادهم . ان غرضها الأول الحث على تربية البنات والبنين والترغيب فى تحصـيل العلوم والفنون واصلاح كتب العلم وطريقة التعلم والتنشيط فى مجاراة الأمم المتمدنة فى الأعمال النافعة ، وشرح الدخائل التى مازجت عقائد الأمة والتى أفسدت الكثير من عوائدها والتعاليم الخادعة التى ألبست الغى بالرشاد والتأويلات الباطلة التى شـبهت الحق بالباطل حتى صـار الجبر توحيدا وأنظار الأسباب ايمانا وترك الأعمال المقيدة توكلا ، ومعرفة الحقائق كفرا والحادا .

ويقول : اقتبسنا أسـلوب الاجمال قبل التفصيل ، وقرع الاذهان بالخطابيات الصادعة عن القرآن الكريم . فافتتاحيات المنار زواخر منبهـة وبينات فى الاصلاح مجملة ترشد المسلمين الى النظر فى سوء حالهم وتنذرهم الخطر المهدد لهم فى اشتغالهم وتذكرهم بما فقدوا من سيادة الدنيا وهداية الدين وما اضاعوا من مجد آبائهم الأولين » .

« صاحب المنار »

ولابد لمعرفة آفاق مجلة المنار من التعرف على صاحبها السيد محمد رشيد رضا : ذلك الشاب الذى ولد فى بلدة القلمون (طرابلس الشام) الذى تعرف على الدعوة الاسلامية من خلال المدرسة السلفية المبثوثة فى الشـام من أمثـال الشـيخ حسـين الجسر ، هـذه المدرسـة التى تعرفت الى جمال الدين الأفغانى ومحمـد عبده والى كتاباتهما فى مجلة العروة الوثقى التى كانا يصدرانها فى باريس فى مطالع القرن الثالث عشر الهجرى وقد قرأ رشيد رضا فصول (العروة الوثقى) وتأثر بها وحاول الاتصال بالسـيد جمال الدين الأفغانى خلال اقامته فى استانبول ، فلما سـبق القدر بوفاته اتجه الى الاتصال بالشيخ محمد عبده فى نفس العام ١٣١٥ هـ/١٨٩٧ م فى القاهرة ولم يلبث أن عرض وجهة نظره فى اصدار مجلة اسلامية على الشيخ الامام فأصدرها متوجهة فى العـام الثاني فى شـوال ١٣١٥ هـ الموافق ١٨٩٨ م ،

وبذلك ارتبطت الدعوة الاسلامية بين (الشام ومصر) على هدف واحد ، ومن خلال هذه المدرسة ظهر عديد من الدعاة أمثال عبد الرحمن الكواكبى ، والقاسمى ، والرافعى ، و (الزهراوى) صاحب مجلة الحضارة وظاهر الجزائرى .

وقد امتدت حياة الشيخ رشيد رضا مع مجلة المنار الى نهاية المطاف خصبة عامرة بالعمل الاسلامى ، عن طريق الصحافة الاسلامية ونشأت فى خلال هذه المرحلة المجلات الاسلامية التى سارت على نفس الطريق ،

ريادة المنار للصحافة الاسلامية

وكانت المنار رائدة حقا فى رسم الطريق الصحيح للصحافة الاسلامية من حيث عنايتها بالجوانب المختلفة :

أولا : دراسة العقيدة الاسلامية : فى مجال تفسير القرآن والسنة والفقه والفتاوى .

ثانيا : دراسة أحوال المسلمين فى العالم الاسلامى كله وخاصة البلاد الاسلامية فى معركتها المواجه للاستعمار .

ثالثا : ظهور حزب الاصلاح الاسلامى الذى قاده الشيخ محمد عبده ومضى فيه رشيد رضا وتلاميذ الامام ، وتبلور مفهوم واضح للاسلام من خلال الفهم المنبعث من المنابع الأصيلة .

رابعا : متابعة أحوال ونشاط الجمعيات الاسلامية فى مصر وتونس والعالم الاسلامى .

خامسا : دراسة المجتمع الاسلامى واحوال المرأة واصلاح المحاكم الشرعية ومختلف ما يتصل بالقمار والخمر والزنا والترف والفساد الاجتماعى جملة .

سادسا : التربية الاسلامية واصلاح التعليم والجامع الأزهر وشئونه

سابعا : مواجهة التحديات والأخطار المنبعثة من الدعوات الهدامة كالبهائية والقاديانية والرد على كتابات الغربيين من خصوم الاسلام .

ثامنا : المؤلفات الاسلامية والتراث المجدد . وقد عنيت المنار بتقديم عرض للمؤلفات الاسلامية الحديثة وما يتجدد من كتب التراث التى كان للمنار وللشيخ محمد عبده دور كبير فى احيائه .

تاسعا : (الاهتمام باللغة العربية) التعرض للأدب والشعر والبلاغة وفنون الأدب المختلفة ونشر قصائد الشعر الجيد .

عاشرا : التعرض لوجهة نظر الصحافة الاسـلامية من المجـلات والصحف اليومية وخاصة ما يتصل بصحف الحزب الوطنى وغيرها .

رســالة المنــار

ولم تتوقف المنار عن التعريف برسالتها فأشار محررها الى ما امتازت به جريدة المنار بالتنويه المتواصل [بأن الاسلام جاء بتعاليم كافيـة لعروج الأمم الى سماء السيادة العليا وبلوغها مراتب السعادة القصوى لأنهـا أبطلت جميع الاعتقادات التى تحول بين الانسان وبين كماله ، ان أمة هذه قواعد دينها لا يصلح حالها الا بالتمسك بها وما كنا ممن يسند الى الاسلام ما ليس فيه فان الدين نفسه يحظر علينا هذا ، كيف وقد اعترف للاسـلام بمزاياه الشريفـة جميع الناظرين فى التاريخ والباحثين فى الملل والشرائع بالانصاف من غير المسـلمين حتى ان ذلك ليفيض من أنابيب أقلامهم فيما يكتبون] م١/

ويقول : انشـأنا المنار من أجل الاصـلاح الدينى والاجتماعى لأمتنا الاسلامية وبيان اتفاق الاسلام مع العلم والعقل ومواقفه لصالح البشر فى كل قطر وابطال ما يورد من الشبهات عليه وتفنيـد ما يعزى من الخرافات اليـه .

ويقول : « اننى لم أنشىء المنار ابتغاء ثروة أتأملها ولا رتبة من أمير أو سلطان أعمل بها ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهى بها الأقران بل لأية فرض من الفروض ، يرجى النفع من اقامته وتأثم الأمة كلها بتركه فلم أدَن أبالى بشىء الا قول الحق والدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكنت اذا أصبت هذا بحسن عملى واجتهادى فسـيان رضى الناس أم سخطوا ، قبلوا المنار أم رفضوا » .

الفصل الاول

من نشأة المنـــار الى وفاة الأستاذ الامام

المجلد الأول (١٣١٥ هـ ــ ١٨٩٨ م)

تمثل المنار فى هـــذه المرحلة نموذجا من الصحافة الاسلامية المرتبطة بمنهج الأستاذ الامام وتحركاته وصداقاته ووجهة نظره فى مختلف القضايا وخاصة بالنسبة للحركة الوطنيـــة والقصر والنفـــوذ الانجليزى وخطتـــه فى العمـــل فى سبيل انشـــاء حزب الاصـــلاح الاسلامى ، وقد أشار السيد رشيد رضا الى أهداف المنار فى العدد الأول على هذا النحو :

١ ــ الحث على تربية البنـــات والبنين .

٢ ــ الرغبة فى تحصيل العلوم والفنون .

٣ ــ التنشيط فى مجاراة الأمم المتمدنة فى العلوم النافعة .

٤ ــ طروق أبواب الكسب والاقتصاد .

٥ ــ شرح الدخائل التى مازجت عقائد الأمة والأخـــلاق الرديئـــة التى أفسدت كثيرا من عوائدها والتعاليم الخادعة التى ليست ألفى بالرشد والتأويلات الباطلة التى شبهت الحق بالباطل .

وكان رشيد رضا يكرر دائما عبارته : ان الصحيفة الناجحة لا تكون كذلك الا « اذا جاءت بمشرب جـــديد » ، وقد اعترف صاحب هـــذا الراى بأنه جاء ببيان الأمراض الاجتماعية التى طرأت على الأمة الاســـــــلامية والشرق كله والبحث فى أسبابها وعلاجها ، والأخطار التى تتهـــدد الشرق كله والمسلمين فيه والاعتصام بالدين القويم ، والاعتصام بحبل الخلافة ، وعلم العلماء ، وتأليف الشركات المالية ، وتعميم المدارس للبنين والبنـــات وطبع المؤلفات النافعـــة وانشاء المنتديات العلمية ، كما أشار الى مضرة مذهب التصوف ، من الافراط فى الزهادة وترك العمـــل للدنيا ، وان شدة زهادتهم فى الدنيـــا كانت سببا لزهادة المسلمين فى الدنيـــا والآخـــرة . وكان سببا فى تزايد النزعات الوثنية فى المسلمين بسببهم (م ١ ــ ١٨٩٨) .

المجلد الثانى (١٣١٦ — ١٨٩٩)

وفى العام الثانى تابع الشيخ رشيد رضا دعوته على نفس الأهداف التى رسمها فى العام الأول .

وكان أبرز أحداث العام مظالم هولندا فى جاوه والحديث عن الاسلام فى البرازيل واليابان ومستقبل الاسلام فى الصين ومراكش والهند ، ومقدونيا والمسلمون فى روسيا .

وكان من أهم ما أولته اهتمامها ثورة الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى اصلاح المحاكم الشرعية ، وتأييد كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين ، والحديث عن الجامعة الاسلامية وتاريخها .

وقد اشار صاحب المنار الى أهداف المنار مجددا وعرضها فى أربعة عناصر :

١ — تبين البدع التى مازجت العقائد والمفاسد التى عرضت للسجايا والعوائد .

٢ — وتهدى لعلاج هذه الأمراض الروحية والأدواء الاجتماعية بكشف الحجاب عن وجوه التربية النافعة وتسهيل سبل التعاليم الناجعة .

٣ — وتختار من الآثار العلمية والأدبية والنوادر الفكاهية ما ترتاح له النفوس وتنجلى على نزاهة الهموم والبؤوس .

٤ — أما جوانب الأخبار وحوادث الأقطار والأمصار فنذكر منها أهم ما يعين ، سائقين منهج المؤرخ العادل من غير طعن ولا تحامل .

فالخدمة الصحيحة للدولة والأمة انما تكون بتبين الرشد من الغى وتمييز الخطأ من الصواب والتزييل من النافع والضار .

المجلد الثالث (١٣١٧ — ١٩٠٠)

واصلت المنار مهمتها بحماس وايمان شديدين ، فى مختلف المجالات وأولت اهتمامها للتربية فأفردت لها بابا واسعا تحدثت فيه عن تربية الاستقلال ومضار القهر والالزام ، وتحدثت عن التربية وعلم الأخلاق وعن التعليم فى الأزهر وعن الجمعيات الاسلامية التى بدأت تنمو فى مصر وخاصة الجمعية الخيرية الاسلامية ، وقد بدأت المنار مواجهة الدعوات

الهدامة وخاصة البهائية ، كما جاء رد الشيخ محمد عبده على اتهامات هانوتو .

وفى هذا العام جرى العفو عن محمود سامى البارودى ، وتوفى عثمان باشا الغازى وظهرت الدعوة السنوسية وتحدثت عنها المنار .

وقد وضعت المنار على صدرها رمزا متمثلا فى الحديث الشريف :

« ان للاسلام صدوى ومنارا كمنار الطريق » .

وفى مجال الاصلاح الاسلامى تحدثت المنار عن دعوة الشيخ محمد عبده ومطالبه بوضع تقرير يشخص من أمراض الأمة الإسلامية كلها ويصف دواءه ، وقد وعد الأستاذ بتأليف كتاب خاص فى هذا الغرض يسميه « الاسلام والمسلمون » ونم تزل عوائد الزمان وصوارف البيئة والمكان تحول دون الشروع فيه ، كما اقترح السيد رشيد رضا عليه تأليف تفسير على الوجه الذى يقرأه فى الأزهر يبين فيه امراض الأمم الروحية والاجتماعية ويرشده الى علاجها .

ومن أبرز معالم هذا العام بدأ نشر تفسير الشيخ محمد عبده الذى كان يقرأه فى الرواق العباسى بالأزهر مع مقدمة تمهيدية له .

وقد كان من أبرز أبحاثها فى هذا المجلد ما كتبه تحت عنوان : اعادة مجد الاسلام : تساءلت فيه كيف يعود للاسلام مجده .

المجلد الرابع (١٣١٨ هـ — ١٩٠١ م)

فى العام الرابع للمنار واصلت المجلة رسالتها على النحو الذى رسمته منذ اعدادها الأولى وكان الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى هذا العام بارز الأثر فى حركة الاصلاح الاسلامى ومضى رشيد رضا على اهتمامه بالدولة العثمانية ونقدها نقدا خفيفا متصلا دون أن يكشف خصومته لها أو ولائه للاتحاديين الذين كان لهم فى القاهرة تجمع يرأسه السيد رفيق العظم ، ومضى فى مهادنته للورد كرومر وفى نشر دروس التفسير التى يلقيها الامام فى الرواق العباسى ، وفى متابعة تامة للبدع والخرافات والتقاليد ومهاجمتها وفى العناية بالجماعات الاسلامية ، وقد اهتم المنار بالرد على مشروع التعليم باللغة العامية الى عرضه القاضى ويلمور والذى شغل الصحافة طويلا .

وفى هذا العام بدأت الحديث عن الصهيونية (يناير ١٩٠٢) حيث تكشفت بعض الوثائق عن انجمعية الصهيونية فى أوربا ومساعيها فى اعادة السلطة والملك الى شعب اسرائيل وعرف أن هذه الجمعية بدأت منذ عام ١٨٩٧ حيث عقد مؤتمر بال ، كما نشرت فى هذا العام فصول الكواكبى التى هاجم فيها السلطان عبد الحميد ، والتى لم تلبث أن توقفت عندما أجرى الخديوى الصلح مع السلطان فى سبتمبر عام ١٩٠١ ، وفى هذا العام أيضا توالت مؤلفات محمد طلعت حرب ومحمد فريد وجدى فى الرد على قاسم أمين ووقف المنار فى صف قاسم أمين وأنشأ الزهراوى كتابه عن الفقه والتصوف ، وفى هذا العام أيضا نشرت رسالة القس اسحق طيلر الضافية عن الاسلام فى انجلترا ، وكان قد كتبها فى انجلترا (ابريل ١٨٨٨) .

وقال السيد رشيد رضا فى ختام العام : قبلة المنار الاصلاح الدينى واقامة القرآن ومذهب السنة وسيرة السلف الصالحين والأئمة المجتهدين وهو خصم ألد لجميع البدع والخرافات والتقاليد والعادات التى التصقت بالدين وفى يقينه أن الشرق لا يصلح الا باصلاح المسلمين وان المسلمين لا يصلحون الا بالرجوع الى سيرة السلف الصالح فى دينهم من غير زيادة أو نقصان ومجاراة الأمم الحية فى دنياهم وأخذهم بجميع فنونها وعلومها وصنائعها ، فالاصلاح الدينى هو الذى ينفخ منهم روح الاتحاد الاجتماعى .

وركز على « فريضة الدعوة الى الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وأن يوفق أمراءنا وحكامنا للبذل والامداد واصلاح حال البلاد وعلماءنا للهدى والرشاد وأغنياءنا للبذل والامداد وأن يوفق الوالدين لتربية الأولاد وتنفخ فى الجميع روح الاجتماع والاتحاد .

المجلد الخامس (١٣٢٠ هـ — ١٩٠٢ م)

واصلت المنار رسالتها فى عزم وقوة فوالت كتاباتها عن قضية المسلمين الكبرى : قضية ضعف المسلمين وأسبابه ، والاصلاح الاسلامى وعرضت لأمراء المسلمين واهمالهم الدين وأولت اهتمامها بالتربية الاسلامية وكشفت عيوب التعليم العصرى وفساده وحاولت أن تتحدث عن بديل له تقدمه الجمعية الخيرية الاسلامية ، ولم تتوقف عن الحديث عن اصلاح التعليم فى الأزهر ، وعارضت أفكار الصوفية وما يتعلق بالجن والخوارق والشفاعة والقطب والكرامات ، وهاجمت الفلسفة الالهية والمفاهيم

العقلية المنحرفة التى جاء بها الاعتزال والكلام ، ودافعت عن مفهوم السنة الجامعة الصحيحة ، كما عرضت لمقارنات الأديان فى باب متصل عن شبهات المسيحيين وحجج الاسلام ، كما تناولت الرد على الكتاب الغربيين الذين يهاجمون الاسلام وكشفت فى فصول متعددة فضل المسلمين على الحضارة .

وكان أبرز موضوعاتها الرد على الاحتفال بتذكار مرور مائة سنة على محمد على باشا فنشرت فصلا مطولا (بدون توقيع وان عرف ان كاتبه هو الشيخ محمد عبده) قال : محمد على لم يؤسس دينا ولم يكن امام مذهب فى دين ، وانما أسس ملكا عضودا بسفك الدماء والقوة والحروب . ان تأسيس محمد على حكومة فى بلاد مصر كانت مقدمة لدخول الأجانب فيها واحتلالها اياها . فان محاربة الدولة العثمانية كانت مصدرا لاظهار ضعفها للبرية ، ومحاربة الوهابيين وخضد شوكتها وابطال امتداد دعوتهم . كانت دولة محمد على دولة ظالمة منذ أسست الى أن تولى الأوربيون السيطرة عليها فكان الظلم مصدرا لزوالها وقد زالت دولة المماليك الظالمة الغاشمة . هذا النظام كان مقدمة وتمهيدا لدخول مدنية أوربا الى أوربا ونشر مدنيتهم والقاء سيطرتهم عليها بالاحتلال الانجليزى والخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها وقهرها واظهار ضعفها . والخواص يعلمون أن الوهابيين كانوا قائمين باصلاح اسلامى لو تم لعاد للاسلام مجده الأول والذين وسوسوا لمحمد على بمحاربتهم هم الأوربيون الذين ينظرون الى غايات الأمور وعواقبها ، أما ما شاع فى بلاد الشام والحجاز أن الوهابيين خارجون عن السنة وملحقون بأهل البدعة فسبب بعض المصنفات التى لفقها العلماء الرسميون المضانون للحكام ، وقد كتب أربعة من الأعلام مقالات فى أول العام الهجرى ١٣٢٠ عن مستقبل الاسلام : فريد وجدى ، رشيد رضا ، محمد عبده ، أحمد توفيق البكرى . ودخلت المنار فى هذا العام فى مساجلات مع صاحب الجامعة ، مع الكاتب الفرنسى رينان ، مع هانوتو .

وفى هذا المجلد تناول صاحب المنار الترجمة للكواكبى ومحمد على الكبير .

المجلد السادس (١٣٢١ هـ — ١٩٠٣ م)

وفى العام السادس كانت أبرز الأحـداث زيارة الشيخ محمد عبده لأوربا والجزائر وتونس ونصيحته لأهلهـا كما توغلت الأبحـاث فى كشف حلقات التغريب والغزو الثقافى فى ميادين ثلاثة :

أولا : دراسـات عن بولس وتغييره دين المسيحية نقـلا عن كتاب الأناجيل للفيلسوف تولستوى ، وعن النصرانية وزلزالها فى أوربا .

ثانيا : بحوث فى نقـد التوراة .

ثالثا : بحوث عن البهائية والبابية بفارس .

رابعا : الماسونية واليهود .

كما اتسعت الأبحاث حول صلة العرب بالدولة العثمانية : والعرب والخلافة وسكك حديد الحجاز والخلافة والسلطان والعرب والدولة .

كمابدأ رشيد رضا فى التنبه الى ما فى روايات جرجى زيدان من أخطار ونقد روايتى فتاة غسان وفتح الأندلس .

وقد أشار السيد رشيد رضـا فى افتتاحية العـام الى ما أسماه : انتقال من طور الحذر والسـبات الى طور الحيرة والشـتات . والحيرة والشتات خير من خدر الحواس وفقد الاحساس لأنها من علامات الحياة . فقـد ذهب قوم الى أن وقاية المسلمين من الخطـر انما تكون بالاعتمـاد على الأمراء والسلاطين والاستماتة فى الخضـوع لهم وتقـديس سلطتهم وملوكنا وان جاروا هم القابضون على بقايا ما عندنا من القوة التى تطامح بها تلك القوى . وذهب آخرون الى أن الملوك والأمراء قد استبدوا بسياسة الأمة بدون مشاورتها قرونا طويلة ، فما كان منهم الا أن أوقعوها فى هـذا الضعف والهوان والفقر والخزلان والجهل بأمر الدنيـا والدين . وواجب على الأمـة مقاومة استبدادهم ، ومقاومة استعبادهم والزامهم المشـاورة فى الأمر وتقييد السلطة فى الحكم (والمعتقد أن هذا الكلام موجه الى الدولة العثمانية) .

يقول وقد أنشىء المنـار لمساعدة العقلاء على السعى فى تكوين الأمة عن طريق التربية الملية والتعليم النافع وقد ركزنا الحث على التربية والتعليم ويجب على العلماء والكتاب أن يوجهوا عنايتهم الى تكوين الأمة ويجتهدوا

فى ذلك قولا وعملا . لهذا كان الاصلاح الدينى شرطا فى الاصلاح المدنى أو شرطا منه فى وضع الاسلام ، ومن مقدمات الاصلاح احياء اللغة اذ لا أمة بدون لغة حية ومنها ازالة حجب الغرور عن حقائق الأمور ، ويقول : ان المنار قد جاء بمشرب جديد يستعذبه الأقلون ويمجه الكثيرون ، أولئك هم أسرى التقليد .

المجلد السابع (١٣٢٢ هـ — ١٩٠٤ م)

والى المنار اهتمامه بأخبار العالم الاسلامى واتسع بريده فى عرض قضايا المسلمين فى أجزاء كثيرة من العالم فضلا عن أخبار بلاد العرب ونجد والسودان والدولة العثمانية ، فان هناك رسائل متصلة عن مراكش وسيراليون وفارس وزنجبار والهند وفارس والعراق والحرب الروسية اليابانية والقوقاز واليمن .

ووالت اهتمامها بالدعوات الهدامة فقدمت أبحاثا مطولة عن البابية فى فارس وكشفت شبهات التبشير فعرضت لكتاب (تنوير الأفهام فى مصادر الاسلام) وتحدثت عن الاصلاح فى فارس . وعن الامتيازات الأجنبية والأسطول الثانى وعن الدروز وعقيدتهم وعن شريف مكة وعن فرنسا والأزهر حيث نقلت مقالا كتبه أحد الفرنسيين وردت عليه وأولت اهتمامها بالدولة العثمانية كما ركزت على الاصلاح الاسلامى وخاصة فى مصر وفى شأن التعليم والتربية الاسلامية وشئون الأزهر والقضاء الشرعى . ولم تتوقف عن معارضة مفاهيم الطرق الصوفية ، ومفاهيم أهل الكلام فى نفس الوقت فى محاولة لتقديم مفهوم أهل السنة والجماعة صحيحا .

وتحدثت المنار عن علماء العصر ، والدين والسياسة .

وتحدثت عن أحداث نجد وانتصار ابن السعود على ابن الرشيد ، واعلان عبد العزيز آل سعود الولاء لدولة السلطان عبد الحميد الثانى ، ودعوته لاقراره على امارة نجد الموروثة له وألا تقبل الدولة العلية فى بلاد العرب ما يزعزع ثقتهم فيها واذا وثق بها أهل نجد سهل عليها حل عقدة اليمن كذا عقدة الكويت ، وقد وضح اهتمام المنار بانتصار ابن سعود وتأييده له ودعوة الخليفة لقبول ولايته ، كما أولت اهتمامها بالفتاوى ، فقدمت الردود التى كتبها الشيخ محمد عبده عن الأسئلة الباريسية والزنجبارية والهندية ، وكانت الفتوى الترنسفالية فى حل ذبيحة النصارى

فى تلك البلاد ، وحل لبس القلنسوة الافرنجية لحاجة أو ضرورة ، وكيف تحل صلاة الشافعى خلف الحنفى ، وعرض لتراجم المتوفين فى هذه الفترة والقضايا المثارة حول الشخصيات البارزة أمثال قضية على يوسف ، واستعراض عباس لجيش الاحتلال والى جواره كرومر ، واقتراض سلطان مراكش من فرنسا واقامة جوقة من المطربين والمطربات ، كما أشار الى الوفاق الودى الذى عقد بين بريطانيا وفرنسا وقال ان الوفاق قضى فيه على مصر بسوء سياسة الأمراء الحاكمين الذين استبدوا فى الأمة وأذلوها حتى فقدت الاستقلال الشخصى والقومى ثم سلطوا عليها أوربا وأعطوها من الامتيازات . وعرض المنار لعديد من الكتب الاسلامية الجديدة وكتب التراث والصحف وكشف أخطاء جرجى زيدان فى كتابه (تاريخ التمدن الاسلامى) وكشف عن اهتمام شاهين مكاريوس بكتابه تاريخ اليهود وتاريخ الماسونية العميلة ، ومما يذكر أن جرجى زيدان لم يلبث أن كتب عن الماسونية أيضا . وتحدثت المنار عن نمو الجمعية الخيرية حيث بلغت ايراداتها ١٣٣١ جنيها بالاضافة الى ١٢٢٣ جنيها من ريع الأطيان (٢٨٠ فدانا) وأنفق على التعليم ٢٤٥٩ جنيها ، واعانة الفقراء ٣٧٣ جنيها .

وفى فاتحة المنار أشار السيد رشيد رضا أنه أنشىء لخدمة الأمة والدفاع عن الملة . وقال : انتشر المنار فى جميع الأقطار ولا يزال انتشاره فى نمو مستمر من غير سعى ولا دعوة تذكر وبدا لنا من الناس ما علمنا به علم تجربة واختيار أنه لا ينبغى أن يوثق بكلام أحد فى أمور الجد والأعمال العامة التى لاحظ فيها أهواء الأفراد الا من شهدت له الأعمال والأخلاق بالاختبار الصحيح وقليل ما هم . وقال : ان من يريد أن يحترم دين الله وعيال الله أن لا يعتمد فى نجاح عمله الا على تحرى الحق والخير والعلم بحاجة الأمة الى خدمته .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لثلاثة : على يوسف ، ومحمد شاكر ، وحسين الجسر .

المجلد الثامن (١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥ م)

واصل المنار رسالته فى تحرير العقيدة الاسلامية من التحريف وذلك بكشف الفرق المنحرفة أمثال البابية والبهائية ومعارضة البدع التى تقوم بها الطرق الصوفية وخاصة فيما يتعلق بالتأويل والخرافات

وتحدث عن مشايخ الطرق ، وعلماء الرسوم ومذهب السلف ، كما تحدث عن ذم الخوض فى علم الكلام ، كما أولى اهتمامه بالتعليم الاسلامى ، وتعليم اللغات .

وكتب عددا من الفصول عن كشف زيف دعاوى التبشير المسيحى فى مواجهة مفاهيم الاسلام وتصدى الدكتور محمد توفيق صدقى لمقارنات الأديان فى فصول تحت عنوان (الدين فى نظر العقل الصحيح) وتداول ٤٠ شاهدا من الكتاب المقدس على تناقضه واختلافه (ص ٧٤٣) كما عرض للشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية بمناسبة كتاب على بك أبو الفتوح الذى قال ما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الأكبر مناسبة للزمان والمكان وأشار الى كتاب الخراج للامام أبى يوسف المتوفى عام ١٨٢ ، ومن أكبر أحداث هذا العام وفاة الشيخ محمد عبده (مايو ١٩٠٥) وكان هذا الحدث هاما بالنسبة للمنار التى قدمت أبحاث متعددة عن الشيخ المفتى الذى كان قد استقال قبل وقت قريب من المجلس الأعلى للأزهر بعد (يأسه من الاصلاح وادخال العلوم الحديثة) ، وذكرت الصحف أن النفوذين الفرنسى والانجليزى يعاديان الامام فى الاصلاح ، وكان الشيخ محمد عبده قد حاول اصلاح التعليم فى الأزهر وقد قرأ فيه أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز كما قرأ شرح التلخيص للشيخ البرقوقى . وقد أشار المنار الى :

١ — التفسير والأستاذ الامام .

٢ — الامام والثورة العرابية .

٣ — جمعية احياء العلوم العربية التى أنشأها الشيخ محمد عبده .

٤ — الانجليز والشيخ محمد عبده .

واهتم المنار فى هذا العام بانتشار الدعوة الاسلامية فى العالم وخاصة فى الصين واليابان .

واهتم بمذهب السلف ورد على أخطاء الفرق وتحدث عن علم الكلام ، وتحدث عن أعداء الامام فى الأزهر كالشيخ عليش ، وغيرهم ممن أسماهم المنار علماء الرسوم ، كما عرضت لعدد من المؤلفات الجديدة .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد للشيخ محمد عبده ، وعلى أبو الفتوح .

وفى افتتاحية المجلد الثامن يتحدث الشيخ رشيد رضا حيث قال :

انه ما وقع تغيير الا بدعوة ، وان دعاة الخير والاصلاح فى كل أمة كانوا ممقوتين من أصحاب السلطة مضطهدين من رؤساء الأمة ، أولئك الذين حبس خيارهم مثل الامام أبى حنيفة حتى مات فى السجن وجلدوا الامام مالكا والزموه بيته حتى ترك الجمعة والجماعة واضطروا الامام الشافعى الى الفرار من بغداد خوفا على دينه أو نفسه ووطئوا الامام أحمد بالنعال وما زالوا من تلك العصور يفتنون أهل العلم والتقوى حتى تم لهم بطول الزمان افساد الدين والدنيا .

وقال : ان انتقال الأمم من حال الى حال لا يكون من الرؤساء المترفين ولا يأتى باختيار الأمراء والسلاطين ، وانما يكون بتغيير أفراد الأمة ما بأنفسهم من الأفكار والعقائد والأخلاق والسجايا .

فاذا غير المسلمون ما بأنفسهم بالتدريج يغير الله ما كان بهم من عزة العلم والقوة وسيادة العدل والفضيلة ولن يغير ما هم الآن فيه الا بعد الرجوع الى ما كانوا عليه وشرطه قلع جراثيم التقليد واجتثاث شجرة التعصب للمذاهب وأساسه جمع كلمة الأمة وتحقيق معنى الوحدة ، ولا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها كما قال الامام مالك بن أنس صلح أول هذه الأمة بهدى كتاب الله وسنة نبيه ، وهداهم ذلك الى كل اصلاح صورى ومعنوى .

قطع الآمال من السياسة والسياسيين وترك الاتصال بالرؤساء والحاكمين والانخداع لأنصارهم وأشياعهم لئلا يصرفوكم عن الجد باصلاح النفس الى الهزل بارضاء الحس فانهم طلاب مال وجاه وطلاب رتبة ووسام وأصحاب أوهام .

أدعوكم الى حقيقة الاسلام والتأليف بين المسلمين .

وأشار الى ما كان قبل صدور المنار من حيث كانت الصحف تطعن فى القرآن وتشنع على شريعة الاسلام ، ولم توجد فيها صحيفة اسلامية ترد شبهات الطاعنين وتؤيد العقائد بالحجج وتبين حكم الأحكام وانطباقها على مصالح البشر فى كل زمان ومكان حتى اذا أنشىء المنار نقم منه المتجرون بالدين ونقده المبتدعون وهاج عليه أصحاب المذاهب المبغضون لأنه يقول ان الوهابية السلفية والأشاعرة والماتريدين والشيعة والاباضية كلهم

مسلمون وانه يجب عليهم تحكيم الكتاب والسنة فيما هم فيه مختلفون
ان الدين من حاجات البشر الطبيعية وقوة من أعظم قواتهم المعنوية .
ان الاعتقاد فى الأمة قوة لا تغالب .

وأشار الى ما ذكرته المؤيد عن المنار : أمضى سنوات هذه المجلة مثابرا على الخدمة الملية الصحيحة محاربا البدع المضللة ، يبارز المبتدعين غير هياب ويعتمد فى أبحاثه غالبا على الحق الغالب من مفاهيم السنة والكتاب ، ولذلك كان كلامه مرا على أذواق الذين يخلطون الدين بغيره ويظنون أو يزعمون أنهم أئمة أهله .

الفصل الثانى

المنـــار : الى الحرب العالمية الأولى

بعـــد وفاة الأستاذ الامام مضى المنـــار فى طريقه حاملا لواء رسالة الاصلاح كما بدأها الشيخ محمد عبده وعلى هدى من الخطة الجامعة بينه وبين جمال الدين الأفغانى ، وقد صمد السيد رشيد فى هذا المجال صمودا قويا وواصل اتمام التفسير والفتوى ومواجهـــة أحداث العـــالم الاسلامى وقضاياه والكشف عن سموم التبشير والتغريب والغزو الثقـــافى على نحو قوى ، وحاول الاستفادة من الدولة العثمانية لتحقيق هدفه فى بناء مدرسة الارشاد وتخريج الدعاة بعد سقوط السلطان عبد الحميد وقيام الاتحاديين ولكنه ما لبث أن اكتشف عداء الاتحاديين للاسلام فهاجمهم هجوما عنيفـــا وقصر عمله على مصر وان ظلت أجنحته ممتدة بالدعوة والارشاد من جاوة الى المغرب فى قوة واتصال .

المجلد التاســـع (١٣٢٤ هـ ــ ١٩٠٦ م)

توســـع اهتمام المنار بتصحيح العقيـــدة وبيان مذهب اهـــل السنة والجماعة بمراجعـــات واســـعة مع كل الفرق والآراء ومهاجمـــة الطـــرق وتقاليدها ، والكشف عن الفوارق بين المقـــلدين والمصلحين فى تصحيـــح العقيـــدة ومناقشة الشـــيخ محمـــد بخيت عن نظـــرياته فى الفونغـــراف والسكورتاه .

ومتابعة تاريخ الأستاذ الامام ونشر ما ذكره كرومر فى تقريره عام ١٩٠٥ عن حزب الشيخ محمد عبده والأمل المعقود عليه .

ويواصـــل رسالته فى التربيـــة الاسلامية والعناية باللغـــة العربية ومهاجمة الفكر الوافد والاستشراق والتبشير ، وبدع المتصوفة وفرق البابية والبهائية ويطلق عليها اسم (الباطنية) كما يتعرض للكتب القديمـــة ناقدا اياها . ويتحدث عن الاسلام فى العالم وانتشاره فى اليابان والصين وموقف الغرب من العـــالم الاســـلامى ومن الدولة العثمانية ، وقد عرض لكتاب مرجليوث عن النبى صلى الله عليـــه وسلم وينقد ما جاء فى هـــذا الكتاب ويعنى باتباع حزب الاصـــلاح فيهتم بتولى سعد زغلول وزيرا للمعـــارف

كما نقد ادريس راغب من سروات المصريين الذى اعترض على تعليم الدين فى المدارس ، والمعروف أن ادريس راغب هو رئيس المحفل الماسونى فى القاهرة .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : للشيخ محمد بخيت ، سعد زغلول ، أحمد خان الهندى .

* * *

وقد تحدثت افتتاحية السنة التاسعة من المنار عن أحوال المسلمين فقال :

ان المسلمين امسوا كالريش فى مهب الحوادث وكالغثاء فى مجرى سيول الكوارث لا رأى لخواصهم فيما يراد منهم ولا شعور لعوامهم فيما يراد بهم ، وللأجانب فى تصرف حكامنا فى سياستنا ويد فى تصريف أموالنا فى مصلحتهم دون مصلحتنا ويد تطبع الأرواح بأخلاق وعادات تنافى آداب ملتنا وتوقع فى العقول عقائد وأفكارا تقوض بناء وحدتنا ، فأى شىء بقى فى أيدينا من شؤون أمتنا ، اللهم انه يقل فينا من بقى له أذن تسمع وعين تبصر وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقل فى هؤلاء القليلين من له ارادة تتوجه الى عمل للأمة وثبات فيما تحاول من كشف الغمة . انه لم تستيقظ أمة من نومها ولم تبعث دونة من موتها الا بصيحة نفر من أولى الألباب وتستعفى العقول والآداب الذين يغير الله ما فى نفوس أقوامهم بما يلقيه من الحكمة فى ذلاقة ألسنتهم ونفثات أقلامهم فيستبدلون الاعتصام بالانفصام والاتفاق بالشقاق والوحدة بالفرقة ، وبذلك يشعر الأفراد بمعنى الأمة ويعملون بالتعاون فيكونوا أمة : ((**سنة الله التى قد خلت من قبل وخسر هنالك الكافرون**)) وما (المنار) الا صحيفة أنشئت لتأييد دعاة العلم للأمة والعمل لها سواء منهم من دعا الى الاصلاح معها ومن يدعو اليه معها ولتكثير سواد الدعاة الذين يتعلمون للأمة ويعملون للأمة ، ويحيون للأمة ويموتون فى سبيل الأمة ، مهتدين بهدى كتاب الله المتين وسنة خاتم النبيين والمرسلين الذين هما ينبوع الهداية واتباعهما عنوان السعادة .

ويقول : القرآن حجة على شعوب المسلمين فى هذا العصر بما أصابهم وأصاب دولهم من الخسر الذى جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، ويأخذ الأمم والدول اياهم أخذا وبيلا ((**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**)) .

نعم : ان المؤمن يبتلى ويفتن ، ولكنه لا يهن ولا يحزن ، بل يصبر حتى تكون العاقبة للمتقين « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين** » .

نعق ناعقون بأنه لا نجاة لكم الا بفناء ارادتكم فى ارادة حكامهم ، ولا يتغير ما فى أنفسكم من أوهام وخرافات ، وصاح خطيب فقيه الوطنية أنه لا حياة لكم بالرابطة الملية لأنها ممقوتة فى نظر أهل المدنية الغربية الذين سادوا بترك العصبية الدينية. انهم لا يبغون بدعوةالوطنية الا العصبية الجاهلية والهوى : أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وأخذنا الأجانب من ناحية سلطتهم أخذا وبيلا فما أغنت عنا ذلة العبودية لهم مثيلا . لا سبيل اليه الا باتباع هدايته والسير على سنته فى خليفته، عليكم أن تجيبوا داعى الله وتكونوا من حزب من أعطى العفو من ماله لاعلاء كلمة الله ومواساة عياله واتقى أسباب الفتن والمحن والفواحش ما ظهر منها وما بطن .

واستطرد صاحب المنار يقول : هداية القرآن : الذى دعا الى جميع الأصول التى فيها سعادة الانسان فجعل البرهان العقلى أساس العقائد أمام بناء الآداب والأحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وأرشد الى ما لشئون البشر الاجتماعية من السنن الثابتة أو النواميس الطبيعية ، وأثبت أن الدين القيم الذى جاء به الاسلام هو اقامة سنن فطرته التى فطر عليها الأنام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية واصلاح النفوس بالأخلاق المرضية .

أما حزب الشيطان وأنصار الظلم والعدوان فسيقولون ان هذه الدعوة الى هداية القرآن هى اجتهاد أقفل بابه فى هذا الزمان والداعى اليها عدو مبين لأهل الايمان . ومن هؤلاء من يلقى تبعة هلاك المسلمين وضياع الاسلام على عواتق أهل السلطة المستغلين على الأحكام ومنهم من يحيل على القضاء والقدر ومن ورائهم قوم آخرون مرقوا من الدين وأنكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين . يقولون لا رجاء للمسلمين بحياة ملية ولا أمل باقامة حكومة اسلامية ، فاذا لم يحيوا حياة وطنية فلا حياة لهم . واذا لم يعتنقوا خطوات أوربا فلا مدنية لهم . ولم نر دعوة أنكرها الرؤساء

الرسميون والأمراء المستبدون الا دعوة هـذه الأمة الى الاهتداء بالكتاب والسنة ، فلقد قاوموا المنار وآزوا الأهل والأنصار .

المجلد العاشر (١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م)

يتميز هذا العام العاشر من عمر مجلة منار الاسلام بأحداث هامة منها استقالة اللورد كرومر وتوسع فى عرض صفحات مجهولة من تاريخ حزب الاصلاح وخاصة ما يتعلق بتاريخ الجامعة الاسلامية ودور جمال الدين ومحمد عبده فيها وكتاب التاريخ السرى للاحتلال الذى الفه بلنت .

وواضح الاهتمام بأصدقاء الشيخ محمد عبده : حافظ ، وسعد زغلول ، ومعارضة مصطفى كامل واللواء ، والخلاف بين المنار واللواء والاهتمام باللغة العربية ونادى دار العلوم حيث ظهرت دعوة العامية وقاومها الدرعميون وألقيت أبحاث هامة لأحمد السكندرى ، والشيخ محمد الخضرى وقصيدة حافظ ابراهيم : رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى ، كما تناول قضية التعريب والترجمة ، كما أولى اهتمامه بمقارنات الأديان ، وقد ترجم هذا العام انجيل برنابا الذى طبعه المنار وقدم له السيد رشيد رضا وتحدث عن قضايا أهل الكتاب ، وتناول الحديث قضايا اجتماعية على جانب كبير من الأهمية ، منها الربا وودائع البنوك ، وقد توسع فيها ، والاصلاح الاجتماعى والبغاء ، وقدم المنار كتابا عن البغاء فى مصر ألفه الدكتور بورفاليس باللغة الفرنسية وترجمه داود بركات وحديث عن مراقبة العاهرات وعدد المصابين) . وأولى اهتمامه بالسلطان عبد الحميد والشاه ناصر الدين شاه الفرس ، هذا فى الجانب السياسى ، أما فى جانب العقيدة الاسلامية فقد مضى فى طريقه الى تأصيلها والى الدعوة لمذهب أهل السنة والجماعة فكتب فصولا مطولة عن الامام الغزالى ، والخلاف بين معاوية وعلى ، وتناول مذهب أهل السنة والجماعة لابن تيمية .

وتناول الاصلاح الدينى واصلاح الأزهر وتاريخ أول مصحف طبع ، وتناول التربية الدينية فى مصر وزيارة اسماعيل صبرنسكى لمصر ودعوته الى الجامعة الاسلامية وقدم شهادات لكتاب الغرب عن عظمة الاسلام منها شهادة مسيو وامبرى ، وقد احتفل فى هذا العام بمرور عقد (عشر سنوات) على ظهور المنار وما لاقاه رشيد رضا من الصعوبات فى نصرة الحق .

وقد افتتح المجلد العاشر بافتتاحية أشار فيها الى عمل المنار وخططه :

١ — تربية البنات والبنين .

٢ — اصلاح كتب العلم وطريقة التعلم .

٣ — شرح الدخائل التى مازجت عقائد الأمة وشبهت الحق بالباطل حتى صار انكار الأسباب ايمانا وترك الأعمال المفيدة توكلا ومعرفة الحقائق كفرا والتعلق بالخرافات صلاحا واختبال العقل ولاية والخنوع والذل تواضعا والتقليد الأعمى علما واتقانا .

٤ — درء الشبهات الواردة عن الشريعة الاسلامية ودحض مزاعم من زعم أنها حجاب بين العاملين بها وبين المدنية .

٥ — اقناع أرباب النحل المتباينة بأن الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والاحسان .

وقد استهل حديثه بهذه العبارات :

أيها الشرقى المستغرق فى منامه قد تجاوزت حد الراحة فتنبه من سباتك وانظر الى العالم الجديد فقد بدلت الأرض غير الأرض واستولى أخوك الغربى المستيقظ على قوى الطبيعة فقرن بين الماء والنار وأوقدهما البخار واستخرج الكهرباء والنور واخترق الجبال واختبر أعماق البحار . ويقول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضتان فى الدين حافظتان لجميع الفرائض ومرغبتان فى جميع الفضائل وتركهما معصيتان كبيرتان مسهلتان للفسوق والعصيان .

وواضح من خطوات المنار :

١ — خلاف حزب الشيخ محمد عبده والمنار مع الحزب الوطنى ومصطفى كامل .

٢ — مدحه لكرومر وللطفى السيد وسعد زغلول باعتبارهما من مدرسة سعد زغلول .

٣ — متابعة رشيد رضا لنقد الأناجيل ونشر لباب الأناجيل للفيلسوف تولستوى ونشر فصول من انجيل برنابا .

٤ — أولى اهتماما كبيرا لموقف دار العلوم من اللغة العربية والحرب المشنونة عليها عام ١٩٠٧ وقد تبين بعد انشاء نادى دار العلوم أن المهمة

الأولى هى خدمة اللغة العربية ، ومراجعة مسألة اسماء الأجناس الأعجمية التى يراد ادخالها فى اللغة العربية ، هل تعرب تعريبا أم تؤخذ بالترجمة وقد نشر خطابين للشيخ محمد الخضرى (الذى طالب بانشاء مجمع اللغة العربية) وخطاب للأستاذ احمد السكندرى .

٥ — الانتقاد على فريد وجدى فى كتابه (كنز العلوم واللغة) .

٦ — وجه عناية الى قضايا المجتمع فى ضوء الاسلام وخاصة بالنسبة لعمل المرأة فى التمثيل .

ترجم صاحب المنار فى هذا العدد للشخصيات الآتية :

حسين عبد الرازق ، كرومر ، سعد زغلول ، بلنت .

المجلد الحادى عشر (١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م)

فى هذا العام من المنار بدأ الشيخ رشيد رضا يتألق بقوة ، فقد استطاع أن يتخلص من المواصفات الخاصة التى كانت تحد من صراحته وجرأته واعلان كلمة الحق بعد أن توفى الشيخ محمد عبده وأخرج كرومر وعزل السلطان عبد الحميد ، فقد بدأت أوراق كثيرة كانت مدخورة ، تتكشف عن حقائق كثيرة مرت فى السنوات الماضية ولكنها عرضت فى تحفظ شديد ، وأهم ما فى ذلك موقفه من مفهوم أهل السنة والجماعة الذى حرره بعيدا عن الفلسفة والكلام والاعتزال والمنطق ورجع به الى أصوله الحقيقية التى عرفها الأئمة الغزالى وابن تيميه وابن القيم ومن تابعوا طريقهم .

وقد أولى اهتمامه بخمس قضايا أساسية :

الأولى : الرد على شبهات المستشرقين ومن تابعهم من كتاب العرب وفى مقدمتهم كانيانى وجرجى زيدان الذى واصلت المنار الرد على أخطائه وتجاوزاته فى مختلف كتبه عن التمدن الاسلامى والأدب العربى .

الثانية : الرد على شبلى شميل ومفاهيم المادية .

الثالثة : عرض أعمال حركة الاتحاديين فى الدولة العثمانية وآماله فى الالتقاء بين العرب والترك واهتمامه بصدور الدستور العثمانى .

الرابعة : الرد على كرومر فى كتابه الذى نشره بعد سفره من مصر تحت اسم مصر الحديثة وقد حاول الشيخ رشيد رضا مراجعة مختلف القضايا

الخاصة بموقف النفوذ البريطانى وكرومر من الاسلام وخاصة فيما سبق النظر فيه على نحو من التحفظ لوجوده فى مصر اذ ذاك ممثلا للسلطة البريطانية التى كانوا يطلقون عليها السلطة الفعلية .

الخامسة : متابعة أبحاثه فى كشف الباطنية (البهائية والبابية) كما يتابع دراسته حول أخطاء الطرق الصوفية (النقشبندية والرفاعية) .

السادسة : اهتمامه باللغة العربية والدراسات المتصلة التى قدمها فتحى زغلوم وحفنى ناصف فى مواجهة الحملة المركزة التى قام بها خصوم الاسلام ، كما تناول فى أبحاث أخرى العربية وانتشارها .

السابعة : عرض ما كتبه بعض علماء الغرب عن الاسلام ، وقد عرض بحث مسيو رينيه ميليه الذى القاه فى مؤتمر أفريقية الشمالية عن الاسلام والمدنية .

الثامنة : عرض قضايا الاسلام المتصلة بالمجتمع والحياة العامة وخاصة ما يتعلق بالربا والقرآن والعلم ، ومبادىء الاقتصاد السياسى والدعوة الى علم تدبير الثروة ، كما عرض الدكتور محمد توفيق صدقى للآيات العلمية فى القرآن (الرياح والجبال والثمرات والليل والنهار) .

التاسعة : واصل دراسة آثار الشيخ محمد عبده وتلاميذه ومواقفه وصلته بجمال الدين الأفغانى .

العاشرة : متابعة نقد الشبهات المثارة حول الكتب القديمة المقدسة ، كما كتب مقدمة لانجيل برنابا الذى اكتشفه وأعاد طبعه بالعربية ، وفى هذا العام تحدث عن المسلمون والقبط بمناسبة مؤتمر الاقباط ومؤتمر المصريين ورد الشبهات التى يرددها الافرنج على بعض آيات القرآن والعلم ، وقد قدم الدكتور محمد توفيق صدقى فصولا متوالية عن قضايا مثارة فى القرآن والكتب المقدسة ، منها : ذو القرنين ، والسامرى والعجل ، وميراث بنى اسرائيل ، وموت سليمان ، ويفسر آيات عدم صلب المسيح ، وهامان وزير فرعون ، وأموال قارون ، والبعث الجسمانى .

ويعد العام الحادى عشر أخطر سنوات المنار فقد برز فيه مفهوم حزب الاصلاح فى مهاجمته السياسة للحزب الوطنى ، وللاتحادين فى تركيا ، ومهاجمة الخرافات والدجاجلة والمقلدون والانطلاق تحت لواء السنة والتنزيل على حد تعبير رشيد رضا :

« لا خوف على الحق الا مع الاستبداد ، بمنع حرية العلم والارشاد »

وقال لا تخاف على دعوة الاصلاح فى هذه البلاد ـ يقصد مصر .

وقال : ان للاسلام ثلاث مراتب أو مظاهر (١) التقليد : وعليه أكثر المسلمين المعتقدين (٢) البصيرة : وعليها نفر من العلماء المتخصصين (٣) والجنسية : التى تشمل المارقين من المتفرنجين ، ويقول : ان المتفرنجين يفتنون العامة عن تقاليدهم باسم المدنية وشبه العلوم والفنون العصرية ويحلون جنسهم الاسلام بدعوتهم الى الجنسية الوطنية ، وقال ان مصارعة الجنسية الوطنية للجنسية الاسلامية : مجهولة العواقب ويقول : لا تغرنكم عوامل المدنية ولا تفتنكم سلطة الأمم الأوربية وان الفساد قد طرأ على جسم هذه الأمة منذ زمن بعيد فهو يحتاج الى تكوين جديد « ومن المبشرات أن نرى المسلمين قد تنبهوا الى الحاجة الى هذا التكوين ولكن اختلفت فيه الآراء وعبثت به الأهواء . الى أن ينهض زعيم من الأمة يدعو المنار الى اقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفتح باب المناظرة التى تعلم كل واحد من المناظرين ما لم يكن يعلم ، وقطع ألسنة أهل الدعوى والمعتنقين للهوى من غير بينة فيما يقولون ، ودعا الى انتقاد المنار بتحرى الحق والارشاد فى كل ما يكتب ، ويعتقد اننا عرضة للخطأ مهما بذلنا من الجهد فى تحرى الاصابة ، وغرضنا من الانتقاد تكميل أنفسنا ومساعدتنا على ما نتوخاه من الارشاد .

وقد توفى الزعيم مصطفى كامل رئيس الحزب الوطنى فى هذا العام ونعاه رشيد رضا وحياه بتقدير بالغ بالرغم من خلافهما السياسى والثقافى وأشار الى « أن دعوته كانت موجهة لجعل الوطنية جنسية للمسلمين فأنكرتها فى المنار بالبرهان البين وأكثرت من الكتابة فيها ، وقال كما انتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب أن فى مصر من يسعى لها سعيها وبينت وجه الضرر فكبر ذلك عليه وقطع المبادلة الصحفية » .

وفى خاتمة المنار عرض السيد رشيد رضا الى خطة العمل خلال العام الحادى عشر من المنار فقال . انها خير سنة مرت بنا نعدها فاتحة حياة جديدة لنا ولأمتنا ، كيف لا وهى سنة حكومة الشورى والدستور ومحو آية ليل الظلم بآية العدل والنور ويعلق على الدعوة المثارة الى اقامة تمثال للزعيم مصطفى كامل فيقول : المقلدون للفقهاء وهم السواد الأعظم وفقهاء

المذاهب الأربعة وهؤلاء يحرمون نصب التماثيل والثانى المتبعون للدليل .
ان نصب تمثال لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثنى الذى يعترف المنتقد بأنه على خط نصب التماثيل ، ويقول : ان كثيرا من الأصنام التى عبدت كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما دنيويا ولما طال عليها العهد عبدت وصار يتوسل بها الى الله ، وتطلب منها الحاجات فسد الدين هذا الباب سدا محكما .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : مصطفى كامل ، خير الدين التونسى ، فتحى زغلول ، حفنى ناصف ، سليم البشرى ، قاسم أمين .

م ١٢ (١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٩ م)

فى هذا العام يقع أعظم حدث فى تاريخ المنطقة وهو اسقاط السلطان عبد الحميد ، ويولى المنار الاهتمام البالغ لهذا الأمرويظهر فرحته الشديدة ، ويكشف عن تاريخ طويل كان بداية فى السنوات الماضية حينما كان يتحدث عن الاستبداد وسلطان الملوك والحكام وكان يقصد به السلطان عبد الحميد، وتتابع المنار وقائع الأحداث بتوسع كبير فالمعروف أن السيد رشيد رضا من اقليم الشام الذى كان له خلاف عميق مع الدولة العثمانية لن ينتهى بسقوط عبد الحميد بل ربما يكون قد بدا فى عهد الاتحاديين الذين خدعوا صاحب المنار كما خدعوا كثيرين بمظهرهم فى أول الأمر ، ولذلك فقد سارع السيد رشيد رضا بالسفر الى الأستانة لبحث أمور الدعوة الاسلامية والتعرف على وجهة الاتحاديين وكان هدفه من ذلك التقريب بين العرب والترك وانشاء مدرسة الارشاد الاسلامية العليا لتخريج دعاة اسلاميين ليبشرون فى البلاد الاسلامية وقد جامله الاتحاديون دون أن يحققوا له أى هدف ولم يكشفوا عن أوراقهم ولا أهدافهم التى تكشفها الأيام من بعد .

وفى هذا المجلد دراسات وافرة عن الاتحاد والترقى ، والعرب والترك ، وعن السلطان عبد الحميد ، وعن آل عثمان وملكهم ، والولايات العثمانية واستقلالها والانقلاب العثمانى وصداه فى الصحف الهندية وغيرها، وعشرات الموضوعات حول هذا الشأن وعن السلطان محمد رشاد خليفة المسلمين الجديد وشريف مكة وشيخ الاسلام ، والعرب والعثمانيون واللغة العربية مما ينتفع به أى دارس لهذه المرحلة .

ولم يمنع هذا من استمرار المنار فى أبوابها العامة وموضوعاتها التى سبق أن طرقتها وواصلت دراستها وخاصة ما يتعلق بمقارنات الأديان وأهل الكتاب ، وما يتعلق بالباطنية والمتصوفة ، وبالتعصب الدينى عند الافرنج وعن أوربا والاسلام وعن الدعوة الى الاصلاح الاسلامى وما يتصل بالقرآن واللغة العربية والتعليم والتربية الاسلامية وأدب المرأة وكتابات باحثة البادية ، وعرض بعض كتب التراث الاسلامى المجدد وخاصة ما يتعلق بالتوحيد وتحرير المفهوم الاسلامى على النحو الذى يؤمن به أهل السنة والجماعة ، كما عرض للتبشير ومدارسه وللمدرسة الكلية الأمريكية فى بيروت ومدارس النصارى ،

وواصل دراسته للامام الغزالى وكتب عن ابن تيمية والشافعى ، وقضية النسخ فى القرآن ، وفتاوى ابن تيمية ، كما عرض لسندات البنوك وموقف الاسلام منها ، وموقف الاسلام عن نظرية داروين وقدم دراسات عن شخصيات مختلفة منها حسين الجسر بمناسبة وفاته ، والأستاذ الامام وسليم البشرى شيخ الأزهر وشبلى شميل ومحمود شوكت قائد الانقلاب .

وأصبح المنار يولى اهتماما بموقف اليهود من البلاد الاسلامية والقضايا التاريخية وقد كتب عن رحلة القسطنطية فصولا اضافية أشار فيها الى أن رحلته كانت « من أجل أمرين عظيمين أحدهما وهو أجلهما خدمة الدين الاسلامى وتجميع المسلمين ، وثانيهما خدمة للدولة العليه من حيث هى حكومة الدستور القائم على العدل والمساواة ولعنصرى الأمة العثمانيين الكبيرين : أما الأول فهو انشاء معهد دينى علمى فى العاصمة العثمانية للتربية الاسلامية الصحيحة الكاملة بالتزام آداب الاسلام العالية والجمع بين هذه التربية والتعليم الاسلامى ومن منافع المعهد الاسلامى تعزيز دولة الخلافة وتأييدها بجعل عاصمتها منبعا للاسلام وكعبة معنوية لطلاب علومه وآدابه وتخريج العلماء الذين يقدرون على الدفاع عن الدين على النحو الذى كان يدفع به محمد عبده مثل رنان وهانوتو وتخريج الدعاة الى الخير والمرشدين للأمة . ليس الغرض أن تكون الحكومة العثمانية هى التى تنشىء المعهد الاسلامى فان الحكومات تعجز ، وانما الغرض أن يقوم بهذا العمل جمعية من محبى الاصلاح العلماء الصلحاء . عرضت المشروع على رئيس حكومتها الصدر الأعظم حسن حلمى ، ومنهم محمود شوكت وأعضاء

مجلس الأمة واشهر رجال جمعية الاتحاد والترقى فكلهم أظهروا الاعجاب به والاعتراف بفوائده .

أما الأمر الآخر « فهو ازالة سوء التفاهم بين عنصرى الدولة ، الأكبرين : العرب والترك . وقد شرحت هذا فى مقال مطول نشرته جريدة اقدام فصادف استحسانا والمشهور عندنا عن ساسة الترك أنهم يخافون ويحذرون من قيام العرب بتكوين دولة عربية أو خلافة عربية فى جزيرتهم وأن هذا الخوف قديم وقد قدمت الأدلة على كذب هذا الادعاء .

« ان جميع من أعرف من عقلاء العرب متفقون معى على وجوب تدارك ما قوى الآن من سوء التفاهم ولما جئت الأستانة رأيت كثيرا من عقلاء الترك يميلون الى هذا . وبلغ من سوء ظن بعض ساسة الترك بالعرب ما أشرنا اليه ولاسيما مسالة الشام ، بلغ من سوء ظن العرب بالترك أن قال لى أكثر من واحد من أذكيائهم ، وأهل الرأى منهم بمصر والأستانة أن وزراء الدولة ورجال جمعية الاتحاد والترقى لا يقدرون مشروعيك الاصلاحيين حق قدرهما ولا يعرفون فيه اخلاصك لانك عربى » .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : رفيق العظم ، حسين الجسر ، جمال الدين القاسمى ، سليم البشرى .

م ١٣ (١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م)

تابع السيد رشيد رضا فى هذاالمجلد خطته الاصلاحية فى مجالاتها المختلفة فاولى اهتمامه للقضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية فى الوطن الاسلامى كله وسافر خلال هذا العام الى القسطنطينية ليكتشف الحكومة الاتحادية التى تولت شئون السلطة بعد عزل السلطان عبد الحميد وكان من المؤيدين لها فى حماس شديد غير أنه لم يلبث أن غير رأيه بعد أن اكتشف حقيقة موقفهم من الاسلام وتابع قضية الدولة العثمانية كقضية أساسية (باعتباره سوريا فى الأصل) وباعتبار أن الدولة العثمانية هى مفتاح السياسة الاسلامية كلها لوجود دولة الخلافة بها ولارتباط البلاد العربية معها كما عرض لموقف انكلترا من الاسلام .

وتابع انتشار الاسلام فى أفريقية وأمريكا وأوربا وكشف صفحات عن تعصب أوربا عن الاسلام كما عرض لبعض شهادات المنصفين وعن مهدى

السودان ومسلمو جاوه وروسيا والنمسا والهند ، كما عرض لقضية الاصلاح الاسلامى ، وتحدث عن الشريعة الاسلامية والحكومة الاسلامية والاقتصاد ،

كما أولى اللغة العربية اهتماما بالغا وقدم عددا من الأبحاث وما يتصل بالتربية الاسلامية والأزهر ودعاوى اصلاح نظم التعليم فى المدارس الدينية

وتابع مقارنات الاديان بالرد على المبشرين من خلال نشراتهم وكتبهم المهاجمة للاسلام وتعرض لما قدمه علماء الغرب من حقائق جديدة حول الكتب المقدسة (التوراه والانجيل) وما يتصل بأهل الكتاب وما يتصل بجريدة الوطن القبطية وموقفها من العرب ومن التراث الاسلامى وتناول ما يتصل بتحريف التوراه وضياعها .

وتناول الزنادقة أمثال جميل الزهاوى فى حملته على الشريعة الاسلامية ودعوته الى سفور المرأة كما تناول صلته بشبلى شميل .

كما تناول البابية والبهائية والباطنية وتحدث عن المجوس ونبوءة زرادشت .

ومن ناحية أخرى واجه المتصوفة وأفكارهم وحجج المعتزلة أيضا فى محاولة للكشف عن جوهر مفهوم أهل السنة والجماعة وتناول التأويل ومعناه فى القرآن ، والمذاهب واختلافها ودعا الى توحيد المذاهب الاسلامية.

وعرض لأحوال المجتمع الاسلامى فى مصر وحرية الفتيات والبغاء وتحدث عن المتفرنجون والنساء النواشز .

كما تحدث عن المرأة المصرية وباحثة البادية .

ومن ناحية أخرى فقد قدم عرضا لكل كتب التراث المجددة والمؤلفات الاسلامية التى ازدادت واتسع نطاقها على مدى الأيام ومن هذه الكتب : الاسلام ومستر سكوت والفرق بين الفرق ، والحصون المنيعة ومبادىء الفلسفة القديمة وميزان العمل .

كما قدم محاضرة المستشرق مونتيه عن الاسلام ودراسات عن ابن تيمية وابن حجر الهيثمى وابن خلدون .

وكانت دعوة المنار فى افتتاحية هذا العام الى التعاون على البر والتقوى والاجتماع على توحيد طريق التربية والتعليم ودعا المسلمين الى

الجمع بين علوم الدنيا والدين « قبل أن يغلبكم على الأمة أهل التربية المادية المضطربة والتعاليم التقليدية ، أولئك الذين تحولوا عن التقاليد الاسلامية الى التقاليد الأفرنجية الصورية فهم يدحرجون الأمة من تقليد الى تقليد ويقذفوق بالغيب من مكان بعيد » .

ويقول : « لا نجالد أعداء الاصلاح بسيف ولا أسنان وانما نجادلهم بالحجة والبرهان ونحاكمهم الى السنة والقرآن ونصبر على ما أذونا ولكنا لا نترك أمر الأمة فى التربية والتعليم يتنازعه التفرنج الحديث والجمود القديم » .

وينادى : « يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم فصار حجة عليكم . أخبركم الله أن الأرض يرثها عباده الصالحون ، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فما بال الناس يرثون أرضكم ويخلفونكم فى ملككم وأنتم لا ترثون أرضا ، بل لا تحفظون ارثا ومالهم يسلكون كل سبيل للافتيات عليكم وما بالكم تخربون بيوتكم بأيديكم وأيديهم ، كيف ذهبت عزتكم ، لقد تنبه الوثنيون وأنتم غافلون ، واجتمع اليهود وأنتم متفرقون ، وسبق النصارى وأنتم متخلفون ، وها أنتم هؤلاء تستيقظون فان سرتم الهوينا فالناس مجدون ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم ، وبأحوال الأمم فى عصركم ، وتدبروا القرآن وما فيه من سنن الله فى نوع الانسان وفقدان الأقران واستدارة الزمان » .

ويقول : كتبنا ثلاثة أرباع هذا المجلد فى القسطنطينية ، تارة فى فنادقها وتارة فى المراكب البخارية التى يجول فى رفاقها (البسفور) ولم يتيسر لنا تصحيح أكثر ما كتبناه .

وفى هذا المجلد دعوات واضحة :

١ ــ الى مسألة العناية باللغة العربية فى البلاد العثمانية وتقوية الرابطة بين الترك والعرب التى سعى لها سعيا منذ قدم دار السلطة وبعد أن تقرر أن تكون اللغة العربية رسمية فى الدولة كاللغة العثمانية بحيث يكون للدولة لغتان رسميتان كما اهتم باصلاح الخط العربى وقدم بحثا لجبر ضومط فى هذا الصدد وبحث فى أطوار اللغة العربية للخضر حسين وقد وضح الاهتمام باللغة العربية فى هذا العام .

٢ — السعى لحسن التفاهم بين العرب والترك ، كان أحد القصدين من رحلتنا الى دار السلطنة ، والرد على صاحب جريدة اقدام على ما كتب فى شأن العرب وعرض مقالات عليه فى حسن التفاهم بين العنصرين اللذين هما قوام الدولة العثمانية وقد نشر المقدمات وامتنع عن نشر المقصد الذى فيه بيـــان أسباب سوء التفاهم وطرق تداركها ومنها مسألة تنقيح اللغـــة التركية وحذف الألفاظ العربية منها وقال ان هذه أمور ليس له حق البحث فيها واستمراره فى نشر مقالاته الجنسية بقلمه وقلم أعوانه فى الطعن على العرب ، وقد دفع الحماسة بعض السكان العرب الى اقتحام ادارة جريدة اقدام وأهانة صاحبها وتحقيره .

٣ — بالنسبة لمشروع دار العلم والارشاد ، حدث ما أيأســـنى من مساعدة الحكومة العثمانيه بعد وعدها القطعى أو كاد .

٤ — تناول الرد على هجوم الجريدة القبطية على مشروع احيــــاء الآداب العربية ، كما تناول الرد على تبلى شميل والمقتطف فى شأن الالحاد ورد على سلامة موسى ودحض آرائه فى كتابه مقدمة السبرمان التى تتلخص فى نظريه نيتشه فى محو الضعفاء وتنمية قوة الأقوياء ، وقد اشار ســـلامه موسى الى آراء نيتشة وبليك وشوبنهور من أصحاب الفلسفة الشـــاذة : وقال : المتفرنجون منا يرون تعميم ما يرون لهم فى كل بقعة من بقاع الشرق ناصبين أنفسهم من أمتهم منصب المصلحين النافعين ، وانما هم من المقلدين المساكين الذين لم تقو عقولهم على تميز الغث من السمين .

٥ — كشف عن تعصب أوربا الدينى بالنسبة لمسلمين النمسا والمجر. وارغامهم على أحكام الزواج والطلاق المسيحية ، وأشار الى عمل الاستعمار فى أيقاظ الفتن وتغرير العرب وأغرائهم باخوتهم الترك ، والقاء الشقاق بين المسلمين والنصارى والنفخ فى روح العصبية الدينية بين الفريقين وعرض لبحث الفرنسى بوجيه فى الهجوم على الاسلام وأخطائه وسخافاته فى التعبير بكلمة (جمال مكة) وقد رد عليه الدكتور أحمد الشريف من تونس كما قـــدم بحثا للدكتور كارل كوم الذى يرى أن افريقيا عمـــا قريب ســـتكون قارة اسلامية محضه ما عدا جنوب افريقيا وأوغنده والحبشة .

المجلد الرابع عشر (١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م)

اتسع نطاق البحث فى المنار بالنسبة لقضايا الاصلاح الاسلامى وان ظل الشيخ محمد رشيد رضا هو كاتب معظم صفحات المنار غير أنه فى هذا العام ظهرت كتابات لأسماء لامعة ، منها : شكيب أرسلان ، عبد العزيز جاويش ، محمد توفيق صدقى ، محمود سالم ، محمود شوكت ، هبة الله الشهرستانى .

وكان أبرز أحداث العام : (١) المؤتمر القبطى والمؤتمر المصرى . (٢) طلائع الماسونية . (٣) دخول ايطاليا طرابلس الغرب . (٤) احتلال فرنسا للمغرب . (٥) اتساع نطاق التبشير فى السودان وجاوه . (٦) متابعة الباطنية والبهائية .

هذا وواصل المنار اهتمامه بقضاياه الاسلامية وخاصة : (١) التعليم والتربية والأزهر . (٢) الآداب العربية احيائها وتدريسها . (٣) مقارنات الأديان . (٤) الاستعمار وأثره فى العالم الاسلامى وموقف البلاد الاسلامية أمثال جاوه وجناية هولندا عليها ، والجزائر وكيف فتحتها فرنسا ، وايران بين انكلترا وروسيا وما يتعلق بروسيا فى التركمان وبخارى ومسلمو بلادها .

كما أولى اهتمامه بالاصلاح الدينى والاجتماعى فتحدث عن التقليد للافرنج والتفرنج ومضاره واللغة العربية ، وكان للدولة العثمانية وللاتحاديين قدر وافر فى الأبحاث ، فقد تكشفت حقائق كثيرة عن صلاتهم بالماسونية وتسليمهم طرابلس الغرب وتورطهم فى أعمال كثيرة تكشف حقدهم على العرب والاسلام ، والمؤلفات الجديدة وكتب التراث المبتعثة .

* * *

وقد استهل المجلد الرابع عشر على هذا النحو :

أحمد اللهم عودا على بدء ، أن وفقتنى لتأييد المصلحين والدعوة الى الاتحاد والائتلاف بين المسلمين فقد تم بفضلك وتوفيقك للمنار ثلاثة عشر عاما يدعو الى ذلك بدليلى النقل والعقل والأساليب المتنوعة من القول الفصل وأضرع اليك أن توفقنى على رأس العام الرابع عشر فى السعى اليه بالفعل ، وأن تظهر هذا الدين فى الآخرين كما أظهرته فى الأولين ، فقد بدأ غريبا وعاد كما بدأ فى غربته فأتم اللهم التشبيه باستتباع ذلك لظهوره وقوته وانصر دعاته الصادقين على أعدائه المنافقين ، الذين يلبسون

لباسه ويجهلون حقيقته ، المنكرون له حتى صدق عليهم ما قلته فى المتفرقين قبلهم : ((**يخربون بيوتهم بأيديهم**)) و ((**بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى**)) كلما داووا جرحا ظهرت جروح ، وكلما رقعوا فتقا ظهرت لهم فتوق ، وكثرت الدعاوى بالباطل ، وتطلعت رءوس الفتن واشتعلت نارها فى البانيا فحوران فاليمن ، يلبسون الحق بالباطل ويتصدون من يتبع أهواءهم من ظلوم أو ظالم يؤيدون المفسدين والمجرمين ويتحرقون على البرءاء الصالحين .

يا أهل القرآن : أقيموا القرآن وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان قد غلبتم على ما فرطتم فيه من حقكم ، فنزا على مصالحكم الملاحدة والفاسقون من قومكم ، وكانوا هم المنافذ والكوى لدخول سلطان الأجانب على أرضكم ، تركتم لهم دنياكم فطمعوا فى دينكم ، يريدون اطفاء نوره والاطاحة بوليه ونصيره)) .

وهكذا نجد السيد رشيد رضا يقظا واعيا لكل التيارات التى تهب من حوله غيورا على الدعوة الاسلامية ، يقول كلمة الحق بقدر المستطاع المسموح به فى هذه الظروف التى كان النفوذ الأجنبى مسيطرا على الرقابة الصحفية ، راسما بهذا العمل صورة حقيقية رائعة للعمل الاسلامى الذى يحمى مفهوم السنة والجماعة ويقاوم كلا التيارين : تيار الجمود والتقليد والجبرية الصوفية ، وكذلك تيار التبعية والتفرنج والتغريب والغزو الثقافى فى صوره المختلفة : من تبشير واستشراق ودعوات باطنية ومؤامرات الحادية واباحية ، وهو على ضعف المنار الشهرية التى لا توزع الا عددا قليلا يرسل بالبريد لمن يطلبه وليس لها نفوذ فى سوق الصحافة اليومية والأسبوعية التى تصدرها جهات أخرى فانه ثابت قوى متشبث بالدعوة غير طامع فى جاه أو مال أو شهرة ، وانما يضحى بكل شيء فى سبيل اثبات هذا الصوت الاسلامى واستمراره فى عناد واصرار .

وفى هذا العام يتفتح الكلام عن الصهيونية حيث تنشر جريدة الكرمل (نجيب الخورى) كتابه عن جمعية اليهود الصهيونية التى تسعى لتمليك اليهود بلاد فلسطين ، وما يتصل بالمشروع الأصفر (أى تمكين اليهود من زراعة أرض فلسطين) كذلك فان فى هذا العدد تنويه واسع بخطط الماسونية فى البلاد العثمانية بعد أن تكشف دورها فى مؤازرة الاتحاديين

وفى سيطرتهم على الدولة العثمانية ، وهو فى نفس الوقت يواصل قضية البهائية ويتحدث عن تطوراتها وخطورة الدور الذى تقوم به وما يتصل بميزرا محمد على الباب وادعائه النبوة ، كما يفضح دور الاتحاد والترقى والذى كان خافيا فى السنوات الأولى للانقلاب العثمانى والملىء بالحقد على العرب والعربية والاسلام والمندفع فى طريق العصبية والعنصرية وراء فكرة العودة الى الطورانية ومحاولة تتريك العرب وسحق لغتهم مع الاشارة الى دور اليهود الخطير .

ويعاود الحديث عن الجمعيات السرية التى لا يجوز للمسلم أن يدخل فيها ويتحالف مع أهلها وكيف أن ذلك مخالف للشرع ، فانه حين ذلك يطيعهم فيما يأمرونه به ، وهو مخالف لدينه ولوجهة أمته ، ويقول : لا ينبغى ان تدخل فى جمعية لا تعرف مقصدها ، لأنه ربما كان مقصدا محرما ، ولأنه لا يليق بالمسلم القيام بما يجهل حقيقته وعاقبته ، فان دخل فى جمعية على أنه ليس فيها شىء مخالف للشرع الثابت ثم ظهر له فيها ما يخالفه لم يستطع ازائه وجب عليه أن يتركها ويتبرأ منها .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : هبة الله الشهرستانى ، شكيب أرسلان ، جاويش ، محمد توفيق صدقى ، محمود سالم ، رياض باشا .

المجلد الخامس عشر (١٣٣٠ هـ ــ ١٩١٢ م)

تميز المنار بالتوسع الدائم والقدرة على تحديد أبحاثه عاما بعد عام مع تتابع حركة التغريب والغزو الثقافى ، ويرجع ذلك الى قدرة فائقة فى المتابعة فى مجاله ، فان المنار استطاع أن يحصل على عدد وافر من الدوريات التى تصدر فى أجزاء مختلفة فى العالم الاسلامى ، فهو يعلق عليها ويستخرج منها ما يخدم هدفه وليس أدل على ذلك من أنه يتابع أخبار المسلمين من المغرب الأقصى الى جاوه ، بتدقيق وتفصيل لكل الأحداث التى تمر به ، وهناك عدد من القراء المثقفين يراسلونه ويقدمون له القضايا المثارة ، فهو لا يغفل عن أى تطور سياسى أو اجتماعى فى هذه الأقطار على مستوى العالم الاسلامى كله ، هذا فضلا عن أنه يقدم أبواب متعددة يحشد لها قدرا آخر من المادة الاخبارية محولة الى فكر وخاصة باب (فتاوى المنار) التى يقدم فيها ظواهر البدع المثارة ويرد عليها ، وهو دائما مستفيض ، لا يمل تكرير المعانى العامة لمفاهيم الدعوة الاسلامية فى كل

مناسبة ، كما يقدم أهم الكتب وخاصة التراث المبتعث ، وأهم الوفيات وأهم الأحداث وعينه دائما على الأزهر والتعليم والتربية وعلى مقارنات الأديان وعلى مادة كتب النصارى والتبشير وما يكتبون ضد الاسلام ، ونجده فى هذا المجلد يولى اهتمامه بعدد من القضايا :

أولا : التبشير الغربى فى عالم الاسلام ، وقد أخذ ينشر كتابا من أخطر الكتب التى صدرت فى هذا الصدد وهو كتاب (الغارة على العالم الاسلامى) أو فتح العالم الاسلامى نقلا عن المؤيد .

ثانيا : النقد الموجه الى مؤلفات جرجى زيدان وفى مقدمتها كتاب التمدن الاسلامى وتاريخ آداب اللغة العربية ، وهما لباحثين كبيرين أحدهما شبلى النعمانى والآخر أحمد السكندرى .

ثالثا : بشائر عيسى ومحمد فى التوراة والانجيل وهى مجموعة مقالات هامة تتعلق بمقارنات الأديان يكتبها الدكتور محمد توفيق صدقى الطبيب الذى آمن بالاسلام وأخذ فى مراجعة تراث أهل الكتاب والكشف عنه وتابع هذا بنقد كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) كما تناول قصة بولس والمسيحية وبختنصر وتنكيله باليهود ودعاة النصرانية فى أفريقيا وقصة زويمر كبير المبشرين .

رابعا : متابعة أحداث العالم الاسلامى وفى مقدمتها الحرب الصليبية فى البلقان وأحداث فرنسا فى تونس وانجلترا فى مصر والمسألة الشرقية والمسلمون فى مجلس الدوما الروسى والانجليز فى جنوب ايران والخليج الفارسى والجامعتان الاسلامية والعثمانية ودعوة أحمد الشريف السنوسى لجهاد الايطاليين فى طرابلس الغرب .

خامسا : فى هذا المجلد انتهى ما قدمه الشيخ محمد عبده من حلقاته لتفسير القرآن ، حيث بدأت مقالات السيد رشيد رضا .

سادسا : أولى اهتمام كبيرا لقضية الدولة العثمانية والعرب وجماعة الاتحاد والترقى .

سابعا : تناول قضايا البهائية ، والفحش والفجور في كتب اليهود ، والفلبيفات وابن المقفع ، والتصوف واحصاء المسلمين ودعاة النصرانية ومصطفي كامل والجامعة الإسلامية وطريقة السنوسية وزواياها الممتدة من الاسكندرية الي درنة ، كما تحدث عن المستشرق فامبري الذي خدع

السلطان عبد الحميد ثم هاجمه بعد عزله ، وتحدث عن رحلة صاحب المنار الى الهند ، كما تحدث عن المستشرق لويس ماسينيون .

ثامنا : تناول بالعرض أغلب الكتب الصـــادرة والتى تتصل بالدعوة الاسلامية : ميزان الجرح والتعديل للقاسمى — الحراب فى صدر البهـــاء والباب — رباعيات الخيام — العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية .

● ترجم صاحب المنار فى هـــذا المجلد لـــ : مصطفى كامل ، شبلى النعمانى ، أحمد الشريف السنوسى . وقد استهل العدد الأول من المجلد الخامس عشر بافتتاحية قال فيها :

قطع المنار هـــذا الطور الأول من حياته وحده فدرج درجان الطفـــل غادر مهده الى أن بلغ رشده ، فلا أخـــذ بيده أمير ولا أعانه وزير ولا أمده غنى كبير اللهم الا مصطفى رياض باشا تغمـــده الله برحمتـــه (اشتراك فى خمسة عشر نسخة) ، ورياض باشـــا هو الذى أخـــذ بأيدى الصحف الكبرى أيام وزارته سواء كانوا من نصارى السوريين أو القبط المسلمين فهو صاحب الفضل الأول على الأهرام والمقتطف وجريدتى الوطن فالمؤيد ساعد هذه الصحف مساعدة الوزير النافذ ارادته المسموعة كلمته .

والسيد رشيد يشكو دائما مطل المشتركين وخاصة من رجال الطبقة العالية كالمدرسين والمؤلفين والقضاه . ويقول : ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقبل الراحلة من أبى بكر يوم الهجرة الا بثمنها . وكان النبى يحتاج الى النفقة على أهله أحيانا فيقترض من اليهود وكان يجزى عـــلى الهدايا ولا يقبل الصدقة البتة .

ويقسم الناس الى أقسام ، فمنهم من هو ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله . ويقول : ان المصلحين هم الأمة الوسط التى تجمع بين مطالب الروح والجسد وتقيم أمر الدنيا والدين كما هدى اليه الكتاب المبين ، والمنار هو لسان حال هـــذا الحزب الذى يزداد أهله نموا فى الأرض .

المجلد السادس عشر (١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م)

تميز هذا المجلد بدراسات أساسية :

أولا : دراسة كاملة عن الاتحاديين حكام الدولة العثمانية وتفريطهم فى بلاد الاسلام (طرابلس الغرب ، البلقان ، البلاد العربية ، الخليج) ودراسة عن عناصر المملكة (الأرمن والأرناؤوط) وجمعية الاتحاد والترقى وحزب اللامركزية وحديث عن الحرب البلقانية وموقف مسلمى روسيا من السلطان عبد الحميد وتفريط الاتحاديين فى حقوق الدولة فى خليج فارس والعراق .

ثانيا : الاهتمام بدراسة تاريخ الجهمية والمعتزلة (جمال الدين القاسمى) وحديث مطول عن واصل بن عطاء ، وما يتصل بالجعد بن درهم والمأمون ودعوته الى مذهب الجهمية وخلق القرآن وواصل بن عطاء .

ثالثا : مقارنات الأديان ، والمسيحية وقضاياها ، وبولس والتثليث ، وانجيل برنابا والتوراة والانجيل ، والسيد المسيح وكتب أهل الكتاب والبارقليط المذكور فى الكتب القديمة (سيدنا محمد) وقصة صلب المسيح وقيامته ، وعقائد النصرانية .

رابعا : أحاديث كثيرة عن الشيخ محمد عبده ، وعلى يوسف ، ومصطفى كامل ، وأحمد حشمت ، وادريسى عسير ، ومحمود شوكت ، ومحمد فريد ، ومحمد عبده ، وخريستنوس جبارة ، وابن الرشيد ، وأحاديث عن الشيخ عبد العزيز جاويش واصداره المجلة العربية فى الآستانة .

خامسا : دراسات عن قضايا العالم الاسلامى مع الاستعمار وحديث عن الاتفاق التركى الانجليزى على خليج شط العرب وفارس وأثره على بلاد العرب واستيلاء ابن سعود على الاحساء ، وقضية الأمة الهندية الشرقية مع الحكومة الهولندية وتحويل الأوقاف فى مصر الى نظارة .

سادسا : حديث عن المسألة العربية عند الاتحاديين والمؤتمر الدولى فى باريس وسياسة الأمة العربية فى حرب اللامركزية وقضية الجنسية واللغة ، والعرب والعربية وتتريك مسلمي العثمانيين .

سابعا : أحاديث عن الكتب وفى مقدمتها كتاب فتحي زغلول : سر تقدم الانجليز والاحتفال بمؤلفه .

● ترجم صاحب المنار لـــ : أمير على ، ادريسى عسير ، على يوسف ، مصطفى كامل ، عبد العزيز جاويش ، محمد فريد ، جمال الدين القاسمى ، فتحى زغلول ، محمود شوكت .

وفى فاتحة المنار قال السيد رشيد رضا :

ان صوت الاصـــلاح الدينى قد علا كل صوت فى الأقطار الاسلامية التى بلغتها دعوته وهزتهـــا صيحته ، فخفتت دونه أصـــوات الحشوية الجامدين والدجاجلة المحترفين وقد خذل الله بيروت فى العام الماضى أشدهم افكا وتحريفا .

وتحدث عن الاسلام التقليدى ، والاسلام البرهانى فقال : أصحاب الاسلام التقليدى يفتنون بالشبهات المادية التى يبثها فيهم حمـــلة قشور العلوم العصرية ومنهم من يشككون فى الاســـلام بمطاعن دعاة النصرانيـــة ولا يتصدون للرد على تلك الشبهات ، وقصارى ما عندهم أن يقولوا للعوام ان جميع العـــلوم الطبيعية باطلة وأن تعليمهـــا كفر ويتعلمهـــا زنادقة . ويزعم هؤلاء الدجالون أن الضلال كل الضلال هو ما يدعو اليـــه المعلمون من هدى الكتاب والسنة على النحو الذى كان عليه الصدر الأول من الأمة ونبذ كل ما استحدثه الخلف مخالفا لما كان عليه السلف عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » . وتحدث عن ظهور الفئة الباغية الاسلامية فى الظاهر والاتحادية فى الباطن اذ تمدح الاسلام وتنفر من الأعمال التى تحييه وتطعن فى القائمين بهـــا وتدعو الى الجامعة الاسلامية وتلقى الشقاق بين العاملين لها وتزاحم أهلها المصلحين وهم المفسدين .

وقال ان الأمر يحتاج الى ضروب من الاصـــلاح يمد بعضها بعضـــا وأصولها خمسة : (الدينى ــ العلمى ــ الاجتماعى ــ السياسى ــ المالى) وقد تداعت هذه الأصول كلها فى العالم الاسلامى ولا يسهل اقامة بعضها الا باقامة باقيها . وأشار الى أنه ما أن لاحت من الآســـتانة بارقة الأمل فى الاصلاح السياسى حتى أردنا أن ننشىء فيها عملا كبيرا من الاصـــلاح الدينى والعلمى الذى هو أكبر عون على غيره ولاسيما الاصلاح الاجتماعى . ثم أصبح سرابا هذا الانقلاب الذى حسبنا أن وراءه ما نرجو من الاصلاح فكان بسوء تصرف ذويه عن الافساد وقد أنذرنا الأمة سوء عاقبته ، والخطر

الأكبر هو افسادهم السياسى الذى فتح علينا باب المسألة الشرقية حيث فقدت المملكة طرابلس الغرب الافريقيـــة وثنت بولايات الدولة الأوربيـــة ونخشى أن تفلت الولايات الآسيوية » .

المجلد السابع عشر (١٢٩٢ هـ — ١٩١٣ م)

تابع السيد رشيد رضا قضايا الساعة ، وفى مقدمتها :

١ — قضية الدولة العثمانيـــة والاتحـــاديين وموقفهم من العـــرب وتناول قضية الجنسيات فى المملكة العثمانية والامتيازات الأجنبيـــة وكيف دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية .

٢ — قضية الصهيونية والبروجرام الصهيونى السـياسى (بقـلم اوسشكين) وتحدث عن العقبات الحائلة دون امتلاك اليهود للبلاد المقدسة ، ونصوص التوراة فى كون البلاد المقدسة لنسل ابراهيم .

٣ — الرد على المبشرين والمستشرقين : حيث قدم عددا من الأبحاث فى مقدمتها كتاب (الرد المتين على مقدمات المبشرين ، مقـام عيسى عليه السـلام فى النصرانيـــة والاســلام ، وناقش دعاة النصرانية ونشر كتاب كريستان سنوك هونجرج الهولندى (الاســلام يقاوم نفوذ النصرانيـــة) وتحريف التوراة .

٤ — رد على البهائيين ودعاة البهائية ، والباطنية وعلاة الصوفية ، وتقديم فصول من كتاب مدارج السائلين لابن القيم الجوزية عن التصوف الاسلامى الصحيح .

٥ — تركيز الدعوة الاسلاميـــة وتصحيـــح العقـــائد ، والرد على الجهمية والمعتزلة ، والحلاج والحديث عن دعاة الاســلام الأبرار احمـــد ابن حنبل وابن تيميه وأبى حنيفة والامام الشافعى ، والغزالى والأشعرى فى أبحاث مستفيضة عن تاريخهم ودورهم .

٧ — الحديث عن لورد كرومر ورأيه فى الشيخ محمد عبده ، ولورد هدلى واسلامه ، وترجمة أحمـــد فتحى زغلول بمناسبة وفاته ، كما ترجم لعلى يوسف ومصطفى صادق المنفلوطى وجمال الدين القاسمى ، .

٨ — نقد آراء خصوم الاسلام والرد عليهم : رد على يوسف الخازن ولويس شيخو وسلامة موسى .

٩ — تحدث عن الشريعة الاسلامية وموقفها من الامتيازات الأجنبية ، وتفنيد مزاعم كاتب أمريكى عن الشريعة الاسلامية ، كما تحدث عن المعازف وآلات اللهو ، وعن التمثيل ، وتحرير المرأة والتفرنج .

١٠ — قدم عددا من الكتب وخاصة كتب التراث المبتشعة منها كتاب الاعتصام للامام الشاطبى ، وتاريخ الجهمية والمعتزلة ، ودين البهائية وانصاره ، والكشاف والبيضاوى ونقدهما .

١١ — ترجم فى هذا المجلد للشخصيات التالية : عزيز المصرى ، على يوسف ، عبد العزيز جاويش ، فؤاد سليم المصري ، مصطفي المنفلوطي ، احمد فتحي زغلول ، محمد جمال الدين القاسمي .

وقد افتتح مجلد المنار الأول من العام السابع عشر بافتتاحية جامعة جاء فيها :

نذكر قراء المنار على راس سنته السابعة عشر على نحو ما ذكرناهم به فى السنة الخالية من سوء عاقبة الافراط والتفريط اللذين رزئت بهما أمتهم الجاهلة الغافلة ، والافراط فى عبادة الهوى واتباع الشهوات والانهماك فى الفواحش والمنكرات والمحافظة على البدع وسيىء العادات والتفريط فى حقوق الله وحقوق الأمة ، وما يجب من التزام هدى الكتاب والسنة ومجاراة الأمم بما يستطاع من حول وقوة ولاسيما قوة الاعتصام والوحدة وقوة العلم والمعرفة ، وقوة الكسب والثروة ، ثم نذكرهم بتلك الآيات والعبر وهاتيك المواعظ والنذر ، وبما يفتنون به كل عام ، وما تسلب من ملكهم الأمم والأقوام وبيان سنن الله تعالى فى الطاغين والمسرفين . تركت هذه الأمة هداية القرآن ففاتها ما كانت نالت به من الملك والسلطان ، والعلم والوفاق ، والبسطة فى العمران ، وأمست غافلة عن سبب ذلك التوفيق وذلك الخذلان ، بل التى عليها أحقاب من الزمان لا تشعر بكنه هذا الخسران ، وقد استيقظ فيها الشعور بما فسد من أمر دنياها قبل الشعور بما كان سببا له من فساد أمر دينها وبما خسرت من سلطانها وأملاكها قبل الشعور بما خسرت من أخلاقها وملكاتها . ولما شعرت بالخطر على حياتها المادية والسياسية ، غافلة عن عللها الروحية وأسبابها المعنوية ، شرعت فى شيء من الاصلاح الصورى بدون أن تؤيده بروح الاصلاح المعنوى فعد السلطان محمود مصلحا بتغيير الزى الرسمى ونظام الجندية والسلطان

عبد المجيد مصلحا باعلان التنظيمات الخيرية والسلطان عبد الحميد مصلحا بانشاء نظارة العدلية ومصطفى رشيد باشا مصلحا بادخال الدولة العثمانية فى سلك الدول الأوربية ومدحت باشا وأعوانه مصلحين باقتباس القوانين الغربية الغريبة ، ومحمد على وأحفاده مصلحين بفرنجة البلاد المصرية ، والأمير عبد الرحمن خان مصلحا بالتأليف بين القبائل الأفغانية ، ولم تتوجه همة أحد الى اصلاح العادات والأخلاق وازالة البدع والمنكرات وجمع الكلمة التى فرقتها المذاهب واللغات فما زاد الأمر هذا الاصلاح الصورى الا ضروبا من الفساد ولا أفاد الدولة الا اضعاف الاستقلال واضاعة البلاد . ان أكثره كان ضروريا ولم يعد يمكن علاجا لهذه الأمة من طبيب اجتماعى عرف من أمراضها الظاهرى والباطنى فوصف لها من الدواء ما يزيل العلة ويحفظ البنية ، لذلك رأيناها بعد هذه المصالحات لم تزد الا مرضا ، وكان ما أدخل عليها من علوم الأمم القوية وقوانينها وآدابها كالجسم الغريب الذى يدخل فى البنية فيفسد مزاجها لأنه لم يكن على حسب استعدادها ، وحاجتها ، بل كان تقليدا صوريا أو عارضا وقتيا ، فمنه ما كان ضارا ومنه ما كان نافعا ، فأما الضار فأكبر ضرره التقاليد والقوانين الافرنجية التى قطعت كثيرا من روابط الأمة الملية وأزالت من مقوماتها ومشخصاتها الاجتماعية والأدبية ، ولم يستبدل بها ما يحل محلها من مقومات الأمم الأوربية بل صارت عيالا عليهم فى جميع الشؤون ، أما ما كان نافعا فقد كان نفعه موضعيا وعارضا لا دائما فكان عداوة ببعض أعراض الظاهرة بما يزيلها مع بقاء العلة فى الباطن ، وكلما داوت جرحا سال جرح . بنى محمد على ركنى الثروة والقوة على أساس العلم ، ولو أتم أحفاده ما بدأ ببناء ركنى الأخلاق والآداب على أساس الدين وسنن الاجتماع لتم لهم تكوين الأمة ولاستقام لهم بالأمة أمر الدولة ، فهذا العصر عصر الأمم والشعوب لا عصر الأمراء والملوك ، ولكن جميع اقيال المسلمين كانوا ولا يزالون عن هذا غافلين . لا صلاح للدولة الا بصلاح الأمة ، ولا صلاح لأمة الا اذا كان فيها بقية من أولى الرأى والعزم يأمرون بالصلاح وينهون عن الفساد فى الأرض ، زماننا زمان الجماعات العلمية والأدبية والسياسية والشركات الزراعية والصناعية والتجارية .

الا وان أمر « التربية والتعليم » هو أهم ما يجب ان يوكل الى الجماعات ولا يجوز ان يترك الى الأفراد ولا الى الحكومات لأن المدارس للأفراد

دكاكين لكسب المال والحكومات معامل لسبك العمال ، فكل من الفريقين يتوخى من التعليم منفعته الخاصة ، وان باينت مصلحة الأمة العامة ، وشر ما ابتلى به جماهير المسلمين من ترك تربيتهم النفسية والعقلية الى خصومهم فى السياسة والدين فأنى تصلح أمة تركت تجديدها وتكوينها الى من لا هم لهم الا ازالة ملكها ودينها والأمة تصلح بالتربية ونحن قد أفسدنا المربون ـ الافرنج المتفرنجون ـ وترتقى بالعلم ونحن قد ولانا العلماء المقلدون المفتونون ، وتقوى وتعتز بجميع المدارس لكلمتها ونحن قد أوهننا وشقت عصانا المدارس لأنها اما معاهد سياسية والحاد واما أديار وكنائس قد قطعت روابط الأمة الدينية والمدنية وفتنتها بالأهواء والشهوات الحيوانية وسرى سم تقليدها الى المدارس الأميرية والأهلية ، فالمتخرجون منها أقلهم الذين يسلمون ومنهم الملحدون ، وأكثرهم الفاسقون يجرفون ثروة الأمة الى الأجانب ويقذفونها بالفجور والنفوذ الأجنبى من كل جانب ويتغلبون فيها على المناصب فينالون منها جميع المآرب يحقرون لها سلفها ويعظمون فى نفسها كل ما هو أجنبى عليها فيقطعون جميع روابطها الملية ويزينون لها ذلك باسم المدنية ، فهم المنافذ والكوى التى يدخل منها الفساد ، وهم الآلات التى يستعين بها الأجانب على ادارة البلاد لأنهم تربية مدارسهم ، بل صنعة معاملهم أو الجيش السلمى لثكناتهم ، ولا يتم لهم ما يسمونه « الفتح السلمى » بدونهم ولأجل هذا ربوهم هذه التربية المذبذبة وحشوا مخيلاتهم بمسائل العلوم المضطربة فلا هم صاروا بها أوربيين ولا ظلوا مسلمين أو شرقيين ولكنهم لغرورهم باسم المدنية الافرنجية يفسدون على الأمة أمرها ويزعمون أنهم المصلحون لشأنها ، ولنذكر ما قالته مجلة العالم الاسلامى الفرنسية :

« اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى فى عاصمة السلطة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوى التى أسسها الأوربيون كان لها تأثير فى حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول أوربا كلها (الغارة على العالم الاسلامى) .

اننا فى أشد الحاجة الى الصناعات الافرنجية ، وما يتوقف عليه من العلوم والفنون العملية والى الاعتبار بتاريخهم وأطوار حكوماتهم وجماعاتهم ، ولكن يجب أن تقوم باقتباس ذلك جماعات منا يجمعون بينه

وبين حفظ مقوماتها ومشخصاتها . وأركانها اللغة والدين والشريعة والآداب (المراد بالشريعة أحكام المعاملات فى السياسة والقضاء والادارة والحرب) ولنا أن نستعين بأهل الفضيلة والاستقلال من رجالهم الذين ليس لهم فينا أهواء دينية ولا مطامع سياسية استعمارية وبهذا نكون مهتدين بما أمرنا (الله) به من السير فى الأرض والاعتبار بأحوال الأمم ونسبة سلفنا » أ . هـ .

ولك أنت أيها القارىء اليوم بعد سبعين عاما أن تجد ما قاله السـيد رشيد رضا لا يزال صالحا لنا ونحن مطالبون به وتجد هذا الكلام منطبـق على أجيال كثيرة رباها الاستعمار فى عصره ، سعد زغلول ولطفى السـيد وعبد العزيز فهمى ومن بعده طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق ثم الأجيال التالية من أتباع الماركسية والشعوبية .

الفصل الثالث

المنار : الى سقوط الخلافة الاسلامية

فى هذه المرحلة واصل المنار عمله وان كانت الحرب العالمية قد اثرت فى حجمه وفى انقطاع موارده المالية ولكن عزم السيد رشيد رضا وتصميمه كان فائقا فأنه تحمل ذلك فى قوة ومضى الى أداء رسالته فى عزم شديد وعنى بأحوال المسلمين خلال الحرب وحاول بعد الهدنة معالجة آثارها على مصر وعلى البلاد الاسلامية وأفاد من رفع الحظر على الصحافة وتخفيف الرقابة فعمد الى الكشف عن كثير من الأوضاع الاستعمارية التى لم يكن قادرا على كشفها فى وقتها وقد مضىيواجه الاتحاديين ومنبعدهمالكماليين حتى سقطت الخلافة الاسلامية وقامت بعدها دعوات خطيرة الى التغريب فى البلاد العربية وفى العالم الاسلامى وكان من أكبر ما أهمه قضيتى : البهائية والقاديانية فى هذه المرحلة .

م ١٨ (١٣٣٤ هـ — ١٩١٥ م)

يواصل السيد رشيد رضا نشاطه فى دعم الدعوة الاسلامية والاصلاح الاسلامى الدينى والاجتماعى بابتعاث المفهوم الاسلامى الصحيح : مفهوم أهل السنة والجماعة ، وقد توسع فى هذا الاتجاه فقدم أبحاث الشوكانى : وتحقيقه مسألة القياس ، ودرس الظاهرية وأصول الفقه عندهم وابن القيم وتحقيقه مسألة القياس والرأى وما أمتاز به على أستاذه ابن تيمية ، وقدم ابنحزم (مجدد القرن الخامس) فى المحلى ، وابن حجر العسقلانى وخدمته للسنة ، كما قدم الفخر الرازى وضعفه فى الحديث والفصاحة ، وقدم ترجمة أبو هريرة ، كما قدم ترجمة أبو الحسن : منذر بن سعيد البلوطى ، والشاطبى وما حرره فى مسألة المصالح ودراسة الأمام الشافعى وتناول ترجمة عمر بن عبد العزيز واجتهاد عمر بن الخطاب وقصة سليمان الحلبى وقصة الامام مالك ، ومذهبه فى التزام النصوص ، كما تناول الاسرائيليات وخرافاتها ، وتناول مفاهيم الاسلام ازاء الربا والفتح الاسلامى وسر أحكامه العسكرية ، ومن ناحية أخرى تناول كتب النصارى وقدم نقدا لها وتنزيه عيسى لربه وتنزيهه لنفسه وعرض لأخطاء الفرق وتناول الجهمية وتعطيلها

للصفات ، كما تحدث عن وحدة الوجود وأخطائها واليهود وما نزل بشأنهم فى سورة المائدة .

● ومن ناحية أخرى تحدث عن رجال العصر : محمد عبده وجملة آراء له فى العلم والدين ، ولقائه مع سبنسر وتحاورهما ، كما تحدث عن تاريخ علامة الاسلام فى الهند الشيخ شبلى النعمانى وعرض لآراء أحمد كمال بك عن اللغة العربية واسماعيل عاصم وجمال الدين القاسمى وعبد الفتاح عباده ومحمد توفيق صدقى ، كما قدم أبحاثا عن القلقشندى والجرجانى والفتح بن خاقان . وتعد قضايا اللغة العربية والحروف العربية أهم مواد هذا العام حيث تناول الحديث حروف الهجاء العربية والخط الكوفى وخط التعليق الديوانى . وعن كون اللغة العربية أقدم اللغات وعن الهيلوغريفية العربية الأصل . كما تحدث عن المدنيتان المصرية والبابلية وكيف أنهما عربيتان . وقدم كتاب على أبو الفتوح عن الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، كما قدم عرضا لكتاب الخراج لأبى يوسف ونشر صفحات مطولة عن احياء الكتب الاسلامية القديمة ، أمثال المحلى لابن حزم ومدارج السالكين لابن القيم وصبح الأعشى فى كتابه الانشا للقلقشندى والأحكام فى أصول الاحكام للآمدى والطراز فى أسرار البلاغة ليحيى بن حجى والخصائص لابن جنى والاعتصام للشاطبى .

كما تحدث عن المجتمع والمرأة وفرضى الآداب بمصر كما عرض فصولا عن رحلته الى الهند لرئاسة مؤتمر ندوة العلماء فى لكهنؤ .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : شبلى النعمانى ، أحمد كمال ، اسماعيل عاصم ، جمال الدين القاسمى ، عبد الفتاح عباده ، محمد توفيق صدقى ، على أبو الفتوح ، محمد عبده وسبنسر .

***

وقد تضمن المنار اشارات الى جعل مصر سلطنة تحت حماية بريطانيا (١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤) بعد دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا وانضمام عباس حلمى الخديو الى أعداء بريطانيا منذ أول نشوب الحرب مع ألمانيا واعلان الحماية البريطانية على البلاد تحت يد أمير من أمراء العائلة الخديوية (السلطان حسين كامل) وفى افتتاحية المنار قال السيد رشيد :

يا أيها الناس لا خير فى الحضارة المدنية اذا أقيمت على قواعد الاثرة والقوة المادية ولا خير فى العلوم ولا فى العمران اذا كانا وسيلة لاستعباد الانسان لأخيه الانسان أفلا يعلم الذين جعلوا الحق كله للقوة ، ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وانه بعبارة رءوف رحيم وانه أرحم الراحمين

ان الافساد كل الافساد أن تحتكر الشعوب العلم وتجعله ذريعة لبغى بعضها على بعض واستذلال الشعوب الضعيفة فى الأرض وتسخيرها لخدمتها كما تسخر الحيوان الأعجم .

يا أيها المغرورون بالعلم والقوة ، قد عرفتم القوى المادية لا تنسو القوى المعنوية ، ولا تنكروا سنن العدالة الالهية ، أتطالبون ربكم بما وعد المؤمنين ولا تطالبون أنفسكم بما فرضه وما شرطه على المؤمنين ، انما الخلافة فى الأرض بالصلاح والاصلاح ، انما يعتذر بالقدر من يبرىء نفسه ويتهم ربه .

اننا نحن مسلمى هذا العصر لا نستحق على الله تعالى نصيبا من الملك ولا خلافة فى شىء من الأرض لا بحسب سننه فى خلقه ولا بمقتضى وعده فى كتابه ، فاذا أعطى شيئا أو أبقى فتلك عنايته تعالى وفضله لا مما جعله وعدا عليه حقا ، وان الله تعالى ليبلو عباده بالحسنات كما يبلوهم بالسيئات ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، فتكون أحسن جزاء وخير أملا » .

وفى كل مرة يعاود السيد رشيد رضا دعوة القراء الى انتقاد المنار ويذكر القراء كل عام بما يحب من الانتقاد الذى هو ضرب من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمساعدة فى الدعوة الى الخير وبث النصيحة ونشر العلم .

كما يدعو الى اعادة الفكر الاسلامى الى الأصالة بالارتباط بمفهوم الكلمات والمصطلحات وفق السنة النبوية وعلى نفس الأساس الذى أقامه الرسول وخذلان المصطلحات الصوفية الضالة والمنحرفة .

المجلد التاسع عشر (١٣٣٤ هـ ـ ١٩١٦ م)

فى هذا المجلد بدأت جولة جديدة لصاحب المنار مع الشريف حسين ، الذى تولى امارة مكة ، كما تحدث عن الاتحاديين ، واتفاقهم السرى مع ألمانيا وتعريضهم الدولة للخراب ، وعن استقلالهم عن الدين وتركهم الحروف العربية وعن جامعتهم الطورانية وعن جمال باشا السفاك والجنسية التركية وفصلها عن الاسلام وعن الحركة الطورانية والدستور العثمانى وتقرير كيون هاهون فى الترك . كما عرض عن مرحلة من مراحل الخلاف بين الخديوى عباس والأستاذ الامام وصاحب المنار وسعى خواص الخديوى للتوفيق بينه وبين الامام وعرض موسع لاستقلال الشريف بالحجاز وما يتعلق بالمشانق التى علقها الاتحاديون لأحرار العرب فى سوريا ودراسة عن الزهراوى بمناسبة استشهاده ، وعرض لآراء الخواص فى استقلال الشريف فى الحجاز ومنشور شريف مكة وأميرها والحركة الطورانية الجديدة فى تركيا .

ولم يغفل صاحب المنار قضايا الدعوة الاسلامية فى معارضته للصوفية المنحرفه وكشفه لشبهات المبشرين وما يتصل بشبلى شميل وأهل الكتاب .

كما عرض لمناظرة جمال الدين وحسين الجسر ، وعرض لجوانب من آراء ابن تيميه وابن الجوزى وابن القيم وأبى حنيفة والبخارى ومسلم وابن جبير الأندلسى والألوسى المفسر .

كما عرض لكتب : تاريخ سينا القديم والحديث ، وتصحيح كتاب الأغانى وتصحيح لسان العرب وكتاب جزيرة العرب منذ فجر التاريخ ، كما عرف بكتابى منازل السائرين ومدارج السائلين لابن القيم والهروى فى الدعوة الى تحرير التصوف .

وعرض للمجمع اللغوى المأمول ، والكتب المعزوة الى غير مصنفيها .

كما أشار الى دعوة مرجليوت المستشرق اليهودى فى لندن بالاشتراك من أحمد زكى أبو شادى الى انشاء جمعية آداب اللغة العربية .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : عبد الحميد الزهراوى ، شبلى شميل ، حسين الجسر ، أنور باشا ، على يوسف .

***

وكتب السيد رشيد رضا فصلا مطولا عن دور المنار فى حركة الاصلاح الاسلامى فهاجم « الملاحدة المتفرنجون الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون » وقال ان حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمراء والحاكمين وذمهم بعصبية الدين وان لهؤلاء الملاحدة لقوة على غيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يغترون بها وان منهم من يكن للمؤمنين مكايد لا يفطنون لها وان للمؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها وانما بقاء الباطل فى غفلة الحق ، فاذا قذف عليه دفعه ، وان بقاء الباطل لألى زوال **(وما كيد الكافرين الا فى ضلال)** .

ويقول : ولقد كان ملاحدة قطرنا أجبن ملاحدة المسلمين وأخوفهم من اظهار الكفر على كونهم أجرأهم على الجهر بالفسق ، ثم تجرأ منهم منذ سنين أفراد على التصريح به ، أو ببعض لوازمه فى الجرائد بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك فى المجالس ومنهم من ألف كتبا أو رسائل فى ذلك ثم بلغنا فى العام الماضى أنهم ألفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس فى الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن فى عقائد الدين وأحكامه ولا سيما الآداب والأحكام الخاصة بالنساء ، وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (يقصد مجلة السفور) وبث الوساوس وتوجيه العناية فيها الى نابتة المدارس وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه والتنويه بالجديد والترغيب فيه وان لهم لأنصارا فى القصور والدواوين وفى المدارس وأكثر معاهد الدين ، وقد استفادوا من تقييد حرية المطبوعات بسبب الحرب ما كفوا به أقلام من تصدى لاحباط بعض دسائسهم من أهل الحق وانهم ليختلبون لباب المختبلين من الشباب والشابات بما ينمقون من زخرف الشبهات **(ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا)** الآية . ولهذا فقد وجب على أهل الاصلاح أخذ الأهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء مسلحون .

(انا لننصرن رسلنا) و (ولينصرن الله من ينصره) .

ان هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ما داموا يدعون الاسلام بألسنتهم ، ثم لا يعدمون هناك أولياء وأنصار لهم لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الأعمال من رابطة التناسب والاتصال .

ويقال ان لجمعية الالحاد الجديدة ركنا فى الأزهر ركينا وانهم بذلك

أوشكوا أن يحدثوا فيه حدثا مبينا ، ولكنهم لم يصيبوا منه الا خذلانا وفشلا مهينا .

قال أحدهم مفاكها للأستاذ الامام وهو فى مرض موته : ان طريقتك فى تفسير القرآن قد أضرت الأمة أشد الضرر ، قال الأستاذ : لماذا ؟ قال : لأنها أبانت للناس ان الدين موافق للعلم والعلم ركن من أركان المدنية فتعذر علينا ما كنا نحاول من هدمه بدعوى أنه عقبة فى سبيل ترقيتنا فى دنيانا ، ومنهم من يحاول هدم الاسلام بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن ، ومنهم من يبغى التشكيك فيه بنشر آراء الماديين من القدماء والأوربيين ، ومنهم من يصد عن حجته بتفصيل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته ، ومنهم من ينفر عما حرمه من آدابه الروحية والاجتماعية .

وبعد أن فرحنا بنصر الله لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين فقد ابتلينا بتكوين حزب للملاحدة المارقين توالد من أفراد من أغرار الشبان وكهول المنافقين فاذا ترك هؤلاء وشأنهم وسكت لهم أهل الحق عما ينفثون من سموم أباطيلهم تعظم جرأتهم وتنتشر دعوتهم وتكبر فتنتهم ، وليس الاستظهار عليهم بالأمر العسير فان حجتهم داحضة وغوايتهم متناقضة ، وغاياتهم متعارضة ، ويخافون الردة الصريحة .

أن ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ، ليس بالغرض الصحيح ، فهم لا يجدون فى الاسلام ولا فى رؤسائه تلك الأسباب التى حملت بعض كتاب أوربا على مجاهدة الكنيسة ورجالها والطعن فى النصرانية ، فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم الكونية وأوجب الفنون والصناعات المدنية وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى فضاء الحرية » .

المجلد العشرون (١٣٣٥ هـ ـ ١٩١٧ م)

دخل المنار عامه العشرين داعيا الى : الاعتصام بحبل الله المتين والاهتداء بنوره المبين والاستمساك بسنة رسوله الأمين والسير على نهج السلف الصالحين ناهيا عن الاحداث والبدع وتقليد الأحزاب والشيع ، مبينا أن الخير كل الخير فى اتباع من سلف وان الشر كل الشر فى ابتداع من خلف لأن الله تعالى قد أكمل الدين فلا يقبل زيادة كمال ، فالزيادة فيه

كالنقص منه خزى وضلال . ونحى المنار باللائمة على «فقدان الاستقلال فى الفهم والعلم والحكم وتقليد الآباء والأشياخ المتأخرين فى جميع أمور الدنيا والدين ، واشار الى جماعة المقلدين الذين فقدوا ملكة الاستنباط والاختراع فقد ساروا بحب الظاهر على الطريقة الثابتة بالعقل والاختبار ، وهى كون علوم المتأخرين وفنونهم اجدر بالثقة والاعتبار ، مع أن سنة الله فى التدرج والارتقاء على أنهم يعتقدون بحق أن متقدمى هذه الأمة خير من متأخريها فى جميع العلوم والأعمال وأن الخلف لم يسيروا على سنة السلف فى الاجتهاد والاستقلال ولو ساروا عليها لفاقوهم فى كل ما هو من كسب الناس » ويقول « اننا ندعو الى عقيدة السلف ونحن بها مؤمنون ونرشد من بلغته الدعوة الى سيرتهم الدينية ونحن على طريقها ان شاء الله مستقيمون » .

ومن ابرز اعمال هذا العـــام انشاء المجمع اللغوى المصرى من مجموعة من اعلام العصر : سليم البشرى ، محمد بخيت ، أحمد لطفى السيد ، محمد الببلاوى ، أحمد ابراهيم ، أحمد السكندرى ، أحمـــد برادة ، أحمد تيمور ، أحمد زكى ، أحمـــد سليمان ، احمد على ، أحمـــد كمال ، اسماعيل رأفت ، حفنى ناصف ، عبد الحميد فتحى ، عبد الحميد مصطفى ، عبد الرحمن قراعة ، عثمان فهمى ، فارس نمر ، محمد أمين واصف ، محمد رشيد رضا ، محمـــد شريف سليم ، محمـــد عاطف بركات ، مصطفى العنـــانى ، يعقوب صروف . وقد انشأ المجمع عديدا من اللجان ، منها : لجنة الجغرافيا والآثار والتاريخ ، ولجنة الطب والعلوم الطبيعية (عدا النبـــات) ، ولجنـــة المنطق والفلسفة والعلوم الاجتماعية ، ولجنة الفقه والقانون ، ولجنة العلوم الرياضية والفنون الجميلة والصناعة ، ولجنة اصطلاحات الدواوين . وقد أعلن أن المجمع سيعمل على وضـــع معجم واف بحاجة الزمن شامل اصطلاحات العـــلوم والفنـــون والصناعات يستبدل بالكلمة العامية أو الأعجمية التى لم تعرف من قبـــل ، غيرها من الألفاظ العربيـــة الموضوعة للدلالة على معناها ، فاذا لم يهتـــد ، أقر الكلمة العامية أو عرب الكلمة الأعجمية » .

وقد كان جل اهتمام المنار فى هذا العام بحديث نهاية الحرب العالمية والصلح وقيام الدولة العربية وبروز الصهيونية فى فلسطين .

المجلد الحادى والعشرون (١٣٣٧ هـ — ١٩١٨ م)

حفل المجلد الحادى والعشرين من المنار بأبحاث فى جميع المجالات التى طرقها منذ نشأته واستكتب عددا من الأعلام أمثال : عبد الرازق البيطار ، عبد الغنى الرافعى ، عبده ابراهيم الطبيب ، محمد توفيق صدقى ، أحمد صفوت .

وان ظل القدر الأكبر من انشاء المنار لصاحبه السيد رشيد رضا ، كما عرض لأعلام المسلمين البارزين في هذا العصر امثال : السلطان محمد وحيد الدين ، وعبد الحميد الزهراوي ، والشريف حسين امير مكة ، والأمير فيصل ، وجفني ناصف .

ومن ابرز أحداث العام : ظهور البلشفية فى روسيا والتقابل بين ابن سعود أمير نجد وشريف مكة وظفر الأول ، وتناول المنار قضايا الدعوة الاسلامية فتحدث عن الجبرية وشبهاتهم وعن الجعد بن درهم أول المبتدعة وجهم بن صفوان ونقل شيئا وافيا عن الأشعرى ومناظرته للجبائى وعن علاقة الأشعرى بالمعتزلة ثم خروجه عليهم ، وتحدث عن علم الكلام وابتداعه وذمه ، وتحدث عن انتشار الاسلام فى مطالعه بسرعة لم يعهد لها مثيل فى التاريخ .

كما تحدث عن قضايا المتفرنجين والاصلاح الاسلامى ، وابوة آدم للبشر ومذهب دارون ونقل تقرير مشيخة الأزهر عن التعليم الأولى ، وعرض اتفاق عام ١٩١٦ على بلاد العرب ، كما عرض قضايا سوريا الكبرى ، كما تحدث عن مذهب الوهابية وعقيدتهم .

وقد استهل المجلد بمقدمة استعرض فيها أحداث السنوات الأربع الأخيرة مثل عرش قياصرة الروس القاهرين وابعد القيصر وأهل بيته ، وتمزقت كبرى سلطنات امبراطوريات الأرض التى تصنع جمهوريات يسفك بعضها دماء بعض ، مثل عرش السلطة النمسوية وتمزقت الى عدة حكومات جمهورية وتدهور عن عرش أعز عاهل على وجه هذه الأرض بعد أن كاد يقضى على أكثر أمم الشرق مع الغرب ، وهو النافذ الحكم والارادة فى أوسع أمم الأرض علما وأدقهم نظاما فكان سقوطه كسلك انقطع فتناثرت الفرائد اذ سقط ملوك الجرمان وأمراؤهم واحد بعد واحد وتقلص ظل الترك عن بلاد العرب

والأرمن والأكراد التى سفك طغاتهم الاتحاديون فيها الدماء واكثروا فيها الفساد .

وقد ردد السيد رشيد رضا مبادىء المنار وهى :

١ ـ احياء مفاهيم السنة ومراجعة كتابات العلماء السابقة : (علم الكلام والأشعرى وغيره واعادة النظر فيها والاعتزال وغيره على نحو متحرر من التقليد ومفاهيم الصوفية المغرقة فى التقليد واعادة مفاهيم الأشعرى وابن تيميه وابن القيم) .

٢ ـ الرد على الجبرية والقدرية بسنن الله وآياته ، والرد على المتكلمين .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : حفنى ناصف ، الزهراوى ، الشريف حسين ، عبد الرازق البيطار ، عبد الغنى الرافعى ، عبده ابراهيم ، الألوسى .

المجلد الثاني والعشرون (١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢١ م)

ما تزال القضية الكبرى التى يعالجها السيد رشيد رضا والتى حقق فيها نتائج واسعة المدى هى قضية مذهب أهل السنة والجماعة وتحرير الفكر الاسلامى من جمود المتصوفة وانحرافات الباطنية مع الحملة الكاشفة عن أخطاء التغريبيين والذى يطلق عليهم اسم المتفرنجون .

وفى هذا المجلد حديث واسع عن الباطنية وكيدهم للاسلام والعرب ، والربط بين الباطنية والبراهمة والصوفية ، وانقسام المسلمين الى ٧٣ ملة ، والفرقة الناجية أتباع (السلف) ومنها الامام أحمد ورده على الزنادقة ، وأهل البدع واختلافهم ومطاعنهم ، وحديث عن الامام زيد وأتباعه ، وحديث عن القرآن وبراءته من الألفاظ الأعجمية ، والحديث عن الرازى وسعة اطلاعه وكثرة خطاه ، وحديث عن البخارى ومكانة صحيحه ، وتاريخ السنة ومعناه وأدواره ، وحديث عن كتب السنة ، مسلم والترمذى ، وحديث عن الشيعة وحصر الاسلام فى الامامة منهم ودسائس اليهود والمجوس ، وحديث عن مأتم عاشوراء واقتحام الشيعة النار فيه ، وحديث عن عبد الله ابن سبأ والوثنية وانتقالها للعرب وأهل الكتاب والمسلمين ، وعمرو بن لحى الخزاعى أول من غير دين اسماعيل ووضع الأصنام فى الكعبة ، وحديث عن المجوس وكيدهم للاسلام ، وكيد اليهود فالمجوس فالافرنج للمسلمين ، وحديث عن موقف النصارى من الاسلام ، وحديث عن أن الفينيقيون عرب

والكنعانيون عرب والأراميون من العرب ، وحديث عن حقيقة التصوف ومكانته من الشريعة ، هذا بالاضافة الى أحاديثه عن الأزهر والاصلاح الاسلامى .

ومن ناحية أخرى عرض المنار تاريخ هذه الفترة وأمر السياسة والحكم والدولة العثمانية فيها فتحدث عن الاتحاديين حكام تركيا وافسادهم فى الدول وبيعهم البلاد العربية للافرنج واتفاق عام ١٩١٦ على البلاد العربية ، واستعمار الغرب للشرقيين بعد الحرب ، وانكلترا واتفاقها مع فرنسا على اقتسام البلاد العربية ، واستخدامها شريف مكة واولاده ، وحديث عن الدولة العثمانية وغرور المسلمين بها واتكالهم عليها وظهور الحياة فيها بعد الاحتضار، وحديث عن شريف مكة واباؤه الاتفاق مع أمراء العربواتفاقه مع انجلترا ودخوله الحرب معها وعداوته للترك . وحديث عن مصطفى كمال باشا منقذ الترك وزعامته لجيش الأناضول .

هناك فصل مطول عن المسألة العربية وفصل عن المسألة المصرية وسعد زغلول .

● ترجم صاحب المنار فى هذا العدد لـ : أحمد كمال باشا الأثرى ، طاهر الجزارى ، سعد زغلول ، الشيخ بخيت .

وقد استفتح المجلد الثانى والعشرين فقال :

أنذرنا أكابر السياسة فى مثل هذه الفاتحة منذ عامين ان ترك تنفيذ قواعد العدل وحرية الأمم لابد لها من احدى العاقبتين : « ان لا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير وانقلاب بلشفى شره مستطر أو تعود العرب جذعة بهذه السياسة الخدعة الخبأة الطلعة (**والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**) وقد صدقت الآيات ولم تغن النذر واتبع المنذرون أهواءهم وكل أمر مستقر فهذه الأرض تضطرم نيران الفتن والفساد والانقلاب البلشفى كل يوم فى ازدياد ، ان الناس لن يكونوا أمة واحدة ولن تخضع الأمم منهم لأمة واحدة ويا أيها الرأسماليون والطامعون ان طلب الزيادة ينتهى بالوقوع فى النقصان وان السواد الأعظم من البشر لا يرضى أن يكون عبدا خادما لأفراد من الأعيان وان سنة رد الفعل سيكون لها القول الفصل والحكم العدل . وانت ايتها الأمة الأمية التى عاودها الارتكاس فى عصبية الجاهلية الى متى هذا التفرق والانقسام بعد ذلك السعادة والوحدة والاعتصام وحتى متى تلدغن من الجحر

الواحد مرارا عديدة وقد حذرت فى المرتين وسمعت النذر بالاذنين ورايت العبرة بالعينين ان كان لهم منك اى ولى وظهر ورايت فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فياقوم انى لكم ناصح امين على علم بالحق المبين ، من هداية القرآن أن لا تعبدوا الا الله ولا تيأسوا من روح الله (**وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله**) فقاتلوا أولياء الشيطان بما أمركم به الرحمن من غير تحريف ولا تصحيف فى القرآن .

وما لا أخصه بالتذكر لقومى وعشيرتى بما يشد أمر الجماعة ويضع عنها امرها ويحكم أواصر الجامعة ويرفع لها ذكرها (**ذلك بان الله لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم**) ، استدار الزمان ووقع من التطور الاجتماعى ما لم يكن فى الحسبان وسيترك ما بقى من صروح الاستبداد وينطلق سائر المستعبدين من مقاطر الاستعباد وبفضل التضافر والتظاهر والاتحاد . انما الذل والهوان على أهل النفاق والدهان والمتفرقين فى المذاهب والأديان المخدوعين بكلمة العدل والمدنية والمساواة والحرية ، انما المعاهدات حجة الأقوياء على الضعفاء .

هذا هو الطريق الذى بداه جمال الدين ومحمد عبده

م ٢٣ (١٣٤٠ — ١٩٢٢)

ارهاصات الأحداث واضحة فى المجلد . فهذا كتاب عن الخلافة الاسلامية للعلامة ابو الكلام ازاد ترجمة عبد الرازق المليح ابادى ، وقد جاء على أثر ذلك ان وقع الانقلاب التركى الجديد (نوفمبر ١٩٢٢) باسقاط الدولة العثمانية وتأسيس دولة تركية وجعل سلطة الخلافة العثمانية روحية بحرمان الخليفة من السلطتين التشريعية والتنفيذية عملا بقاعدة الديمقراطية الغربية .

وبدأ أثر ذلك واضحا فى مصر والبلاد العربية وحديث عن مؤتمر لوزان وفى نفس الوقت أحاديث عن البهائية بعد موت زعيمهم عباس البهاء وعن القاديانية التى أسماها (المسيحية الهندية) وحديث عن مجوسية الفرس وعن السياسة وتاريخها باعتبارها الضربة الأولى التى ضرب بها الاسلام وحديث عن مدينة القوانين التى أثارها محمود عزمى والسعى

لالغاء المحاكم الشرعية وما يتصل بذلك من انشاء جمعية الرابطة الشرقيـــة ومجلتها برئاســـة الشيخ على عبد الرازق وأحاديث أخـــرى عن كوارث سوريا فى سنوات الحرب وما فعـــله جمال باشا فى سوريا للأمير شـــكيب أرسلان ، والاحتفال بذكرى الامام محمد عبده وفتوى شـــيخ الاســـلام بأن الكماليين بغايا يجب قتالهم ، كما أورد الأحكام الشرعية المتعلقة بالخـــلافة الاســـــلامية .

وفى افتتاحة المجلد الثالث والعشرين حديث العام : ذهب طور الترف والفسوق المهلك للأمم والمفسد للحكومات والدول وصرنا الى طور الشدائد المجهضة للقلوب المدمرة لمصابيح العقول الموحدة لنار الهمم المظهرة لاستعداد الأمم بازالة الأحقاد وجمع الكلمة على الجهاد . ويقول : جرينا على منهـــج الامامين الحكيمين فى الدعوة الى الوحدة وجمع كلمة الأمة بالتذكير بآيات الله المنزلة فى القرآن وما هدى اليه من سنة المطردة فى أطوار الانسان .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : سعيد حليم .

الفصل الرابع

المنـــار : الى وفاة الشـــيخ رشـــيد

هذه المرحلة الأخيرة من حياة المنار كانت خصـبة حافلة ، فقد وقف السيد رشيد ازاء تحركات التغريب والغزو الثقافى الذى قاده على عبد الرازق ومحمود عزمى وطـه حسين موقفا حاسـما وكشـف زيف هـذه المخططات ومضى فى طريقه فى الدعوة الى الله ومواجهة مخططات الاستعمار فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى ، معارضا لجوانب الضعف والانحراف فى الحضارة الغربية داعيا المسلمين والعرب الى منهج اسلامى أصـيل رالى بناء المجتمع الربانى الأمثل .

●●●

م ٢٤ (١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٣ م)

لا ريب أن أضـخم الأحداث التى اهتم بها المنار فى هذا العـام هو الخلافة الاسلامية فقد قدمت دراسة واسعة عن حقيقة الخلافة ومفهومهـا فى الاسلام كما قدمت كتابا صدر فى أنقرة ضد الخلافة لعله هو أحـد الكتب التى اهتدى بها الشيخ على عبد الرازق فى كتابه كما أشـــار الى فتاوى مصطفى كمال الدينية .

(ثانيا) أولى اهتماما بالغا لأحداث العالم الاسلامى ،

فأشار الى النهضة الأفغانية ومؤتمر لوزان كما تحدث عن الجامعـة الاسلامية والجامعة الجنسية ووجوه التعارض بينهما وأشار الى ثورة الهند السياسية وأنتصارها للخلافة والدولة العثمانية والخطاب الذى ألقـــاه أمام المحكمة الشيخ أبو الكلام آزاد .

كما أشار الى حركة الأمير عبد الكريم الخطابى فى المغرب والاستفتاء مع ملك الحجاز .

(ثالثا) أولى اهتمامه للوهابية وحقيقتها ومنشأ الطعن فيها ، كمـــا كشف زيوف « المسحة الاسلامية القاديانية » الملقبة بالأحمدية ، وتنـاول بالعرض برنامج تعبير المحمديين وبرنامج كيدهم للاسلام .

(رابعا) عرض للتراث الاسلامى المنبعث واولى اهتمامه بمجموع الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهى ، كما نشر صفحات مشرقة للأمير شكيب ارسلان عن انتداب العرب فى سويسرة فى القرون الوسطى كما تحدث عن مؤلفات ابن تيمة وابن القيم والشوكانى .

(خامسا) قدم عرضا لذكرى رينان فى الجامعة ورد على محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق فى رينان والأفغانى .

وقد استهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلد الرابع والعشرين بتذكير قراء المنار بعبرة شئون الاجتماع والعمران وتنازع عوامل الصلاح والفساد فى الانسان وما يناسب ذلك من هداية القرآن : حجة الله البالغة بما فيها من آيات العلم والبيان المناسبة لكل زمان ومكان ، ذلك لان « المنار » انما انشىء لايقاظ الشرق وتمدن الاسلام باعادة تكوين الأمة وحياة الملة والدولة لفروع الفقه واصول العلم لا لجدليات المذاهب الدينية ولا تايد العصبيات الجنسية ولا لنشر ما يتجدد من قضايا العلوم ونظريات الفلسفة أو مخترعات الفنون وعجائب الصناعة ، ولا لقصص التاريخ ونوادر الفكاهات ولا لجوانب الحوادث واخاديع السياسة ، بل كل ما يذكر فيه مما يدخل من هذه الأبواب فانما يولى وجهه شطر ذلك المحراب لان الامة اذا احيت ، احيت من العلوم ما كان ميتا ، وانتشرت من الفنون ما كان رميما ، واذا ماتت أماتت معها ما كان حيا ، ودرست ما كان مدروسا مرديا .

واستطرد يقول : ومن آياته الماثلة امام الناظرين فضيحة هذه المدنية المادية التى فتنت أوربا بها المسلمين فقد ظهر لهم ما كان خفيا من فسادها وذهب بهيبتها ما كان من الفظائع فى حربها ومن آياته أن ثتل عرش دولها المقهورة وزلزل اركان دولها المنصورة ، وضعضع ثرواتها واوقع الاضطراب فى معيشتها ، ومن آياته أن اذل جبروت أعظم دولة قاهرة .

ويقول : لقد كان لنا جامعتان سعد سلفنا بالاعتصام بهما وشقى خلفنا بالتفرق والاختلاف فيهما ، جامعة علمية روحية وهى كتاب الله وما فيه من سنة خاتم النبيين ، وجامعة سياسية هى الامامة العظمى وما بينها من سيرة خلفائه الراشدين وهدى السلف الصالحين ، وهذه متممة للأولى

ومنفذة لها ، وأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . ثم تفرقنا فى القرآن بالتأويل فذهبنا مذاهب جعل الملة الواحدة مللا وتفرقنا فى الامامة بالعصبيات فصارت الأمة أمما والدولة دولا ، ثم أعرضنا عن كل من الجامعتين كلتيهما وبطل الاقتداء بالامامين مع احترام اسميهما أو كلمتيهما فتجمد بعضنا على ظواهر بعض الكتب التقليدية ومن تعصب بالقوانين والنظم الأوربية وروابط شعوبها الجنسية والوطنية .

يقول انه فى العدد الأول من المنار كتب فى بيان حق الامام على الأمة وحقوق الأمة على الامام فلما قرأتها على الشيخ محمد عبده أشار الى (ترميج) هذه الكلمة منها وقال ان المسلمين لم يبق لهم امام الا القرآن وأن البحث فى الخلافة وما يجب على السلطان فتنة للناس ، وأشار الى فساد الأمراء وخروج الخلافة عن الأساس الذى أقامه عليها الاسلام فى عهد الراشدين ، وقال : الا أن اقامة الامام هى التى تحيى هذه الأمة ولكن أمرها لا يزال غمة ليس وراءها غمة ، وأنها لترهق محاولها صعودا ، وتتقحم به كؤودا وتجشمه منالا بعيدا ، وان أسعد الناس بها لأزهدهم فيها ، وان أطمعهم فيها لأعجزهم عنها وان أقربهم منها لأبعدهم عنها .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : أحمد كمال باشا ، الأمير عبد الكريم الخطابى .

المجلد ٢٥ (١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م)

تعد القضايا السياسية للعالم الاسلامى هى أبرز الجوانب التى يوليها المنار اهتمامه وهذا المجلد حافل بقضايا سياسية اسلامية كثيرة :

أولا : ملف كامل عن الشريف حسين وموقفه من بريطانيا وفلسطين وزيارة ملك الحجاز لشرق الأردن ، ورسالته الى الأمة البريطانية وفساد حكم الشريف حسين فى مكة المكرمة .

ثانيا : المسألة المصرية بعد تأليف الوفد المصرى ووزارة سعد .

ثالثا : الاتفاق بين الأمير فيصل والدولة الفرنسية على الانتداب على سوريا .

رابعا : تركيا الكمالية والانقلاب الدينى والسياسى فى الجمهورية

التركية والغاء الخلافة (عبد العزيز جاويش ـ محمد شاكر ـ أمين الرافعى) وموقف العالم الاسلامى من الجمهورية التركية .

خامسا : الخلافة ومؤتمر القاهرة ، والمسألة العربية فى طور جديد بين ملك الحجاز وسلطان نجد ، وزحف النجديين على الحجاز (الوهابيين) وقضية الأمير الخطابى والريف والمغرب .

ومن ناحية أخرى تجرى الأبحاث والدراسات :

١ ـ التفسير والفتاوى .

٢ ـ دراسات عن التراث (كتاب أساس البلاغة للزمخشرى فى طبعة جديدة لدار الكتب المصرية) .

٣ ـ قضايا المجتمع الاسلامى :

(أ) تزويج المسلم لغير المسلمة ومسألة تحديد الزواج بقانون وتحديد سن الزواج بتشريع قانونى .

(ب) تحريم المسلمات على غير المسلمين .

٤ ـ الرد على الشبهات وخاصة فيما يتعلق بوحدة الوجود وابطالها بقلم الامام ابن تيمه وبحوث عن الامامة والباطنية والجمعيات السرية .

٥ ـ قضايا التبشير والاغراء بين التصدى والمسلمين ، ودعوة المسلمين الى النصرانية .

٦ ـ الأزهر ماضيه وحاضره ومستقبله .

٧ ـ ترجمة القرآن وتحريف الترجمة والتشكيك فيه فى تركيا .

٨ ـ وفيات الأعيان : الشيخ محمد المهدى ـ السيد محمود شكرى الألوسى ، الشيخ سالم أبو حاجب .

***

ويقول السيد رشيد رضا فى الافتتاحية : ان المنار لم يكن يبلغ سن الشباب (الخامسة والعشرون) الا وكان منشته قد شاخ وشاب ونحمد الله ان كان وقع الشوائب التى شيبت الرأس ولم تشيب العزم واليأس ولم تشب الهمة بشائبة من اليأس ، فقد ثبت المنار على دعوته التى وضعناها فى أول نشأته .

ويقول : سننقض بالرد على الملاحدة ومحاولة هدم الاسلام باسم الاسلام من البهائية والأحمدية المسيحية القاديانية فقد قويت دعوتهم فى مصر ويؤيدهم بعض الكتاب فى الجرائد والمجلات الشهورة .

المجلد ٢٦ (١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م)

كانت القضايا الشاغلة للسيد رشيد رضا خلال العام هى كبريات الأحداث فى العالم الاسلامى وأبرز الأحداث ظهور كتاب على عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) ينكر فيه كون الاسلام دين تشريع وامامة وحكومة وقضاء ويبيح للمسلمين أن ينتحلوا أى حكم وقانون ويتبعوا أى حكومة من الحكومات ، وقد قدم تفاصيل وافية عن أهم منكرات الكتاب كما تناول الموضوعات الآتية :

١ — ابن السعود واستيلاؤه على جميع الحجاز والوهابيون والافتراء عليهم .

٢ — أوربا والاسلام والخلافة ومؤتمر الخلافة والاسلام فى أوربا فهمه وانتشاره .

٣ — سوريا وثورتها على فرنسا وموقف نصارى الشرق من المستعمرين .

٤ — حرب الريف التى يقودها الأمير عبد الكريم الخطابى .

٥ — الدولة التركية فى تطورها التغريبى ، وجمعية الاتحاد والترقى .

٦ — الأزهر وقضايا التربية والتعليم بعامه .

٧ — حملات التبشير النصرانية على الاسلام وبشارات التوراة والانجيل وعرضها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعرض للمدارس التبشيرية وملاحدة المتفرنجين من العرب .

٨ — أسبانيا والعرب فى الأندلس : صفحة عن آخر عهد المسلمين بها واكراه الاسبانيين على النصرانية وعامة العرب وأواخر العهد بتسليم غرناطة .

٩ — عرض لقضايا التغريب والغزو الثقافى ، عند ترجمة القرآن وكيف تجعله أعجميا ولبس البرنيطة كما تحدث عن أخطاء الصوفية (الرفاعية والبطائحية والشعرانى وخرافاته) كما هاجم ابن عربى وابن الفارض والجعد بن درهم والشيرازى الصوفى والصدر الروبى

وهديك عن كعب الأحبار ووهب بن منبه كما أورد مناظرة ابن تبهه مع البطائحية الرفاعية .

كما أورد المنار عشرات من الأحاديث عن ومع الشخصيات الاسلامية البارزة :

الشيخ أبو الفضل شيخ الأزهر وأحمد شوقى والأستاذ الامام والأمير شكيب أرسلان وجمال الدين الأفغانى وسعد زغلول ورحمة الله الهندى ورفيق العظم وفؤاد سليم والشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كما قدم عددا من الكتب الاسلامية الهامة التى ظهرت على مدار السنة :

ايقاظ الغرب للاسلام للورد هدلى ، تقرير الدكتور فخرى عن البغاء وحاضر العالم الاسلامى وحواشيه التى كتبها الأمير شكيب أرسلان وخلاصة تاريخ الأندلس وكتاب الخلافة الاسلامية ، كما قدم لكتب التراث : المغنى والمحلى (ابن حزم) وأسرار البلاغة (الجرجانى) .

* * *

وقد استهل فاتحة المجلد السادس والعشرين فقال :

ان أهم ما طرأ فى هذا العام اقدام الترك على نشر ترجمة للقرآن وتصدى حكومتهم الجمهورية لنشرها لأجل أن تحل محل القرآن العربى الذى هو كلام الله تعالى ، فرأيت تحقيق الحق فى هذه المسألة فى نفسها وبيان الباعث عليها ، مسألة الخلافة فى جميع وجوهها (فى المجلدين ٢٣ ، ٢٤) .

وتحدث عن توسع المطبعة وادارتها بقوة الكهرباء .

ويقول : سيكون أكبر همنا فى المجلد السابع والعشرين موجها الى مجاهدة الملاحدة والاباحيين الذين نشطوا فى هذه الأيام فى تعميم دعوتهم الى هدم العقائد والتجرئة على الفواحش والرزائل وتقطيع الروابط الملية والقومية واعداد الأمة لقبول السيطرة الأجنبية وجميع الفتن المادية حتى البلشفية والى مجاهدة البدع والخرافات القديمة التى يبثها أهل الطرق التى تسمى صوفية وما ولدته من البدع الحديثة كالمسيحية القاديانيه ، وكل هذا من قبيل الهدم ثم الى تأييد دعوة الاصلاح وتجديد أمر الاسلام

بالرجوع فى عقائده وعباداته الى القرن الأول والاعتماد فى قوته وعزته على فنون العصر الحاضر وهذا هو البناء المطلوب ولعله لا يتم الا فى جزيرة العرب .

المجلد ٢٧ (١٣٢٤ هـ — ١٩٢٦ م)

الموضوعات الثلاث الكبرى التى ما تزال تشغل المنار فى مجال السياسة الاسلامية :

— الدولة التركية وموقفها من العرب والاسلام — حكم آل سعود لجزيرة العرب وموقف الشريف حسين وأولاده — دعاة الالحاد فى مصر وقضية كتاب الشيخ على عبد الرازق التى لم تنته وظهور قضية الشعر الجاهلى لطه حسين .

كما نشر صفحات مطوية للامام الشيخ محمد عبده ، وتصدى للنحلتين :

١ — البابية والبهائية فى بلاد العرب .

٢ — القاديانية فى البلاد العربية .

٣ — فتنة ملاحدة الترك فى سوريا ومصر .

مع تحرير مفاهيم الوهابية والكشف عن أخطاء الباحثين بالنسبة لكعب الأحبار ووهب بن منبه ومذهب داروين وبطلانه والتوفيق بين الدين والعلم .

كما أورد بحوثا حول ابن خلدون وعلم الاجتماع ، وأحكام السفر والاقامة لابن تيمه وفتاوى حول صندوق التوفير فى البريد ، وقضايا المجتمع : المرأة والحجاب ومحاربة البغاء .

كما عرض للمؤلفات الحديثة : كتاب مرآة الحرمين ، ونهاية الأرب ، وكتابى الخضر حسين وبخيت المطيعى فى الرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق ، والموجز فى علم الاجتماع ، ودروس فى التاريخ الاسلامى ، ورجال المعلقات العشر وبلوغ العرب فى أحوال العرب ومن أهم الكتب التى صدرت فى الرد على كتاب طه حسين كتاب مصطفى صادق الرافعى « اعجاز القرآن » .

* * *

وقد صدر السيد رشيد رضا هذا المجلد بحديث مستفيض عن أحوال المسلمين فقال : بالأمس خسر الاسلام دولة كانت مبدأ الأجيال الوسطى

فى تاريخه ، وأشد دولة بأسا ، وهى دولة آل عثمان ، وخلفتها دويلة تركية هى أشد دول الأرض عداوة له ، واليوم تجـدد له دولة جديدة هى أرض دولة لتجديد هدايته واعادة مجده ، اذا عرف سائر المسلمون كيف يؤيدونها وينصرونها ويفيدونها ويعتدون منها هى الدولة العربية السعودية التى قامت فى مهد الاسلام .

ثم قال : فرض الله الأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر وأكد أمره ، ولعن تارك التناهى عن المنكرات التى يفعلها بعضهم فى كتبه وعلى السنة رسله ، لئلا يترك المعروف ويفشـو المنكر فيصير كالمعروف فيختل أمر الفضائل :

« ومن رأى منكم منكرا فليغيره » (الحـديث) .

ترك المسـلمون تغيير المنكر بالفعل بضعف الخلافة وصيروتها لقب تشريف ثم ترك انكاره بالقول لفشوه فى الحكام المستبدين والزعماء الظالمين وضعف الدين فى جماعات المسلمين الا قليـلا منهم كانوا يظهرون ضيقا ويخفون أحيانا ولا يجدون لهم شوكة ولا سلطانا .

حتى ظهر فى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة وأول ما بعده الاصلاح الوهابى فى نجد قام به عالم نجدى اسمه (محمـد بن عبد الوهاب) يدعو الى التوحيد الخالص : وهو عبادة الله تعالى وحـده بما شرعه للنـاس فى كتابه وعلى لسـان رسـوله ، وقاومه الناس وآذوه كما آذوا من قبله ومن بعده كل داع الى الحق والخير ويسخر الله من الزعماء الأقوياء من آزره حتى تأيد القول بالفعل وانتشرت دعوته الاصلاحية بقوة سـيوف البيت السعودى فى جزيرة العرب حتى استولوا على الحجاز وكادوا يجـددون للاسلام مجده وحضارته بمثل نهضته الأولى كما خرج بذلك كل من عرف كنه حالهم من الشرقيين والغربيين لولا أن تصدت لهم الدولة العثمانيـة فحاربتهم فى جهة العراق والحجاز ولما عجزت عنهم استعانت عليهم بدولة مصر الفتاة فحاربهم محمد على حتى أخرجهم من الحجاز ، ولم تكتف الدولة التركية وأعوانها بهذه الحرب بل أثارت عليهم حربا شرا منهـا وأشأم ، وهى حـرب الدعاية بالطعن فى عقائدهم وأعمالهم وتسمية سنتهم بدعة ، وخيرهم شرا وعرفهم نكرا .

وكتب المتزلفون فى ذلك الكتب والرسائل الكثيرة وأودعوها من فنون الكذب والبهتان ما لا يخطر الا فى بال الشيطان .

وألقى رجال السلطان عبد الحميد الأخير الشقاق والعداوة بين آل سعود وآل الرشيد فى نجد وما زالوا يمدون ابن الرشيد بالسلاح والمال الى أن تمكن من اخراج آل سعود من نجد واستولى على الرياض عاصمة امارتهم حتى كان ما كان من نهضة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل المؤيد بنصر الله وتوفيقه واستعادته لنجد ثم استيلاؤه على امارة ابن الرشيد وعلى بلاد الاحساء وكل ما كان بيد الدول العثمانية من تلك البلاد ثم على بلاد عسير ثم على المملكة الحجازية برمتها .

هذا هو الطور الجديد المرجو للاسلام ، وهذه هى الفرصة السانحة لتجديد هديه واعادة مجده ، فهل يضيعها المسلمون كما أضاعوها أول مره .

وتحدث عن تضاعف الشكوى من انكار البدع والمحدثات التى شوهت الاسلام فى القرون الوسطى وتفاقمت وطغى طوفانها فى القرون الأخيرة وتحدث عن بعض كتب التصوف المنحرفة فهاجمها وتحدث كيف تروج فى المسلمين الدعاية الظاهرة البطلان التى راجت منذ قرن ونصف بأكاذيب أحمد زينى دحلان وأمثاله عن الوهابيين والدعاية التى أذاعها الشريف حسين وأولاده فى الطعن فى الوهابية ، وأشار الى « ملاحدة الأتراك » الذين يصمون الاسلام لأنه عربى ، وقد رأى بعضهم أن تكون صورة الذئب الأغبر شعارا لهم لأن أجدادهم عبدوه وقدسوه فى جاهليتهم الأولى ورأينا منهم من يفتخر بجنكيز خان وهولاكو خان أعداء البشر ومخربى العمران .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : الاديسى — شوكت على — محمد على .

المجلد ٢٨ (١٣٤٥ هـ — ١٩٢٧ م)

حفل هذا المجلد من المنار بدراسات واسعة فى مختلف المجالات وكان أبرز اهتمامات المنار بروز المملكة العربية السعودية ، ومعاهدة جدة بين ملك الحجاز ونجد وبين انجلترا .

كما تحدث عن علاقات العرب والانجليز فتحدث عن سياسة الانجليز فى الشرق وزعماء العرب ونشر محاضرة مستر كراين عن جزيرة العرب

كما أشار الى مشروع بريطانى لينصر جزيرة العرب وأشار الى العلاقات بين اليمن والحجاز .

وكشف عن بيان علاقة المنار بالوهابية والملك عبد العزيز ونشر فصولا من كتاب كشف الشبهات للامام محمد بن عبد الوهاب .

ونشر فصولا فى الرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى ابن عبد الرازق ، كما نشر قرار النيابة فى قضية طه حسين ، كما تحدث فى فصول عن القاديانية الملقبة بالأحمدية وعرض لعدد من قضايا المجتمع مثل قانون الأحوال الشخصية والنهضة النسائية والزى الاسلامى والربا وحقيقته وسبب تحريمه ، وتعرض لمسألة القبور والمشاهد عند الشيعة ونشر خطاب النشاشيبى فى تكريم شوقى .

هذا بالاضافة الى الأبواب الثابتة : تفسير القرآن وفتاوى المنار (تعدد الزوجات ، تعدد زوجات النبى ، البيت الحرام ، سدنته وكسوة الكعبة ، تأويل آيات الصفات) وعرض للقرآن ووجوه الاعجاز والاسرائيليات وتحدث عن النهوض باللغة العربية ، وتحدث عن أتاتورك وحياته وأعماله فى تغريب تركيا ، وهاجم مجلة الحديث الحلبية (سامى الكيالى) فى مواقفه التغريبية وفى هذا المجلد عرض تراجم لابن تيمه فى القديم وأحمد عباس الأزهرى ، وسعد زغلول ، وأمين الرافعى .

وعرض السيد رشيد رضا فى افتتاحية المنار للموقف العام فقال :

لو كنا نعمل للمال لصانعنا رجال المال من الأفراد والجماعات كالأحزاب والحكومات ، ولو كنا نعمل للمال لاتبعنا أهواء الجماهير فى اختيار الهزل على الجد وايثار الافساد على الاصلاح ونحمد الله أننا لم نسلك طريقا فى الاصلاح الخاص بالحكام الباذلين والأمراء والملوك والسلاطين والجماعات الدينية والسياسية . تلك سيرتنا فى نقد الحكومة الحميدية ثم فى التشنيع على الجمعية الاتحادية وخليفتها الحكومة الكمالية وفى جهاد الملك حسين بن على وأولاده وفى انكارنا على متبعى المذاهب من الشيوخ الجامدين ورجال الطرق الخرافين . وقد عرضت فى هذه الأيام شبهة تأييدنا للحكومة السعودية والطريقة الوهابية ، والمنار يدعو من أول نشأته الى التوحيد الخالص ومذهب السلف الصالح فى عقائده الاسلامية وهدايته

كما يدعو الى فنون العصر وسنن الخلق فى سياسته وقوته ، ولم يكن فى ذلك الوقت ملك ولا سلطان يتهم بالطمع فى مساعدته بل لم يكن يومئذ يعلم أن الوهابية يعتصمون بمذهب السلف بل كنا نصدق الدعاية التركية التى ذاعت فى العالم منذ القرن الثالث عشر من أن الوهابية فرقة مبتدعة معادية للسنة وأهلها وأول رجل سمعت منه أن هؤلاء الوهابية قوم مصلحون أرادوا اعادة هداية الاسلام الى عهدها الأول هو محمد مسعود بك الكاتب المصرى ثم قرأت ما كتبه فى نشأتهم مؤرخ عصر ظهورهم الشيخ عبد الرحمن انجبرتى الأزهرى ثم ما كتبه محمود فهمى المهندس المصرى فى كتابه البحر الزاخر ثم صاحب الاستقصاء فى تاريخ المغرب الأقصى ثم ما كتبه الشيخ عبد الباسط الفاخورى مفتى بيروت فى تاريخ الاسلام ، كما أنه أتيح لى الاطلاع فى أثناء ذلك على كتاب التوحيد وكتاب كشف الشبهات للامام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ثم على غيره من كتبهم بالتدريج واطلعت شيخنا الامام على ذلك .

المجلد ٢٩ (١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م)

ما تزال قضايا النفوذ الأجنبى فى العالم الاسلامى وآثار الاستعمار فى عديد من دول الاسلام هى الشغل الشاغل للمنار ، وفى مقدمتها الدولة التركية العلمانية وأعمالها فى القضاء على روح الاسلام فى الأتراك وأثر ذلك فى البلاد الاسلامية الأخرى حيث ظهرت جماعات فيها تدعو بدعوته وما ظهر فى مصر من كتابات وصحف تؤازر هذا الاتجاه التغريبى وخاصة كتابى طه حسين (الشعر الجاهلى) وعلى عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) وكتابات سلامة موسى ومحمود عزمى فى نفس الاتجاه ومجلة الرابطة الشرقية ومقالاتها المسمومة .

وامتداد هذا الأثر الى فارس والأفغان حيث يتحدث السيد رشيد رضا عن الحكومات اللادينية فى الترك وفارس وأفغانستان ، كما يتحدث عن الانجليز وتنصير مسلمى السودان والمؤتمر الاسلامى العام فى القدس من أجل قضية فلسطين وغزو الصهيونية لها وما يسمى الوطن القومى لليهود ، وفتنة اليهود بانتزاع جدار المسجد الأقصى وخطر هجوم الكماليين على الاسلام يتمثل فى استبدال الحروف العربية بحروف لاتينية وأحاديثه

عن السنة والشيعة ، والوهابيــة والرافضة ، ورسائل اخوان الصــفا ونظرية النصارى فى خطيئة آدم ، والرد على الأحمدية خلفاء القاديانيــة وترجمة محمد على اللاهورى للقرآن، وفيما يتعلق بالأزهر أورد مذكرة المراغى فى اصلاح الأزهر ، وتحدث عن الاصلاح فيه والتعليم ، ومطاعن البشرية على الاسلام ورد ســيف الرحمن اللورد هدلى وأحاديث عن الوهابيــة والصحفى النمسوى يحيى بك كيف صار مسلما ، وأحاديث عن الماسونية واستحضار الأرواح والمرأة المسلمة ونهضتها الحاضرة ، كما عرض لقضايا مقارنات الأديان والبروتستانت والكاثوليك .

وقد حفل العام بأسماء كثيرة من المعاصرين جاء ذكرها ، منها الامام محمد بن عبد الوهاب وابن سعود والشيخ المراغى وأحمد ابراهيم وسعد زغلول ومحمود شكرى الألوسى والأمير شكيب ارسلان وســليم البخارى وسيد أمير على والشريف حسين وعبــد الرحمن الدمرداش وعبــد العزيز جاويش وعلى سرور الزنكلونى ، وجاءت ردود على كتابات طــه حسين وعارف الزين وهيكل وسلامة موسى .

كما عرض المنار لأفكار عدد من علماء الاسلام : ابن تيمية وابن القيم وأحمد بن حنبل والبخارى وأحاديث عن الصحيحين وأبو هريرة .

* * *

وقد افتتح المجلد التاسع والعشرون بحديث عن مدنية أوربا المادية فقال انها لا تجد لها منقذا من الهــلاك القريب فى التنازع بين عبــاد المال والشيوعيين وفى الاسراف فى الشهوات والمطامع الا بدين القرآن فعــلى المؤمنين الراسخين أن يعجلوا بانقاذها به قبل أن تقضى هى على ما بقى لهم من ملك وثروة وقوة :

ويقول : « ان الاسلام لا يزال قوة عظيمة فى الشرق كله اذا وجد لها زعماء جامعون بين العقل والعــلم والحزم فانه يمكنهم أن يحفظوه ويرقوه ويحفظوا له بقية بلاده ويستفيدوا الكثير مما فقد منها بل يمكنهم أن يحلوا به عقدة مشكلة المدنية الكبرى ويعمموا نشره فى بلاد الغرب كلها ، أقول هذا عن علم وخبرة اكتسبها فى بحث استمر زهاء ثلث قرن ولما أجد لها الزعماء الصالحين لتنفيذها ، وكان شيخنا الأستاذ الامام موقنا بهــا وصرح به

فى الدرس العام بالجامع الأزهر وكان مثله حكيم الاسلام والشرق السيد جمال الدين موقنا بهذا ويحاول أن يكون بسعيه ، وما أحبط سعى هؤلاء كلهم الا الدولة البريطانية وهى تحاول احباط عمل كل عامل يعمل للاسلام أيضا ما استطاعت ولكن الزمان قد اختلف .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : سيد أمير على — سليم البخارى — عبد الرحيم الدمرداش .

المجلد ٢٠ (١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م)

سيطرت ثورة فلسطين على قضايا العالم الاسلامى ، وجددت الحديث عن اليهود والانجليز والغرب والماسونية والجزويت واليهود والكنيسة وملك اليهود وهيكلهم ، وحديث عن الاسلام وآراء بعض علماء الافرنج فيه وانتشاره فى قرن فوق انتشار النصرانية فى عشر قرون وجهاد أوربا له بالسلاح والعلم والسياسة للادالة منه ، وقد حفل المجلد بكتابات أسماء لامعة منها الأمير شكيب أرسلان عن ما يقال عن الاسلام فى أوربا ووجوب اطلاع المسلمين عليه ، ومحاضرات عجاج نويهض عن النهضة الاسلامية ، وأحاديث للمستشرق مونتيه الذى ترجم معانى القرآن وكتب عن السنة النبوية ، كما عرض لكتاب درفيحم عن النبى محمد (حياة محمد) وحديث عن طنطاوى جوهرى وتفسيره ورد الشيخ طنطاوى ومساجلة عاصفة بين رشيد رضا ومحمود عزمى حول مساواة المرأة والرجل فى الحقوق والواجبات .

وقد أولى الشيخ رشيد رضا اهتمامه بالخلافات بين السنة والشيعة بمناسبة الخلاف الجديد الوهابية والرافضة ، كما أورد سيرة شيخ السلام ابن تيميه ، وعرض تاريخ حروف الكتابة ، وعن المدارس والجمع بين الجنسين وتعليم أبناء المسلمين فى المدارس الأجنبية ، كما تحدث عن نظرية دارون وموقف الاسلام منها ، وفى المحاورات الخاصة بمقارنات الأديان تحدث عن الثالوث ، ونصرانية الافرنج ولماذا لا يسلمون وهيمنة القرآن على التوراة والانجيل ، كما تحدث عن حقيقة الربا وأحاديث عن اسماعيل باشا وادخاله القوانين الفرنسية فى مصر ، وعرض لآراء بعض المستشرقين عن الاسلام والرد عليه ، كما عرض رأى تولستوى وعقيدته

فى المسيحية ، والصوفيـــة واخطائهم ، ولم يتوقف عن أحاديث الأزهـــر والتعـــليم فيـــه .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لــ : المراغى — أمين سامى .

* * *

وقد افتتح المجلد الثلاثين بقوله : نحمـــد الله أن قدرنا على استمرار اصداره فى تلك السنين النحسات ونرجو من فضـــل الله تعـــالى أن نثبت على هذا التاريخ فى اصداره ما دمنا متمتعين بالصحة بعد أن من علينا بدار صالحة للسكنى والمطبعة ، نذكر القراء فى فاتحة المجلدين الثلاثين أن الحملة على الاسلام قد اشتدت فى هـــذا العهد من خصومة فى الداخل والخارج ، أعنى من قبل دول الاستعمار ودعاة النصرانية وهم طلائعها ومن أعوانهم وأنصارهم وتلاميذهم فى البلاد الاسلامية نفســـها ، ولست أعنى بهـــؤلاء من يستخدمهم المبشرون من نصارى القبط والسوريون والأرمن وغـــيرهم بل أعنى من هم أشر منهم واضر ، من ملاحدة المسلمين من الترك والايرانيين والأفغـــانيين ، ودعاتهم واخوانهم من المصريين واشـــباههم من السوريين والعراقيين ومن الهنـــود والافريقيين وسائر الشـــعوب الاسلاميـــة الذين ســـممتهم التربية الافرنجية وأفسدتهم الآراء المادية وجنى عليهم الاسراف فى الشهوات البدنية ، ونحن نطلق لقب الالحاد على كل من يسمى خطـــة هؤلاء الكماليين الى نبذ الشريعة الاسلامية برمتها من حكومتهم والتمهيد لمحو عقائد الاسلام وآدابه وعباداته من نابتة شعبهم ، بمنع اللغـــة العربيـــة جميع بلادهم وترجمة القرآن لا تؤدى حقائق معانيـــة من لغتهم ، وكتابته كغيره بالحروف اللاتينية للاجهاز على ألفاظه وأساليبه المعجزة ، بل كل من يسمى هذه الخطة اصلاحا ويحسنها ويدعو اليهـــا فهو عدو للاســـلام وولى لأعدائه ، وعداوة الاسلام أعم من الارتداد عنه والكفر به ، فان كان مع هذا زنديقا يدعى الاسلام ويخفى الكفر فافساده أعم ، واكبر من افساد الكافر الأصلى المرتد لأن الجاهلين بحقائق الاســـلام من المسلمين يغترون بكلامه فيفتنهم عن دينهم .

ويقول : ملاحدة بلدنا طبقات : المجاهرون بالكفر والصد عن الدين ،

منهم صاحب مجلة ومطبعة فى مصر(١) معروف وفى حلب مجلة حديثة (٢) ومنهم أحد محررى الجرائد اليومية المأجورين(٣) الذى كتب مقالات فى تنقيح النص فى الدستور المصرى على جعل الدين الرسمى للحكومة المصرية الاسلام وطلب أن تكون حكومة معطلة (لا دينية) مقالات فى سن قانون مدنى للأحوال الشخصية ، لا يتقيد فيه بشىء من الأحكام الشرعية . وقد كان من أركان محررى السياسة ، ويقال ان له صلة وعلاقة ببعض جماعات اليهود ، وافراد هذه الطبقة لا يدعون التدين ولا يمتعضون بالتعطيل ومنهم من يفخر بذلك .. أما الطبقة الثانية فهم الزنادقة الذين يظهرون الاسلام ويمتعضون اذا وصفوا بالزيغ والالحاد وهم مع ذلك يضعون فى أصوله ويجحدون بعض ما هو مجمع عليه ومعلوم بالضرورة ويشككون فى آيات القرآن . (الطبقة الثالثة) الفماليج اللامعون من مرضى القلوب المقلدين ، الذين يشايعون المؤمنين كما لو كانوا معهم ويجارون الملحدين اذا وجدوا بينهم .

ومما يثبت بالخبر المستفيض أن من أفراد أولئك الملاحدة دعاة للكفر وسعاة للصد عن الاسلام ، ومنهم من يأخذ على ذلك جعلا من جمعيات التبشير بالنصرانية ومنهم يتقاضى مكافأة من بعض جماعات اليهود البلشفية أو الصهيونية ومنهم من يخدم الدول الاستعمارية ويأخذ أجره منها ، وكان الشيخ محمد مهدى وكيل مدرسة القضاء الشرعى أول من انبأنى انه يوجد فى مصر جماعة تتعاون على الصد عن الاسلام بالطعن فى شريعة وفى حكومة وفى لغة وفى ائمة الاسلام وفى كل من نوه بهم التاريخ من الخلفاء وكبار العلماء والأدباء ثم ظهرت آثارهم فى بعض الصحف العامة وفيما نشروا من المصنفات الخاصة ، ولقد كادت الوزارة الائتلافية تسقط بانتصار أعظم أركانها لمؤلف ذلك الكتاب الرجس الذى جهر ملفقه بالطعن فى القرآن ترجيعا لأصوات بعض أعوانه من المبشرين بالانجيل (٤) وقد علم الجمهور انه تألف فى مصر حزب لحرية الفكر ، كان الملاحدة هم المؤسسين له بالطبع من حيث لايدرى كثير ممن انتظم فى سلكه ، وقد

---

(١) سلامة موسى . (٢) سامى الكيالى .

(٣) محمود عزمى . (٤) طه حسين .

نشرت جريدة السياسة الاسبوعية (مارس ١٩٢٨) مقالا لأحد اركانهم صرح فيه بأنه يوجد فى مصر تعصب دينى (اسلامى) ضار وان جماعة كانوا الفوا حزبا ولما الفت فى مصر جمعية الشبان المسلمين عارضوها بتأليف جمعية الشبان المصريين ، واختاروا لها من يكبر شأنها ويلقى المحاضرات فى ناديها ، وليس الالحاد فى مصر حديث العهد بل نبت قرنه من التفرنج منذ اكثر من قرن ومازال يرتفع ويقوى حتى طمع اهله باطفاء نور الدين وقد فند الأستاذ الامام جهالتهم ببعض مقالاته فى الوقائع الرسمية . واشد خطرا ما فاه به بعض الملاحدة فى مجلس النواب من الطعن فى الشرع وفى نفس القرآن اذ قال فض الله فاه : انه لا يحترم أو قال يحتقر كتابا يبيح تعدد الزوجات . ولكن هذا الماجن الاباحى لا يحتقر قانونا يبيح الزنا للرجل والنسوان وتعدد البغايا والأخدان ، وطلب أحدهم وقف الجلسة بضع دقائق لأداء صلاة المغرب وكان تصريحهم بأن يمنعوا الصلاة مطلقا أو فى هذا المجلس.

وقد تألفت الأحزاب وتعاونت الجمعيات على بث الدعوة الى الاباحية والالحاد ونشرت الجرائد والمجلات مقالاتهم الممسوخة ونشرت الكتب الملعونة لا فرق بين ملاحدة الترك وملاحدة هذا البلد الا أن أولئك أوتوا قوة عسكرية ، وما فعله ملاحدة الترك والافغان وايران سرت عدواه الى كل قطر وهو الذى اطمع المستعمرين ودعاة النصرانية فى اوربا بالاجهاز على الاسلام وتجديد النصرانية وتعزيزها فى الغرب والشرق :

(١) عقد دعاة البروتستانتية من الانجليز وغيرهم مؤتمرا بعد آخر فى القدس مهد النصرانية للتشاور فى تعميم تنصير المسلمين : وقالت صحيفة فى لندن انه لم يبق للاسلام رسوخ ولا ثبات الا فى جزيرة العرب وانها تحتاج الى مائة مبشر من المجاهدين لنشر النصرانية فى هذه الجزيرة والقضاء عليه فى مهده الأول .

(٢) أعادت الدولة الفرنسية للجمعيات الكاثوليكية ما كانت صادرته من أموالها وأوقافها تنشيطا لها على نشر النصرانية فى مستعمراتها الافريقية وسوريا .

(٣) ألفت كتب جديدة باللغة الفرنسية وغيرها فى الطعن فى الاسلام والحث على تنصير المسلمين والعرب بالقهر والاكراه .

(٤) صالحت الدولة الايطالية دولة الفاتيكان الكاثوليكية وأعادت

للبابا سلطانه السياسى فى دائرته ومئات الملايين مما كانت أوقفته من أموال دولة الكنيسة الرومانسية بعض ساستها .

(٥) نشطت الجمعيات التى تدعو الى توحيد كنائس المذاهب النصرانية فى الشرق والغرب وسارت فى سعيها خطوات الى الامام

(٦) ان حركة تجديد الدين فى انجلترا تلقى فى العناية حركة ايطالية باقتراح تعديل كتاب الصلاة المتبع فى الكنيسة الرسمية

(٧) مسألة فوضى النساء التى تعبر عن رعايتها بتحرير المرأة وتفضيل تهتكها المعبر عنه بالشعور على حياتها وعقلها المعبر عنه بالحجاب فقد أصبح النساء من ربات البيوت ومن العذارى المتعلمات يمشين فى الشوارع بالليل والنهار مخاصرات للرجال ويغشين الملاهى والمتنزهات ومنهن من يسبحن فى البحر ويختلفن الى المراقصة وهن اشد من الأجنبيات عريا وتهتكا . ان خصوم الاسلام القاعدين له فى كل مرصد يضحكون سرورا مما أصابه من الخزى بأهله الذين يمهدون لهم السبيل لاستعبادهم والاستعمار لسائر بلادهم » .

المجلد ٣١ (١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م)

تسيطر على المجلد الحادى والثلاثين قضايا عديدة أهمها قضايا العالم الاسلامى فى مواجهة النفوذ الأجنبى وقد كانت مسألة المغرب وفرنسا وصدور الظهير البربرى الذى يحاول أن يعزل جماعة البربر المسلمين عن اخوتهم على أساس أنهم من جنس آخر ولهم مدارسهم ومحاكمهم ولهجتهم وقد أفاض المنار فى الكشف عن زيف هذه المحاولة وقد وجه علماء المسلمين من جمعية الشبان المسلمين نداء الى ملوك الاسلام ورؤسائه شجبا لهذه المحاولة وقع عليه محمد شاكر ، رشيد رضا ، عبد الحميد سعيد ، خليل الخالدى ، أبو بكر يحيى ، جلال الحسينى ، على سرور الزنكلونى ، محمود أبو العيون ، محمود شلتوت ، ميرزا مهدى رفيع مشكى ، محمد عبد اللطيف دراز ، محمود الغمراوى ، عبد المجيد الربيعى ، يحيى أحمد الدرديرى ، محب الدين الخطيب ، صالح جودت المحامى ، طنطاوى جوهرى ، عبد الصمد شرف الهندى ، محمد الهلباوى ، محمود يونس الأندلسى ، الفاروقى ، السيد محمد عفيفى . وأحاديث عن محاولة

فرنسا لنصرهم وموقف ايطاليـــا من مسلمى طرابلس الغرب ، وقد حفلت المنار بأحاديث وكتابات عن اعلام الاسلام فى العصر :

الأمير شكيب ارسلان يكتب عن « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقــدم غـــيرهم » .

الشريف حسين وفاته وتركته ، أحمد تيمور رثائه ومعاملته للبنوك ، أمان الله خان ، احمد عرفان المصلح الهندى ، أمان الله خان ، أمين الحسينى مفتي فلسطين ، جمال الدين وتجديده للأمة ، الخديو والأســتاذ الامام ، محمد علي وشــوكت على ، علي سرور الزنكلوني ودروسه في الأزهر ، المراغي ومجلة الأزهر .

وأحاديث عن القاديانيـــة والدعاية لهـــا فى ســـوزيا ، والمسيحية واليهودية ، والمبشرون .

وأحاديث عن الشيعة والسنة ومناظرة فى خلافهما والوهابية عقيدتها ومذهبهـــا .

وأحاديث عن الأزهر ، ويوسف الدجوى وفتاويه .

وأوراق قديمة لم تنشر عن جمعية العروة الوثقي وسياستها وأصول نظامهـــا .

وقد شغلت المنار بقضايا التغريب والغزو الثقافى فتحدثت عن مذهب داروين ونقضه ، وعن الزنادقة والملاحدة ، وبدع أهــل الطريق ، وحديث عن التجديد والمجددون ، والرافضة وتحريفهم لآية الغار .

وأحاديث أخرى عن الثورة الهندية التاريخية وأســبابها ، وجزيرة العرب وروسية البلشفية واضطهادها للمسلمين وأحوال مســلمى الصين والترك وتهديدهم للاسلام .

كما خصصت أحاديث عن الربا ، وعن مســـاواة المــراة والرجــل فى الميراث ، مناظرته مـــع محمود عزمى ، وأحاديث عن الامام ابن تيميـــة عن جمـــع كلمة المسلمين تحت قاعدة أهـــل السنة والجماعة ، وأحاديث عن الشريعة الاسلامية ونسخ الشريعة المحمدية لما قبلها ، وترجمة الامام

أحمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الثالث عشر بقلم الأستاذ أبو الحسن الندوى .

* * *

وقد استهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلة بكلمة جامعة قال فيها :

ان أنصار الجمود والبدع المؤفة وحماة التقاليد المألوفة ممن سماهم الأستاذ الامام حملة العمائم وسكنة الأثواب العباعب قد أثار بعضهم فى هذا العهد عصبية مذهبية هى أضر على المسلمين من أثرة القبط عليهم فى مصالح الحكومة ، ومن فريقى المبشرين والملاحدة .

وقد طارت ريح الطيش بلب داعية قبطى كان أول من عاب الاسلام وقال بتفضيل الذكور على الاناث فى الميراث ودعا المسلمين الى نبذ الفرائض المقررة فى نصوص القرآن ، وهناك من عمل على اثارة العصبية الجنسية الفرعونية .

وتحدث عن « مذهب السلف » فقال : أعلى الله مناره وأعز مهاجرته وأنصاره وانشائه دولة وجعل له صولة ، وتعددت جمعياته وصحفه وكثرت وسائله وكتبه ، فتضاءلت أمام التأويلات الكلامية والتقاليد الخرافية ولا خوف على طريقة الأستاذ الامام فى الاصلاح بعد أن اتفقت الكلمة على امامته وانكشف بموته الحجب التى كانت مضروبة أمام جلالته من استبداد أمير وحد شيخ كبير وتقليد غير جاهل .

ويقول : يهاجم الاسلام فى هذا العصر جيشان قويان من محافل الكفر أقواهما جيش الملاحدة الذين صار لهم دولة ، وان كانت واحدة (تركيا) وأضعفهما جيش المبشرين وان كان لهم دول متعددة ، فيجب على أهل العلم وحملة الأقلام من المسلمين الاتحاد والتعاون للجهاد فى هذا السبيل ، سبيل الله بدلا من اضعاف الاسلام بالعصبية المذهبية التى كانت آخر علته فى عهد قوته من كل أعدائه من الكفار .

وقال السيد رشيد رضا : ان خدمة الجم العديد من علماء الأزهر وغيرهم من المصنفين فى العلوم الاسلامية المختلفة ، منذ عدة قرون للاسلام لتصغر وتتضاءل فى جانب خدمة هذا الرجل وأستاذه ، فان علومهم ومصنفاتهم كانت فى العهد الذى تهدم نيه ملك الاسلام وضعفت هدايته

ولم يكن لها أقل تأثير فى العلم والعمل لأنها كلها مباحث لفظية » .

وفى خاتمة المجلد ذكر محرر المنار : « ان سوق الكتب فى كساد الا كتب المجون والخلاعة والخرافات ومكتبة المنار خالية منها وكتب المدارس وأكثرها محتكرة أو كالمحتكرة » .

● ترجم صاحب المنار فى هذا العدد لوفاة : الشريف حسين — أحمد عرفان — شوكت على .

المجلد ٣٢ (١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م)

كان أبرز أحداث هذا العام انعقاد المؤتمر الاسلامى العام فى بيت المقدس الذى دعى اليه عدد ضخم من أعلام الفكر الاسلامى وشارك فيه صاحب المنار بدور بارز وتابع صاحب المنار أحاديثه وأبحاثه فى مختلف المجالات الاسلامية سياسية وتربوية واجتماعية وتحدث عن عدة قضايا هامة :

١ — تعلم أولاد المسلمين فى المدارس اللادينية أو مدارس النصرانية .

٢ — ترجمة القرآن وكون العربية لغة الاسلام .

٣ — المناظرة بين أهل السنة والشيعة .

٤ — دراسة عن المرأة تحت اسم « نداء الى الجنس اللطيف » .

٥ — أخطر حادث فى وزارة المعارف وهو اخراج طه حسين وخروج لطفى السيد .

٦ — موضوع البغاء الرسمى .

٧ — الاحتفال بذكرى معركة حطين .

وقد اتسع نطاق الرد على الغزو الفكرى وقضايا التغريب الذى ظهر واضحا فى عديد من الأبحاث منها :

١ — انكار الوحى ورأى الماديين واستعراض لرأى مونييه ودومنجم .

٢ — الرد على كتاب محمود أبو زيد تحت عنوان « دين جديد من الباطنية والاسلام » .

٣ — تقريظ ونقد شكيب أرسلان لتاريخ الأستاذ الامام وتعليق رشيد رضا .

٤ — الرد على الأستاذ يوسف الدجوى فى جملة قضايا .

٥ — تصحيح موقف الشيخ محمد عبده مما ورد فى مذكرات بلنت عن الحدوث والعدم .

كما تناولت الدراسات وفيات الأعيان :

محمد توفيق البكرى ، أحمد شوقى ، حافظ ابراهيم .

وأحاديث أخرى عن كتاب عزى عن الاسلام والمسجد من مبشر أسلم (الانجيل والصليب) وقد أولت المنار اهتمامها بالجماعات الاسلامية فتحدثت عن جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية :

قال السيد رشيد : « عندما هاجرت الى مصر فى منتصف ١٣١٥ هـ لم أجد فيها غيرها (اسماعيل عاصم ، زكى الدين سند خطيب الجمعية والمؤسس لها ، ثم أسسنا جمعية شمس الاسلام ، ونقلت الجمعية الى حى شبرا لمقاومة دعاة النصرانية فيها اذ كثرت جمعياتهم وتصديهم لاغواء عوام المسلمين ومجلتها مكارم الأخلاق الاسلامية كما عرض لجمعية علماء المسلمين فى الجزائر بزعامة الشيخ عبد الحميد باديس ومجلتها « الشهاب » وأشار الى أعضائها أمثال الطيب العقبى وسعيد الزهراوى .

ولم ينس معارضته الشديدة للطرق الصوفية وقد تعرضت للنقد الطريقتين التيجانية والشاذلية .

* * *

وقد استصرخ السيد رشيد رضا قراء المنار فى افتتاحيته لأداء حقوقه المطولة منهم منقوصا منها خمسها فنصفها لئلا تضطره العسرة والغرامة الى ترك اصدار المنار هذا العام فلم يرسل أحد منهم درهما ولا دينارا يقول : « وانى قد حبست نفسى هذه الثلاثة أشهر على اتمام تاريخ الأستاذ الامام لم أكتب فيها غيره عسى أن أجد من ثمنه ما أنفق منه على اصدار المنار ولا نقبل بعد صدور هذا الجزء حقنا الا تاما ولا نعفو منه شيئا ولا نشكوها الا الى الله عز وجل وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا » ..

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لوفاة : حافظ ابراهيم ، أحمد شوقى ، محمد توفيق البكرى .

المجلد ٣٣ (١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م)

أحداث المغرب (تونس والجزائر ومراكش) تكاد تكون أبرز الأحداث السياسية فى هذه المرحلة ، وخاصة فيما يتعلق بالظهير البربرى الذى يحاول أن يفرض الجنسية الفرنسية على البربر فى المغرب ، وهو ما سبق قيام فرنسا به بالنسبة لتونس ، ويجرى هذا مع اتساع التبشير والتنصير فى مصر ، ويجرى الحديث حول الاسلام ووثنية الهند ، وعن الاستشراق وأخطاره الجديدة ، ومسائل أخرى عن النصرانية والصليب والرد عليهما وأحاديث البهائية والقاديانية وموقفهما من الوحى والنبوة والألوهية ، هذا فى الوقت الذى يجرى الحديث فيه عن لبنان بوصفها وطن مسيحى وفى نفس الوقت الذى تستعرض الأوضاع فى المملكة العربية السعودية وقد أولى السيد رشيد رضا القضايا الفكرية اهتماما واسعا .

فنشر فصولا من كتاب لغربى أسلم عن الانجيل والصليب ، ورد على كتاب فريد وجدى (الاسلام دين عام خالد) متقصيا بعض آرائه ونشر مقدمة كتاب (نقض مطاعن القرآن الكريم) للشيخ محمد عرفة الذى رد به على شبهات طه حسين ، وقدم نقدا لوثنية الهند ولزعامة غاندى ، وتحدث عن طه حسين وأخطائه ، وقدم عرضا لكتاب حاضر العالم الاسلامى الهندى ترجمة عجاج نويهض وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان .

وهناك حديث واسع عن تاريخ الدولة الهاشمية بمناسبة وفاة الملك فيصل بن الحسين ملك العراق ، كما عرض لدائرة المعارف الاسلامية وأخطائها ، وتحدث عن قضية رجال الكنيسة فى ألمانيا الذين تحدو الحكم النازى وعرض لثورة المرأة الاباحية وخطرها على الأسرة فالأمة .

ولم يغفل حديثه عن أخطاء التصوف الفلسفى والهندى فعرض للشعرانى والتيجانى وقدم عرضا لحياة كل من الشيخ محمد أمين الشنقيطى والسيد أحمد شريف السنوسى بمناسبة وفاتهما .

* * *

واستهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلد الثالث والثلاثون من المنار ببيان موقف العالم الاسلامى أمام أوربا فى طورها الجديد بعد الحرب الكبرى التى كان الغبن الأكبر فيها على الشعوب الاسلامية العربية ، التى ساعدت

أعداءها من دول أوربا والربح للشعوب الأعجمية التى عادتها وهم الترك والتى ألزمت الحياد وهم الأفغانيون والايرانيون .

وقال : ان الترك كونوا من أنقاض الدولة العثمانية دولة جمهورية مستقلة تعنى أشد العناية بالقوة العسكرية والعمران المادى ولكنها الحادية (لا دينية) ترهق روح الشعب الدينى ولا يحيا شعب بغير دين وروح الاسلام كامنة فى الشعب التركى ستظهر بقوة عظيمة يفجرها الضغط عند انتهاء حده . أما الأفغان فشرعوا فى عهد الملك السابق أمان الله خان يقلدون الجمهورية التركية فى الالحاد وفى تقليد الافرنج فى الحضارة المادية فأدال الله من الملك نادر خان ، أما الفرس الايرانيون فهم وسط بين الأفغان والترك ، والدول الثلاث استفادت من ضعف دول أوربا وتم لها استقلالها بعد الحرب العظمى والبلاد التركية يهددها من الخطر المعنوى وتوسطها بين أوربا الرأسمالية والروسية والشيوعية أما شعوب المسلمين الأعجمية التى ليس لها دول اسلامية ففيها يقظة ونهضة علمية أقواها فى الهند ومسلموها زهاء ثمانين مليونا ولكن الوثنيين فى جملتهم أكبر عددا وثروة وعلما وأوسطها فى جاوة وما حولها من الجزائر الأندونيسية والمسلمون فيها الأكثرية الساحقة (٦٠ مليونا) وهم أقل حرية من الهند لضغط هولنوا عليهم وأدناها فى الصين ومسلموها يزيدون على مسلمى جاوة عددا ولكنهم قليل فى الوثنيين الذين يزيدون على أربعمائة مليون ، أما المسلمون فهم أرومة الاسلام الأولى ، يملكون شطر قارة افريقيا الشمالى كله من مراكش الى مصر وشطر آسيا العربى ما بين المحيط الهندى وخليج فارس والبحر المتوسط ويبلغون زهاء مائة مليون وهم أشد شعوب الأرض خضوعا للدولتين الظالمتين (انكلترا وفرنسا) اللتين احتلتا بلاد العرب الخصبة وأطاحت بجزيرة العرب وجعلتها تحت نفوذها ، أما غرب البلاد الافريقية الذين بذلوا من أموالهم ورجالهم فى مساعدة انجلترا وفرنسا فقد جزياهم بشدة الضغط والحرمان .

ويقول : الاسلام لا توجد له فى هذا العصر دولة تقيمه وتكفله وتجدد قوته وعدله ولا شعب يهتدى به وينشره ، وينهض بحضارته ولا مدرسة تربى النشىء عليه وتعلمه وتناضل عنه ، ولا جمعيات غنية تجدده وتظهره

للأمم الحية وما فيه من العلاج لادواء البشر فى حضـــارتهم ، أما المركز الطبيعى الحقيق بالتجديد الاسلامى فهو المركز الذى أشرق منه نور الاسلام وهو الحجاز وسياحه فى جزيرة العرب .

● ترجم صاحب المنار فى هذا العدد لوفاة : محمد امين الشنقيطى ، أحمد الشريف السنوسى .

المجـلد ٣٤ (١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م)

فى هذا المجلد الأخير من المنار كانت جزيرة العرب والوحدة العربيـة والسعى الذى قام به رشيد رضا مع بعض قادة الاســلام لعقــد الاتفاق بين الامامين ملك السعودية وامام اليمن ومعاهدة الطائف هو أبرز حديث وهناك أحاديث عن تركيا الكمالية والشريف حسين وأولاده والملك عبد العزيز آل ســعود .

وهناك تذكير دائم بشر الصهيونية (ويل للعرب من شر قد اقترب) وحديث عن الشقاق بين العرب وعن قضية فلسطين ، ثم حــديث آخر عن حركة النازى اللادينيــة وشــجاعة الفاتيـكان وغاية مصطفى كمال من مراحله وخطبة الملك عبد العزيز فى وفود الحج ١٣٥٣ وحديث عن ثورة الأزهر وعودة الأســتاذ المراغى شيخا للأزهر وخليج العقبــة الحجازى ومطمع الانجليز فيه .

ثم أحاديث عن الاستشراق ، وعن التربيــة الاسلاميــة والتعـليم الاسلامى ونقد كتاب الشيخ أبو زيد وكتاب حيــاة محمــد ومقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة ، وكتاب مسائل الامام أحمد ومباحث الربا والأحكام المالية ومتابعة دائرة المعارف الاسلامية ومفاســـدها ونقد كتاب جزوينى لكتاب الوحى المحمدى فى مجلة المشرق (اليسوعية) والرد عليه ومراجعة كتاب قواعد الحديث فى مصطلح الحديث للقاسمى ، هــذا بالاضافة الى فتاوى المنار عن أسئلة منثورة من كل مكان : حــول ترجمــة القرآن والأحاديث النبوية والعمل بالقرآن دون الأحاديث وقد وصــل السيد رشــيد رضا فى تفسير القرآن الى سورة هود وسورة يوسف وقدم تفسير سورة الكوثر والكافرون والاخلاص والمعوذتين (ومقدمة فى تفســير الفاتحــة وخواتيم القرآن منقولة من تفسير الشيخ محمد عبده) .

● وقدم تأبين أحمد زكى باشا شيخ العروبة .

وقد افتتح السيد رشيد رضا المجلد الرابع والثلاثون بحديث مطول ذكر فيه حال الشعوب الاسلامية بعد حرب الأمم الكبرى ، راغبا فى أن يجعلوا نصب أعينهم ما وقع على بعضها من الغبن والخسار وما أصاب بعضها من الربح والانتعاش وما هى عرضة له تجاه دول الاستعمار وأشار الى وطأة دولتى الاستعمار الكبيرتين على الشعوب العربية التى نصرتها فى الحرب وجاهدت معهما بأموالها وأنفسها وكانت أشد وطأة على الشعوب الأعجمية التى قابلتهما والتى سالمتهما .

يقول : ان انكلترا لا تزال ممثلة فى ارهاق عرب فلسطين وانتزاع وطنهم منهم واعطائه لليهود الصهيونيين ليجدد لهؤلاء ملكا فى قلب البلاد العربية حاجزا بين مصر وبين الحجاز وفلسطين ، وان فرنسا لا تزال جادة فى جعل عرب سوريا مللا متفاوتة فى الدين وشعوبا متفرقة فى الدنيا وقصره على ابقاء الأكثرين من المسلمين محصورين فى سجون المدائن الأربع .

ولم تكن انجلترا فى وقت ولا فى مكان شرا من فرنسا وأظلم مما هى الآن فى « فلسطين » ولا تزال انكلترا بارزة أمام الأمة العربية بروز الفاتح القاهر والمستعمر القاهر تنازعها حقها القومى والدينى فى جزيرتها المقدسة بأساليب دسائسها وكيدها المعروفة . وقد خدعت الامام يحيى حتى غلبته على طبعه فى شدة الحذر من الأحاديث فأمضى لها معاهدة أقرها فيها على حمايتها للمقاطعات اليمانية التسع (أربعون سنة) وانها لتمكن لنفسها النفوذ فى منطقة شرق الأردن بحيلة الانتداب وفى العقبة الحجازية التى سلبت من الحجاز بعد عقد صك الانتداب . هذه الجرأة من الدولة الأجنبية على عداوة العرب والاسلام ستكون من أكبر أسباب زوال سلطانها فى الشرق الأدنى والشرق الأوسط وان خليج العقبة لهو أكبر هذه الأسباب ثم أشار الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يبقى فى جزيرة العرب دينان .

وقال : ان التفرق فى البلاد العربية والشعوب الاسلامية لا يدوم ، وأشار الى شعب التركستان الصينى وكيف استقل بعد ثورة حامية الوطيس .

ثم قال : ان القرآن شمل نوره العالم كله حتى حجبه المسلمون

عن أنفسهم وعن سائر النـــاس ووضعوا مصباحه المضىء بنور الله تحت المكيال ــ كما قال السيد المسيح عليه السلام ــ ولكن قد سخر الله المصلحين فى هذا العهد لكشف المكيال عنه وتوجيه أبصار العقلاء الى اقتباس النور منه ، الا وأن هذا القرآن شمس الله المشرقة لهداية جميـــع الأمم ومأدبته المنصوبة لتغذية جميع البشر وان بعض علماء الافرنج المستقلين فى العقـــل والرأى ليقولون فى هدايتـــه ما يدعون به قولهم اليه ، وان دولة اليـــابان الشرقية كانت آخر من فطن له ، وستكون العاقبة فى سيادة الأرض لمن سبق الى الاهتداء به » .

* * *

ولقد توفى السيد رشيد رضا وهو يستعد لاعداد الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين من المنار وقد كتب فعلا افتتاحية هذا المجلد التى نشرت فى آخر المجلد الرابع والثلاثين فكانت ختام هـــذه الجولة الضخمة المباركة التى قام عليها وتراه فى العدد الأخـــير ما زال فى حماسته وايمانه وثقتـــه بالدعوة التى يحمل لواءها يقول : ما قصر منشىء المنار فى شىء كما وقف عليه حياته فى خدمة الملة والأمة وأشار الى مقاصدها الجامعة فى فاتحة العـــدد الأول بل شمر واســـــتبق فكان له من التأييد عند خواص العقلاء العارفين بما أصاب الاســـلام من الوهن والضعف والتفرقـــة وما يحتاجون اليـــه من الاصـــلاح الذى تتوقف عليـــه حياتهم أو نجاتهم من الذل والاستعباد مما لم يسبق له نظير الا فى صيحة العروة الوثقى التى تجلت فيها روح موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين وبلاغة الأستاذ الامام محمد عبده .

وأشار الى أنه فكر فى وقف اصـــدار المنـــار فى سنته القابلة ١٣٥٤ ولو على سبيل التجربة عسى أن أجد له من يقوم بنفقته من الأوفياء منهم ، يقول : رجحت هذا الأمر ثم عظم على وقد ربانى الدين على الثبات واتقاء ابطال عمل أشرع فيه .

(توقفت المنار عن الصدور بالعدد الأخير من المجلد ٣٤) .

الباب الثالث

النهضة الإسلامية (حركة الاصلاح)

كما صورها المنار

مدخـــل

النهضة الاسلامية « حركة الاصلاح » كما صورها المنـــار

كان الهدف الأول الذى توخت المنـــار القيـــام به هو تأصيل النهضة الاسلامية أو ما كان يسمى « حركة الاصلاح الاسلامى » وما يتصل بهـــا من ظهور حزب الاصلاح الاسلامي الذى كان يقوده الشـــيخ محمد عبـــده وقد أشار الى هـــذا الحزب صراحـــة ولأول مرة اللورد كرومر فى تقريره سنة ١٩٠٥ بعد وفاة الأستاذ الامام ، وكلمة الاصلاح كلمة غربية أساسا فهى تصور هذه النهضة بصورة حركة الاصـــلاح التى قامت بهـــا جماعة المصلحين فى المسيحية ، وان كانت فى المعنى تختلف اختـــلافا واضـــحا ، ويتحدث السيد رشـــيد رضا على مسيرة المنـــار الطويلة عن الاصـــلاح الاسلامى ، والاصلاحان الدينى والسياسى وتلازمهما ويقول :

« ان وجهة نظر المنـــار فى كل ما عرضت له من قضـــايا كان تمثيلا حقيقيـــا لمفهوم حزب الاصـــلاح الاسلامي الذى يقوم على فهم الاســـلام فهما صحيحا من منابعه الأولى » .

ومن هنا كانت معارضته الواضحة لمفاهيم مشايخ الطرق الصوفية وقد كانت قضية التصـــوف والطرق الصوفية من أبرز القضايا التى أولاها السيد رشيد رضـــا اهتمامه على مدى سنوات المنار بالاضافة الى أمرين آخرين وهما :

١ ـــ نحلة البهائية والقاديانية وما تتفرع منهما .

٢ ـــ جماعات التبشير والالحاد والاستشراق وما يتصـــل بمقارنات الأديان وخاصة بالنسبة لأخطاء كتاب المسيحية وعدائهم للاسلام .

ويقرر السيد رشـــيد رضا : « ان مفهوم حزب الاصلاح الاسلامى فى استرجاع مجد الشرق لا يكون بالاعتماد على الغرب فى الاصلاح وانما يكون بقوة الاسلام وبالعودة الى أصول الاســـلام وآدابه وتعاليمـــه الصحيحة وان انحراف المسلمين عن جادتها هو الذى سلبهم ما كسبوا فالرجوع اليها هو الذى يؤلف بين قلوبهم ويجمع كلمتهم ويرجع لهم سيادتهم » .

ويقول : « ان أهم ما جاء به الاسلام هو التوجيه فى العقائد الدينية والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والمدنية فأهم أركان الاصلاح الاسلامى : هو جمع المسلمين على عقيدة واحدة وأصول أدبية واحدة وقانون شرعى واحد لا يحكم عليهم غيره فى أى نوع من أنواع الأحكام ولغة واحدة ، ويتوقف على هذا تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شعب فى كل بلد اسلامى وهيئة عظمى فى مكة المكرمة واجتماعاتها فى موسم الحج تعمل علي توحيد العقائد والآداب والأحكام واللغة » .

كما تناولت المنار (النهضة الاسلامية فى مصر) وهى النهضة التى قام بها الشيخ محمد عبده (م ٢ / ٢٤١) فى مجال اصلاح الأزهر والتعليم واللغة كما عرضت فصلا مطولا لنظرية الاصلاح الدينى كما يفهمها حزب الاصلاح وهو ما اقترحه على مقام الخلافة الاسلامية (م ١/٧٦٤) كما ناقشت بتوسع قضية الاصلاح الاسلامى الدينى وتحدثت عن الاصلاحان السياسى والدينى وتلازمهما (م ١/٧٦٥) وفى نفس الوقت اهتمت بمناقشة المعارضة وهم من يسمونه أتباع الطرق الصوفية سواء فى داخل الأزهر أو فى خارجه ، وتناولت الأبحاث مختلف الأحوال المثارة للطرق الصوفية وخاصة ما يتعلق بسلطة مشيخة الطرق الروحية وعقد المتصوفة (م ١) ومحاربة الطرفين والاستغاثة وزيارة القبور وعقدت المنار فصولا متوالية عن الطريقة الرفاعية والطريقة القادرية ومولد الدمرداش ، كما عرضت لأنصار اتجاه المحافظة فى مصر من أمثال الشيخ عليش وناقشت الصوفية وأصل تسميتهم كما تعرضت للموالد والبدع كما ناقشت فساد خطة ابن عربى فى تفسيره وادعاءات الدجاجلة للكرامة ، وتحدثت عن نهضة الشيخ محمد عبده ورجاله الذين سلكوا مسلك السلف فى رسالة التوحيد كما تناولت المنار فكرة الجامعة الاسلامية وهى من أكبر القضايا التى عالجتها الصحافة (م ٢/٣٣٧) كما تحدثت عن الجنسية والدين وقالت ان الرابطة الأولى للأمة هى رابطة الشريعة العادلة والرابطة الثانية هى رابطة اللغة ، وكانت دعوة المنار الكبرى هى جمع كلمة المسلمين على قاعدة أهل السنة والجماعة .

وهاجم المنار المقلدين والجامدين : فالمقلدون هم الذين رضوا بانحلال

رابطتهم الملية وعفاء مقوماتهم ومستحقاتهم الموروثة وانتحال جنسية لغوية أو وطنية جديدة ، أما الجامدون فهم الخاملون الذين رضوا بهذه الحالة التى لا نجد لها تفسيرا الا ما يسمونه الموت صبرا ، وهذا هو حزب الجمود والتقليد ، وأشار الى حزب آخر وسط بين ذينك الحزبين وهم حزب الله المعلمون الذين يطلبون المجد الطرف ليكون متحدا بالمجد التليد ، هؤلاء الذين يريدون الحياة بمقوماتهم ومشخصاتهم الخاصة لانتحال ما هو من ذلك لغيرهم ، الذين يريدون صقل جوهرهم ليظهر خواصه ومزاياه فى أكمل ما يمكن أن يكون عليه ، هؤلاء هم حزب الوسط شهداء على الفريقين ولكنهم لا يزالون غرباء فى ديارهم .

وفى تصور آخر يقول : الأحزاب الثلاثة هم الفقهاء المقلدون الجامدون الماديون السياسيون والمصلحون المعتدلون ، وفى مراجعة من مراجعات المنار للحركة الاسلامية فى مصر يقول :

« ان حزب الاصلاح هو وحده محل الرجاء لأنه يقدر مزية كل من الحزبين قدرها ويعرف منافعه ومضاره ويريد أن يكون معقد الارتباط والاتصال بهما بارجاع كل منهما عن خطاه والسير بالأمة فى طريق تحفظ به مقوماتها ومشخصاتها وتعيد الموروث النافع منه الى جديد وتتدرج فى استبدال النافع بالضار منه وتقتبس من علوم العصر وفنونه وصناعاته ما لا تقوم لأمة قائمة فى هذا العصر بدونه ، وسط بين الجامدين والمتفرنجين ، ولم يكن طلاب الاصلاح الا أفرادا من النابئين فى بيوت حزب الجمود أو حزب التفرنج ، هداهم الله تعالى باستعداد من فطرتهم وتوفيق فى سيرتهم الى معرفة الطريقة المثلى لصلاح أمتهم ، وعنده أن الجامدون من الشيوخ أشد حسدا وبغضا للمصلح الدينى من غيرهم .

ويشير السيد رشيد رضا الى الاصلاح الاسلامى فيقول : ان له طريقين لا ترتقى أمة الا بأحدهما أو كليهما ، اما من قبل الأمة كأوربا واما من ناحية الحكومة كاليابان ، وان العقبات هما رجال الدين ورجال الحكم والسلطان .

يقول : « ويتوقف الاصلاح الاسلامى قبل كل شىء على اقناع العلماء ورجال الدين بأن العلوم الرياضية والطبيعية التى هى محور الثروة والقوة

والعزة ضرورية لامندوحة عنها ، ويجب أن تعلم مع الدين وأن يقوم بتعليمها رجال الدين لأن تركها للمدارس الأميرية والأجنبية يجعلها خاصة بمن لا دين لهم وهؤلاء لا يرجى منهم خير للأمة ولا للملة ولا يسقط الوجوب بهم . ان الدين لا يمكن حفظه الا بالدنيا فتعين أن يجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا (الرياضيات والطبيعيات) وأحكام الشريعة الاسلامية تصرح بأن تعلم الصناعات التى يحتاج اليها البشر فى معاشهم واجبة على مجموع الأمة »(١) .

ومن مجمل ما نشره السيد رشيد رضا فى المنار خلال الأعوام الخمسة والثلاثين (١٨٩٨ — ١٩٣٥) تستطيع أن تصل الى نظرية كاملة للاصلاح الاسلامى تقوم على أسس تحرير العقيدة من قيد التقليد وقد أولى السيد رشيد هذه الفكرة اهمية كبرى ويرى :

« ان عادة الناس قد جرت على اتباع من يثقون به ولهذا راجت بين المسلمين بدع وضلالات كثيرة باسم المذاهب والطرق حتى خرج بها كثيرون من الاسلام باسم الاسلام ، ومن ذلك طوائف الباطنية فمتى انقطع الناس عن فهم الكتاب والسنة انقطعت الصلة الحقيقية بينهم وبين دين الله الذى أنزله على رسوله وحرموا البصيرة التى هى سبيل الله وابتغوا السبل المختلفة مخالفين لقوله تعالى : **« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »** ولذلك نهى أئمة الفقه الأربعة وغيرهم من أئمة السلف عن التقليد الذى هو الأخذ بكلام من يثق المقلد بهم من غير بصيرة من الكتاب والسنة وكيف لا ينهون عن ذلك ويعلمون أنه يعين الناس عن سبيل الله . اننا ندعو المسلمين الى الاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله كل بقدر استطاعته وطالب الاهتداء من العامة ليستطيع أن يسأل العلماء »(٢) .

ويطالب السيد رشيد رضا (فى نطاق دعوة حركة الاصلاح) الى اتخاذ طريق عرفه المسلمون من قبل وأشار اليه حجة الاسلام الغزالى فى كتاب

---

(١) م ٢ .
(٢) م ٥٥١/١٣ .

(القسطاس المستقيم) من الدعوة الى ازالة الخلاف والأخذ بالمجمع عليه والتخير فى المختلف فيه وقليل من الناس من يترك كل ما أجمع على تحريمه وتقبل ما سهل عليه من أجمع على ندبه واستحبابه » .

وقد توسع نطاق البحث الذى كان يرمى فى مجمله الى ابراز مفهوم أهل السنة والجماعة الذى هو عصمة المسلمين وهو منطلق النهضة الاسلامية الحقيقية التى حملتها حركة الاصلاح الذى قام عليها الحكيمان جمال الدين ومحمد عبده وتابعهما السيد رشيد رضا خلال اكثر من ثلاثين سنة وتلاميذهما وكان هداهم واضحا فى كتابات الامامين ابن تيمية وابن القيم وما يتصل بكتابات الامام الغزالى والامام الأشعرى .

وقد عارض الشيخ رشيد رضا فى طريقه لتوسيد مفهوم أهل السنة والجماعة مفهوم علم الكلام والباطنية والهجمية والمعتزلة ، كما تحدث عن المتفرنجين وموقفهم من الاصلاح الاسلامى ، وتناول موقف الصوفية كذلك .

وقد أقام السيد رشيد رضا مفهوم أهل السنة والجماعة على قواعد أساسية قدمها كلها من خلال تفسير القرآن الحكيم الذى بداه الشيخ محمد عبده ومضى فيه كما عرض للشريعة الاسلامية ودعا الى التقريب بين الشيعة والسنة وعالج أمور الأزهر والتربية الاسلامية بعامة، وبالجملة فقد أضاء الطريق تماما فى مجال تقديم نظرية كاملة لكل من جاء بعده فى شأن اليقظة الاسلامية ولا ريب كان للشيخين جمال ومحمد عبده وكذلك رشيد رضا تقدير واضح للحركة التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية وان لم يكشف ذلك الا بعد أن تولى آل سعود الحكم فى الحجاز سنة ١٩٢٦ وما بعدها .

الفصل الأول

تفســــير القــرآن

يعــد تفسير القرآن الذى قدمه الشيخ محمد عبــده ونشره المنــار واتمه السيد رشــيد رضا هو بمثابة حجر الرحى فى تثبت مفاهيم النهضة الاسلامية ، ويشير صاحب المنار فى اكثر من موضع الى انه هو الذى اقترح على الأستاذ الامام ان يكتب تفســيرا للقرآن فى رمضان ١٣١٥ أى قبــل الشروع فى انشاء المنار وذلك بأن اقترح عليــه قراءة درس فى التفســير وقد تردد ثم لم يفعل الا بعد سنتين وشهور .

يقول : « زرته فقرا لى عبــارة من كتاب فرنسى يطعن فى القــرآن فطفق يرد عليها واحتاج فى الرد على العلوم فى تفسير رب العالمين فتمنيت حينئذ لو كان للقرآن تفسير على نحو ما كان يفسر فاقترحت عليه ذلك ، وانما قلت : لو كتبت تفسيرا على هذا النحو يقتصر فيه على حاجة العصر وترك كل ما هو موجود فى كتب التفسير وتبيين ما أهملوه ، قال : ان الكتب لا تفيد القلوب العمى، لا تفيد الكتب الا اذا صادفت قلوبا عالمة بوجه الحاجة اليها تسعى الى نشرها ، واذا وصل كتاب الى أيدى هؤلاء العلماء وفيــه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه ، واذا عقلوا شيئا منه يردونه ولا يقبلونه واذا قبلوه حرفوه الى ما يوافق علمهم ومشربهم ، كما جروا عليه فى نصوص الكتاب والسنة التى يريد بيان معناها الصحيح وما تفيــده . ان الــكلام المسموع يؤثر فى النفس اكثر مما يؤثر الكلام المقروء لأن نظر المتكلم وحركاته واشارته ولهجته فى الكلام ، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ويمكن للسامع ان يســأله عما يخفى عليه منه أما اذا كان مكتوبا فمن يســأل . ثم شرع فى قراءة التفسير بالأزهر فى غرة المحرم ١٣١٧ وكتبت مقالة فى المؤيد بينت فيها وجه حاجة المسلمين الى فهمه والاهتداء به وان كتب التفســير غير كافية وعلم الناس فأقبلوا على تلك الدروس اقبالا لم يعهد له نظير من المسلمين فى هذا العصر وقد عين مفتيا للديار المصرية فى الشهر الذى شرع فيه بقراءة التفسير .

(م ٨٩٦/٨) وأشار السيد رشيد رضا الى طريقة الامام فى قراءة التفسير وطريقته هو فى كتابته ، فقال : انني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيرا لها أو فى حكمها وفى تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية من العلماء ومن الاكثار من شواهد الآيات فى السور المختلفة وفى بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين الى تحقيقها بهداية دينهم فى هذا العصر أو تقوى حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو بحل بعض المشكلات التى اعيد حلها بما يطمئن اليه القلب وتسكن اليه النفس » .

وقد أشار السيد رشيد رضا (م ٦٤٦/٢٨) الى الحكمة من تقديم تفسير عصرى للقرآن فقال : « شاهدنا ولا نزال نشاهد فى بلادنا أن طلب العلوم والفنون مع اهمال التربية المصلحة للنفس لم يحل دون استعباد الأجانب لها كما جرى فى دولتى الآستانة والقاهرة وغيرهما ، نرى الرجل المتعلم المتفنن يتولى ولاية أو وزارة فيكون أول همه فيها تأسيس ثروة واسعة لنفسه وولده لأجل التمتع بالشهوات واللذات والزينة ، وهكذا تفعل كل طبقة من رجال الدولة يستنزفون ثروة الأمة بالرشا والحيل وأكل السحت ويكون كل ما فضل من شهواتهم بل جل ما ينفقونه عليها من نصيب الأجانب . (ومن هنا جاء) وجوب فهم القرآن والاهتداء به وبأن فقهه يتوقف على تفسيره لمن لم يؤت من ملكة لغته وفروق أساليبها وروح بلاغتها ومن تاريخ الاسلام وسيرة الرسول وهدى السلف الصالح ما يمكنه من فقهه بنفسه . انما يفهم القرآن ويتفقه فيه من كان نصب عينيه ووجهه وقلبه ما بينه الله تعالى فى موضوع تنزيله وفائدة ترتيله وحكمة تدبيره من علم نور وهدى ورحمة وموعظة وعبرة وخشوع وخشية وسنن فى العالم مضطردة فتلك غاية انذاره وتبشيره ، ويلزمها عقله وفطره لتقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة وكان من سوء حال المسلمين أن أكثر ما كتب فى التفسير تشغل مادته عن هذه المقاصد فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد النحو ونكت المعانى ومصطلحات البيان ومنها ما يصرفه عنها بجدل المتكلمين وتخريجات

الأصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، بعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما فرضت من خرافات الاسرائيليات وقد زاد الفخر الرازى صارفا جديدا عن القرآن هو ما يورده فى تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية الحادثة فى الملة على ما كانت عليه فى عهدها كالهيئة اليونانية وغيرها وقلده بعض المعاصرين فى ايراد مثل ذلك فى علوم هذا العصر وفنونه فهو يذكر فى تسمية تفسير الآية فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم النبات والحيوان تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن ، وأكثر التفسير المأثور قد سرى الى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب كما قال الحافظ ابن كثير وجل ذلك فى قصص الرسل مع أقوامهم وما يتعلق بكتبهم ومعجزاتهم ومن تاريخ غيرهم كأصحاب الكهف ومدن ارم ذات العماد وسحر بابل وعوج بن عنق وفى أمور الغيب من أشراط الساعة وقيامها وما يكون فيها وبعدها وجل ذلك خرافات ومقدمات لذلك ، قال الامام أحمد : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازى وكان الواجب جمع الروايات المفيدة فى كتب مستقلة كبعض كتب الحديث وبيان قيمة أسانيدها .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : والاختلاف فى التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك والمنقول أما عن المعصوم أو غيره ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ومنه ما لا يمكن ذلك وهذا القسم الذى لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة منه ولا حاجة بنا الى معرفته وذلك كاختلافهم فى لون كلب أصحاب الكهف واسمه وقصة البقرة وسفينة نوح والغلام الذى قتله الخضر فهذه الأمور طريقة بها النقل فما كان منها منقولا لا صحيحا عن النبى صلى الله عليه وسلم قبل وما لا صح أمره بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب بن وهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » .

والجهتان اللتان هما مثار الخطأ : احداهما حمل ألفاظ القرآن على معانى اعتقدوها لتأييدها به ، أقول لجميع مقلدة الفرق والمذاهب فى الأصول

والفروع المتعصبين لها فانهم قد جعلوا مذاهبهم أصولا والقرآن فرعا لها يحمل عليها وهذا شر أنواع البدع وتفسير القرآن بالرأى المذموم من الحديث والثانية التفسير بمجرد دلالة اللغة العربية من غير مراعاة المتكلم بالقرآن وهو الله عز وجل والمنزل عليه والمخاطب به . ان أكثر ما روى فى التفسير المأثور أكثره حجاب على القرآن وشاغل لنا عن مقاصده العالية المزكية للأنفس المنورة للعقول فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التى لا قيمة لها سندا ولا موضوعا . ثم قال : وكانت الحاجة شديدة الى تفسير يتوجه العناية الأولى فيه الى هداية القرآن على الوجه الذى يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة فى وصفه وما أنزل لأجله من الانذار والتبشير والهداية والاصلاح ، ثم العناية الى مقتضى حال هذا العصر فى سهولة التعبير ومراعاة افهام صنوف القارئين وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها .

ثم يتحدث السيد رشيد رضا عن العمل الذى قام به فيقول :

كنت قبل اشتغالى بطلب العلم فى طرابلس الشام مشتغلا بالعبادة ميالا الى التصوف ، وكنت أنوى بقراءة القرآن الاتعاظ بمواعظه لأجل الرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ، ولما قرأت دعوة (العروة الوثقى) الى الجامعة الاسلامية واعادة مجد الاسلام وسلطانه وعزته واسترداد ما ذهب من ممالكه وتحرير ما استعبد الأجانب من سطوته آثرت فى قلبى تأثيرا أدخلت به فى طور جديد من حياتى ، وأعجبت جد الاعجاب بمنهج تلك المقالات فى الاستشهاد والاستدلال على قضاياها بآيات من الكتاب العزيز وما تضمنه من تفسيرها مما لم يحوم حوله أحد المفسرين ، على اختلاف أساليبهم فى الكتابة ومداركهم فى الفهم وأهم ما انفرد به منهج العروة الوثقى فى ذلك ثلاثة أمور :

١ — بيان سنن الله تعالى فى الخلق ونظام المجتمع البشرى وأسباب ترقى الأمم وتدليها وقوتها وضعفها .

٢ — بيان أن الاسلام دين سيادة وسلطان وجمع بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ومقتضى ذلك أنه دين روحانى اجتماعى ومدنى عسكرى ، وان القوة الحربية فيه لأجل المحافظة على الشريعة

العادلة والهداية العامة وعزة الملة لا لأجل الاكراه على الدين بالقوة .

٣ — ان المسلمين ليس لهم جنسية الا دينهم فهم اخوة لا يجوز أن يفرقهم نسب ولا أمة ولا حكومة .

ويقول: كان الاحتلال الانجليزى لمصر ١٢٩٩هـ ، ونشأت العروة الوثقى فى باريس سنة ١٣٠١ الكاتب للمقالات هو الثانى (محمد عبده) ولكن بانشاء الأول (جمال الدين) وهو أستاذه فى هذا المنهج ومربيه عليه ، وقد توجهت نفسى بتأثير العروة الوثقى الى الهجرة الى السيد جمال والتلقى عنه وكان قد جاء الآستانة وبعد أن توفاه الله تعلقت آمالى بالاتصال بخليفته الشيخ محمد عبده للوقوف على اختياره وآرائه فى (الاصلاح الاسلامى) وما زلت أتربص الفرص لذلك حتى سنحت لى فى رجب ١٣١٥ عقب اتمام تحصيلى للعلم فى طرابلس وأخذ الشهادة العالمية واجازة التدريس من شيوخها فهاجرت الى مصر وأنشأت المنار للدعوة الى الاصلاح » .

وردد السيد رشيد رضا ما أوردناه من حديث الشيخ محمد عبده حول مطاعن أحد كتاب الفرنسيين فى الاسلام وفى هذه المرة كانت اجابة الشيخ مختلفة حيث قال : ان هؤلاء الافرنج يأخذون مطاعنهم فى الاسلام من سوء حال المسلمين مع جهلهم هم بحقيقة الاسلام ، وقال : ان القرآن نظيف والاسلام نظيف وانما لوثه المسلمون باعراضهم عن كل ما فى القرآن واشتغالهم بسفاسف الأمور ، وطفق يتكلم بهذه المناسبة فى تفسير قوله تعالى : ((**هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا**)) وماذا كان ينبغى للمسلمين أن يكونوا عليه لو اهتدو اليها . ثم ذكر أن الطاعن ادعى أن المسلمين لم يعلمهم نبيهم من صفات الخالق الا أنه حاكم قاهر وسلطان عظيم قد أوجب الفتح على أتباعه لأجل قهر الأمم لا لأجل تربيتها ، فأين هذا مما تسميه النصارى خالقهم بالآب الدال على الرأفة والرحمة ، وتحدث عن اسم الرب وما فيه من معانى التربية واللطف والتفرقة بينه وبين معنى الأدب وكون طلبه للولد بمقتضى شهوته لا محبته له وغير ذلك ، قلت : لو كتبت تفسيرا على هذا النحو ، يقتصر على حاجة العصر ونترك كل ما هو موجود فى كتب التفسير وتبين ما أهملوه » .

وجملة القول فى هذا كله ان الشيخ محمد عبده بدأ التفسير فى غرة المحرم ١٣١٧ وانتهى منه فى منتصف المحرم ١٣٢٣ عند تفسير « **وكان الله بكل شىء محيطا** » (الآية ١٢٥ من سورة النساء) فقرأ زهاء خمسة أجزاء فىست سنين اذ توفى لثمان خلون من جمادى الأولى منها رحمه الله وأثابه . وكانت طريقتــه فى قراءة الدرس على مقربة مما ارتآه فى كتابة التفسـير وهو أن يتوسع فيه فيما أغفله أو قصر فيه المفسرون ويختصر فيما برزوا فيه من مباحث الألفاظ والاعراب ونكت البلاغة وفى الروايات التى تدل عليهـا ولا يتوقف على فهمها الآيات ويتوكأ فى ذلك على عبارة تفسـير الجلالين الذى هو أوجز التفاسير فكان يقرأ عبارته فيقرها أو ينقد منها ما يراه منتقدا ثم يتكلم فى الآية أو الآيات المنزلة فى معنى واحد بما فتح الله عليه مما فيه هداية وعبرة .

يقول السيد رشيد رضا : « وكنت أكتب فى أثناء القاء الدرس مذكرات أودعها ما أراه أهم ما قاله ، وأحفظ ما أكتب لأجل أن أبيضه وأمده بكل ما أتذكره فى وقت الفراغ، وما لبثت أن أقترح على بعض الراغبين فى الاطلاع عليه من قراء المنار فى البلاد المختلفة ومن الحريصين على حفظه من الاخوان بمصر أن أنشره فى المنار فشرعت فى ذلك أول المحرم ١٣١٨ وكنت أولا أطلع الأستاذ الامام على ما أعده للطبع كلما تيسر ذلك بعد جمع حروفه فى المطبعة وقبل طبعه فكان بما ينقح فيه بزيادة قليلة أو حذف كلمة أو كلمات ولا أذكر أنه انتقد شيئا مما لم يره قبل الطبع بل كان راضيا بالمكتوب بل معجبا به على أنه لم يكن كله نقلا عنه ومعزوا اليه ، بل تفسيرا للكاتب من انشائه اقتبس منه من تلك الدروس الغالية جل ما اسـتفاده منها لذلك كنت أعزو اليه القول المنقول عنه اذا جاء بعد كلام لى فى بيان معنى الآية أو الجملة على الترتيب فاذا انتهى النقل وشرعت بكلام لى بعده قلت فى بدئه : (أقول) ولم يكن هذا التميز ملتزما فى أول الأمر بل يكثر فى الجزء الأول ما لا عزو فيه ومنه ما هو مشترك بين ما فهمته منه ومن كتب التفسير الأخرى أو من نص الآية على أنى عبرت عنه بآمالى مقتبسة ، ولما كان رحمه الله تعالى يقرأ ما أكتبه ، اما قبل طبعه وهو الغالب وأما بعده وهو الأقل ، لم أكن أرى حرجا فيما أعزوه اليه مما فهمته منه وان لم أكن كتبته عنه فى مذكرات الدرس

لأن اقراره اياه يؤكد صحة الفهم وصدق العزو ، وبعد أن توفاه الله صرت أرى من الأمانة أن لا أعزو اليه الا ما كتبته عنه أو حفظته حفظا ، وصرت أكثر أن أقول قال ما معناه ، أو ما مثاله أو ما ملخصه .

وقد بدأت فى حياته بتحرير تفسير الجزء الثانى من المنار وطبعه على حدته وتوفى قبل طبع نصفه فهو قد قرأ ما طبع منه مرتين ، وقد اشتد شعورى بعد ذلك بأن على وحدى تبعة تأليف تفسير مستقل وتبعه ايداعه ما تلقيته من هذا العالم الكبير المشرق البصيرة وذى النصيب الوافر من ارث نبى الله داود عليه السلام الذى قال الله تعالى فيه « **وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** » وتبعة الأمانة فى النقل بالمعنى أثقل من تبعة تحرى الفهم الصحيح وأدائه ببيان صحيح .

هذا وانى لما استقللت بالعمل ...

(م ٦٤٦/٢٨) .

وقد عرض السيد رشيد رضا للقواعد التى أملاها الشيخ محمد عبده فى مقدمة التفسير حيث قال : « القرآن كلام سماوى تنزل من حضرة الربوبية التى لا يكتنه كنهها على قلب أكمل الأنبياء وهو يشمل على معارف عالية ومطالب سامية لا يشرف عليها الا أصحاب النفوس الزاكية والعقول الصافية . والتفسير الذى نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة ، فان هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من مباحث التفسير تابع له أو وسيلة لتحصيله . وقال : التفسير له وجوه شتى :

١ — النظر فى أساليب الكتاب ومعانيه وما اشتمل عليه من أنواع البلاغة ليعرف به علو الكلام وامتيازه على غيره من القول ، سلك هذا المسلك الزمخشرى وقد ألم بشىء من المقاصد الأخرى ونحا نحوه كثيرون .

٢ — الاعــراب .

٣ — تتبع القصص .

٤ — غريب القــرآن .

٥ — الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات .

٦ — أصول العقائد ومقارعة الزائغين .

٧ ــ المواعظ والرقائق .

٨ ــ الاشارة واشتباه كلام الباطنية وكلام الصوفية .

وقال : ان الأحكام العملية التى يسمونها فقها هى أقل ما جاء فى القرآن وان فيه من التهذيب ودعوة الأرواح الى ما فيه سعادتها ورفعتها من حضيض الجهالة الى أوج المعرفة وارشادها الى طريقة الحياة الاجتماعية مما لا يستغنى عنه من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولا يوجد هذا الارشاد الا فى القرآن وفيما أخذ منه كاحياء العلوم . كما أن كثيرا من حكمه ومعارفه لم يكشف عنها اللثام ولم يفصح عنها عالم ولا امام ، ثم ان أئمة الدين قالوا ان القرآن سيبقى حجة على كل فرد من أفراد البشر الى يوم القيامة (والقرآن حجة لك أو عليك) .

ثم أشار السيد رشيد رضا الى اتباعه لهذا المنهج ، فقال : اننى أعتقد أن كل ما أنا فيه من نعمة الله تعالى على فى دينى ودنياى وعلمى وعملى ، هو من آثار سلوك الطريق على يد ذلك الأستاذ العارف رحمه الله وجزاه عنى خيرا ، وأشار السيد رشيد رضا الى أن كثيرا من الألفاظ التى كانت تستعمل فى زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد ، ومن ذلك لفظ « التأويل » الذى اشتهر بمعنى التفسير (مطلقا أو على وجه مخصوص) ولكنه جاء فى القرآن بمعان أخرى ، ويقول : يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتبع الاصطلاحات التى حدثت فى الملة فكثيرا ما يفسر كلمات القرآن باصطلاحات حدثت فى الملة بعد القرون الثلاثة الأولى فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعانى التى كانت مستعملة فى عصر نزوله ، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع كل ما ورد فيه من الألفاظ المكررة وينظر فيها فربما استعملت بمعان مختلفة كلفظ (الهداية) .

الفصل الثانى

مفهوم اهـل السنة والجماعة

كان تفسير القرآن الذى بدأه الشيخ محمد عبده وسار نيه السيد رشيد رضا شوطا طويلا حتى توقف رحمه الله عند سورة هـود (السورة الحادية عشرة من المصحف) وسورة يوسف ، مدخلا الى تصحيح العقيدة وابراز مفهوم أهل السنة والجماعة المتحرر تماما من مفاهيم الجهمية والمعتزلة والصوفية والباطنية ، وقد عنى السيد رشـيد رضا عناية كبرى بتحرير هذه القضية على نحو واسع شغل من المنار صفحات واسعة ومضى فيه السيد عاما بعد عام لم يتوقف ، عرض فيه لعديد من كتب السلف الكاشفة لهذا المعنى كما عرض لكتب الفرق ناقدا، وداحضا. ويرى أنه من الضرورى تحرى مذهب السنة الصحيحة فى التفسير من وراء المعتزلة والأشعرية ومن خلال تراث ابن تيمية وابن القيم اللذين يوليهما اهتماما واسعا فيقول : « ان كلا من المعتزلة والأشعرية أخطأوا من جهة وأصابوا من أخرى وان مذهب السنة الصحيح وسط بين هذين المذهبين ولمن أخذ العلم من كتب طائفة تؤيد مذهبا معينا دون النظر فى كتب أهل المذاهب الأخرى يفك الأخذ من ربقة التقليد ولا يهديه الى طريقة التمحيص والتجديد ، وان كتب ابن تيمية وابن القيم أنفع كتب الكلام وان هذين الشيخين هما الجديران بلقب شيخ الاسلام فقد أصاب من يعتنى به من العلماء الأعلام وخلاصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعدله ورحمته وفعله كما يدلان على قدرته وارادته واختياره يستحيل عليه أضدادها فكل أفعاله وحكمه مصلحة للخلق والحكم والمصلحة فى العقل تسمى فى اللغة علة وجاء ذلك فى القرآن بحرف التعليل فأجمع بين العقل والنقل تهتد السبيل ولا تكفر أو تضل أحدا من اهمال العلية .

وقد أجرى محاورات واسعة بين المصلح والمقلد ، لكشف حقيقة مفهوم أهل السنة والجماعة ومحاربة كلا الفكر الصوفى والتقليدى وفكر الكلام والفلسفة والمنطق واحياء مفهوم أهل السنة والجماعة بعيدا عن كل

التفسيرات الموجبة لغير ذلك سواء أكانت معتزلة أم صوفية أو فلسفية ، وقدم فى ذلك كتاب شرح عقيدة السفارينى (الدرة المضيئة فى عقد الفرقة المرضية) وقد اهتم بالرد على المعتزلة الأشعرية معـــا كما عرض لكتاب الشيخ حســـين الجسر فى العقائد (الحصون الحميدية لمحافظـــة العقائد الاسلامية) وقال ان هناك جماعات متعددة فى العراق وسوريا من الرافضة والمشبهة التى تحيى ما فعله عبد الله بن سبأ الذى ابتدع لهم الرفض وتحدث عن الأحاديث الموضوعة والوضاعين وأبطـــل مذهب القـــدرية والجبرية ومن ذلك قوله : « ليس القرآن وحده ولكن القرآن والسنة » وأشار الى الارتباط بين السلفية والأشعرية « فهما أهل السنة والجماعة لم يفرطوا تفريط القدرية النفاة ، ولم يفرطوا افراط الجبرية المحتجين بالقـــدر على معاصى الله فمذهب سلف الأمة وأئمة السنة كافة أن جميع أنواع الطاعات والمعاصى والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لا خالق سواه فأفعـــال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبيحها ومذهب سلف الأمة وأئمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعلٌ لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية ، ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليهـــا هذا القدر ثم ان الأشعرى أثبت للعبـــد كسبا ومعناه أنه قادر على فعله وان الله فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا » .

وقد كشف السيد رشيد رضا كثيرا من شبهات الباطنيـــة والزنادقة ورد عليها ، كما تعرض للمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ .

وكشف كيف كان الرفض والتشـــــيع والاعتزال من أبواب الزندقة والالحاد . فالصائبة المتفلسفة كانوا مصدرها أخذ منه أو زاد عليه القرامطة والنصيرية الاســـماعيلية الحاكمية وهم انما يدخلون الى الزندقة والـــكفر بالكتاب والرسول من باب التشيع والرفض والمعتزلة .

وأفاض فى عرض شرح عقيدة السفارينى ، من رجحان مذهب السلف على غيره مؤيدا ذلك بالدلائل النقلية والعقليـــة وقد اقتبس جـــل تحقيقاته من كلام الامامين الجليلين شيخ الاسلام ابن تيميه وتلميذه المحقق ابن القيم

وقد قال ذلك فى مواجهة كتب العقائد التى يتداولها طلاب العلم وكلها من وضع المتكلمين الذين جروا على طريقة فلاسفة اليونان .

واشار فى اكثر من موضع الى وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية ، فأما وحدانية الالوهية فهى قوله أن لا تعبد الا الله واكده بقوله ولا تشرك به شيئا والاله هو المعبود الذى توله العقول فى معرفته ، أما وحدانية الربانية فهى قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فالرب هو السيد المربى الذي يطاع فيما يأمر وينهي والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحريم (م ٢٥٥/١٠) .

ويتحدث عن فكرة التحرر من التقليد وتحامى كتب المتأخرين أينما وجدت ويستشهد بقول الامام الشاطبى : كان لاخذ الفقه من كتب الأقدمين ولا يرى لأحد أن ينظر فى هذه الكتب المتأخرة كما قرره فى كتاب الموافقات وترد عليه الكتب فى ذلك من بعض اصحابه فيوقع له : « واما ماذكرتم من عدم اعتمادى على التأليف المتـــأخر فليس ذلك منى محض راى ولكن اعتمــدته بحسب الخبرة عند النظر فى كتب المتقدمين مع المتأخرين ، كابن بشر وابن شاش وابن الحاجب ، ومن بعـــدهم ، ولأن بعض من لقن من العلماء أوعـــانى بالتجافى عن كتب المتأخرين وابى بعبـــارة خشنة ولكنهـــا محض التضحية والتساهل فى النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله » .

ويقول : لقد دخلت بعض البدع على كتب أهل السنة وانها ليست من مذاهب الأئمة فان مذاهبهم متفقة على الأخذ بالكتاب والسنة فمن الحق بالدين شـــيئا زعم انه منقول أو مستنبط من كلامهم وهـــو يخالف الكتاب والسنة فهـــو مردود عليه وهم يراد منه وقال : ان اهـــل السنة والجماعة هم أبو الحسن الأشعرى أبو منصور الماتريدى ومن تابعهما فى الاعتقـــاد والامام الجنيد ومن تابعه فى التصوف والأئمة الأربعة ومن تابعهم فى الفروع .

المتكلمون وعلم الكلام : وأفاض الســـيد رشيد رضا فى عرض أقوال المتكلمين ومفاهيمهم وقال ان امام نظـــار المتكلمين والأصـــوليين فى عصره امامهم (الرازى) « وكان من أقلهم حظـــا فى علم الســـنة وآثار الصحابة والتابعين وأئمة السلف من المفسرين والمحدثين بل وصفه (الحافظ الذهبى) بالجهل بالحديث وقال : « التاج السبكى » أنه لم يشتغل بهذا العلم وليس

من أهله . وقال ان « بدعه الكلامية » مخالفـة لنصوص الكتاب والسنة وقال ان تفسير الرازى قد اشتهر فيه بعض العلماء فيه أن فيه كل شىء الا التفسير كما فى كتاب الاتفاق ، وجملة القول : ان مذهب لسلف الصالح وجـوب الايمان بكل ما وصف الله تعالى به فى نفسه فى كتابه وما صـح من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم له على ظاهره من غير تعطيل للمعنى اللغوى يجعله كاللغو وكل محاولة لتشبيه الله بخلقه يعد من النقص ولا تأويل يخرج الظاهر المتبادر عن معنـاه بمحض الراى والخواطر التى تعرض لبعض الناس فيما لا يليق به تعالى لا تنقص من ايمان المؤمن بكتابه وصدق رسوله المتبع لهما . قال ابن مسعود : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقالوا ان أحدنا ليجد فى نفسه ما لأن يحترق حتى يصير حممة (أى محمة) أو يخرج من السماء الى الأرض أحب اليـه من أن يعلم به . قال : ذلك محض الايمان وكراهيـة المؤمن لها دليل على ايمانه المحض الخالص .

ويقول السيد رشيد رضا : ان كبار النظار من المتكلمين قـد رجعوا الى مذهب السلف فى الايمان بظاهر النصوص وفى مقدمتهم امام الحرمين كما نقله عنه الحافظ ابن حجر فى شرحـه للبخارى ومن قبله والده الامام الجوينى ومن بعده أبو حامد الغزالى فى آخر عمره ونقل مثل هذا عن الفخر الرازى أيضـا وقد صرح الغزالى من قبـل رجوعه الى مذهب السلف أن علم الكلام ليس من علوم الدين وانما هو لحراسة العقيـدة كالحرس للحـاج وانما راجت كتبه لأنها وضـعت للرد عـلى ملاحدتهم ومبتدعيهم ولا تنفع فى الرد على ملاحدة هذا العصر ولا مبتدعيه » .

ويقول السيد رشيد رضا أيضـا عن المعتزلة : « من يطالع مقالات المعتزلة بامعـان يتبين له أن مقاصـدهم التوفيق بين الدين والفلسـفة ولم يتيسر لهم ذلك لأمرين لأن الفلسفة التى طالعوها أكثرها غـير صحيح فلذلك لم تلتئم مع الدين والثانى أن المقصد الأصلى من الدين هو العمـل وهؤلاء افرطوا فى الجدل فشطوا عن مقصـد الدين كما شـط مجادلوهم عن الجبرية الخالصة أو الجبرية المتوسطة والمرجئة .

واشار فى موضع آخر الى ذم السلف الخوض فى علم الكلام فقال :

لقد ذم السلف الصالح الخوض فى علم الكلام والنقض والتدقيق فيما زعموا أنها قضايا برهانية وحجج يقينية وقد شجبوا ذلك بالقضايا المنطقية والمدارك الفلسفية والتحليلات الكشفية والمباحث القرمطية ، وكان أئمة الدين قبل مالك وسفيان بن المبارك وأبى يوسف والشافعى واحمد واسحق والفضل ابن عياض وبشر الحانى يبالغون فى ذم (علم الكلام) وفى ذم بشر المريسى حتى أن هارون الرشيد خامس الخلفاء لبنى العباس قال يوما بلغنى أن بشر المريسى يقول ان القرآن مخلوق ولله على أن أظفرنى به الله لأقتلنه قتلة ما قتلها احد فأقام بشر متواريا أيام الرشيد نحوا من عشرين سنة ، ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية ان التأويلات التى ذكرها ابن فورك ويذكرها الرازى فى تأسيس التقديس ويوجد منها غالت المتكلمة من الجبائى وعبد الجبار وأبى الحسن البصرى وغيرهم هى بعينها التأويلات التى ذكرها بشر المريسى ورد عليه الامام الدارمى عثمان بن سعيد احد مشاهير أئمة السنة من علماء السلف فى زمن البخارى . (م ٦٤٩/٨) .

ويشير السيد رشيد رضا الى السبأية (اتباع عبد الله بن سبأ) ويقول انهم بمثابة الضربة الأولى التى ضرب بها الاسلام ، كان هذا الرجل يهوديا ثم اسلم ظاهرا وأعماله تدل على انه يحمل حقدا شديدا للمسلمين

ويفسح السيد رشيد قدرا واسعا من صفحات المنار لنشر كتاب تاريخ الجهمية والمعتزلة الذى ألفه جمال الدين القاسمى (م ٧٠٣/١٦ وما بعده) يشار فيه الى توافق الفرقتين المعتزلة والجهمية فى المسائل المعروفة عنهما. وأن أول هذا الأمر عندما فتح باب النظر والتأويلات (تأويل آيات الصفات فى الكتاب المبين) وقد انتشرت مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة وظهور دولة الجهمية (المعتزلة) فى عهد المأمون ودعواه الى مذهبهم وما جرى على أئمة الرواية فى مسألة خلق القرآن وأشار الى ما رواه الشيخان البخارى ومسلم فى صحيحهما (باب كتاب التوحيد والرد على الجهمية) فى البخارى وقد اشتهر عن جهم بن صفوان أن القول بالجبر هو اسناد فعل العبد الى الله تعالى وكان المأمون وأحمد بن داود الذى أقنعه بذلك مقدمة لنشوء الفلسفة والتشيع . ويقول الامام الذهبى فى تذكرة الحفاظ (ج ٣٠٠/١٠) لما قتل الأمين واستخلف المأمون على راس المائتين نجم التشيع وأبدى

صفحته وبزغ فجر الكلام وعربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين فقد كانت الأمة منه فى عافية وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن ودعاهم اليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله ، ان من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف ، فتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول أتباع الرسل ويمارى فى القرآن ويتبرم بالسنن والآثار وتقع فى الحيرة فالفرار الفرار قبل حلول الدمار واياك ومعضلات الأهواء ومجاراة العقول ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم .

وفى مجلد (٥٦٩/٣٣) من المنار فصل السيد رشيد رضا هذه القضية باعتبارها دعامة الاصلاح الاسلامى الحقيقية وتحت عنوان (أصل الاسلام) وما طرأ عليه من الفساد عن طريق السياسة والفلسفة والتصوف يعدد الباحث المسائل التالية :

المسألة الأولى : ان هذا الدين (الاسلام) وحى الهى الى نبى أمى ظهر فى أمة أمية جاهلة ليعلمها الكتاب والحكمة ويزكيها بالعلم والعدل والفضيلة . وان الله قد شهد كتابه بأنه أكمل هذا الدين لعباده فى آخر عمر نبيه ليس لأحد أن يزيد فيه بعده عقيدة ولا عبادة ولا تحريما دينيا مطلقا ولا تشريعا مدنيا الا ما أذن به لأولى الأمر من الاجتهاد على أساس نصوصه وقواعده .

المسألة الثانية : ان ما أجمع عليه أولئك الأميون الأولون أو أكثرهم هو الحق وان كل ما خالف نصوص القطيعة من العقائد والآراء والأقطار البشرية فهو باطل وفيه جميع نظريات المتكلمين العقلية وكشف فلسفة الصوفية الروحية وان المصلحة للمسلمين وللبشر كافة أن يقصروا هداية الدين على نصوص القرآن المنزلة وما بينه من سنن الرسول المتبعة وسيرة خلفائه وجمهور عترته وأصحابه قبل نشوء الابتداع والتفرق فى الملة .

المسألة الثالثة : ان البدع التى فرقت الأمة فى أصول دينها وجعلتها شيعا تؤثر كل شيعة أتباع زعمائها ومذاهبها على كتاب الله وسنة رسوله وهدى سلفه الصالح بالتأويل من حيث يدعى أن أئمتها أعلم من مخالفيهم

بتأويل الكتاب والحديث وان بعضهم مؤيد بالكشف وبعضهم بالعصمة فهم أحق أن يقلدوا ويتبعوا وانما يعلم الا علم بالدليل لا بالتقليد وفهم النصوص بقواعد اللغة والسنة العملية لا بالتأويل . ولهذه البدع المفرقة ثلاث مثارات من أركان حضارة الأمم السياسية هى :

السياسة والسلطان — العلم العقلى والعرفان ، وفلسفة الوجدان وما يتبعه من دعوى علم الغيب المسمى بالكشف والكرامات الشاملة لدعوى التصرف فى الكون .

ويفصل ذلك على ثلاث قضايا :

١ — السياسة الدولية : مثارها الأول ما شجر بين الصحابة ثم كان أشدها افسادا ما كان بين أهل السنة والشيعة ، وقد زالت الخلافة وضاعت سيادة الأمة فى حين أن آثارها ومفاسدها لا تزال ماثلة . المنتمون الى مذهب السنة قد غلبهم جهلة الأعاجم على خلافتهم بعد أن جعلوها عصبية وراثية . غلاة الشيعة نقضوا أركان الاسلام من أساسه بدعاية عصمة الأئمة وتأويل نصوص الكتاب والسنة .

٢ — النظريات العقلية وتحكمها فى النصوص النقلية : تنازع أئمة الأتباع وعلى رأسهم الامام أحمد بن حنبل ودعاة الابتداع من متكلمى نظار المعتزلة والجهمية ولولا تدخل سلطان العباسيين فى نصر فريق على فريق لما وصلت الى ذلك الحد .

وسيموت ما بقى من علم الكلام بموت الفلسفة اليونانية التى بنى على قواعدها ونظرياتها وان بقيت له بقية تقليدية فى بعض المدارس الاسلامية وسيخلفه علم آخر فى حراسة العقائد من شبهات العلم وفلسفة هذا العصر ، مع ابقاء الخلط بينهما وبين عقائد الدين ومحاولة تحكم كل منهما فى الآخر كما فعل نظارنا المتقدمون فجنوا على كل منهى بما أضعف سلطان الدين عن أداء وظيفته وهى تزكية النفس بما يوقفها عند حدود الحق والعدل والفضيلة وعمل البر وأضعف سلطان العلم فى أداء وظيفته فى اظهار سنن الله فى العالم وتسخير قوى الطبيعة لنافع الناس .

٣ — دعوى الكرامات والكشف وتحكمه فى عقائد الدين وعباداته وآدابه وتفسير نصوصه وأحكام المعاملات والحلال والحرام وقد نجمت البدعة من هذه الناحية صغيرة ثم كبرت ، هاجمها علماء المنقول والمعقول ، يؤيدهم الخلفاء والملوك فانهزمت أمامهم حتى اذا ما ضعف العلم فصار تقليديا وضعف الحكم فصار ارثا جاهليا وصار علماء الأزهر مثل الشعرانى وسلاطين مصر مثل قايتباى خضعت رقاب المسلمين بولاية من الشيخ محمد الخضرى ، هذا الولى الشيطانى الذى خطب فى ثلاثين مسجدا من مساجد القطر (م ٥٧٣/٣٣) .

٤ — بطلان تأويل النصوص للنظريات العقلية والعلمية الباطنية : النظريات العقلية التى تناول النصوص لأجلها علماء الكلام فقد ظهر بطلانها وبطلان الفلسفة التى بنت عليها لعلماء هذا العصر وفلاسفته فقد أجمع هؤلاء على أن جميع النظريات العقلية الفلسفية والعلمية المسلمة اليوم ليس فيها شىء يعد من الحقائق القطعية العلمية الثابتة التى لا يمكن نقضها ، بل كلها قابلة للنقض والبطلان وقد بطلت النظريات العلمية فى المادة والقوة فكيف يجوز اذن تأويل نص دينى قطعى الرواية والدلالة فى خبر عالم الغيب من الوحى الالهى لنظرية ظنية فى عالم الشهادة من الرأى البشرى ، واذا بكل تأويل علماء الكلام المبنى على قواعد النظر العقلى ومراعاة مدلولات اللغة واشتراط عدم المخالفة لأصل من قواعد الشرع وتأويل المعاصرين لما يخالف العلوم العصرية فأجدر بتأويلات الباطنية أن تكون أشد بطلانا لأنها تحكم فى اللغة بما لا تدل عليه مفرداتها ولا قواعد نحوها ولا بنيانها ، وناقضة لأصول الشرع وقواعده القطعية الثابتة بالاجماع المتواتر والعمل الذى لا مجال للتأويل ولا التحريف فيه كتأويل الاسماعيلية القرامطة السابقين والبهائية والقاديانية اللاحقة ، البهائية الذين يدعون الى الوهية البهاء والقاديانية الذين يدعون الى بنوة ميرزا غلام أحمد » .

هذا ولابد من عرض القضيتين المكملتين للبحث وهما الصوفية والشيعة الغالية .

الفصل الثالث

الصوفية الهندية والفلسفة

كانت مقاومة مفاهيم الصوفيـــة الهندية والفلسفة هى من أحجـــار الأساس فى بناء مفهوم أهل السنة والجماعة القائمة على المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى فى مواجهة تلك الجبرية التى تدعى دعاوى باطلة تصرف المسلم عن بذل الجهـــد ودعوى قرب انتهـــاء الزمان والتواكل ومن هنـــا فقد اهتم السيد رشيد رضا بالحديث عن سنن الله فى الكون والتماس هذه السنن فى معرفة مهمة الانسان فى الحيـــاة وان الأمم تمر بمراحل الضعف بعد القوة ثم تعود الى القوة مرة أخرى متى التمست منهج الله ، وان الضعف الذى يمر بالأمة الاسلامية لا يعنى أنه دليل على نهاية الزمان وانما هى مرحلة تعقبها مرحلة أخرى يستيقظ فيها المسلمون .

وقد رد السيد رشيد رضا هذه المشاعر المتشائمة اليائسة التى تدعو الى الانصراف عن الحياة واعتزالها الى مفاهيم التصوف الهندى والفلسفى الوافـــد على المسلمين ، والذى لم يعرفـــه المسلمون فى الصـــدر الأول للاســـلام .

وقد عرض السيد رشـــيد رضا لما تضمنته كتب الصوفية من هـــذا النوع من المفاهيم الجبرية فأشـــار الى أن فى بعض الكتب الصوفية كثيرا من المعارف والفوائد والمواعظ المؤثرة ولكن أكثرها قد أفسد فى دين هـــذه الأمة ما لم تبلغ الى مثله شبهات الفلاسفة وآراء مبتدعة المتكلمين لأن هذين النوعين لا ينظر فيهما الا بعض المشتغلين بالعلم العقلى ، أما كتب الصوفية فتنظر فيها جميع طبقات الناس وان كانت أدق عبارة وأخفى اشارة من كتب الفلاسفة ولا شـــك أن خير صوفية هـــذه الأمـــة السابقون الذين كانوا لا يتصوفون الا بعد تحصيل علم الكتاب والسنة والفقه والاعتصام بالعمل على طريقة السلف كالامام الجنيد وطبقته ثم ظهر فيهم الغلاة ومن يسمون صوفية الحقائق فابتدعوا ما أنكره عليهم الأئمة . حتى قال الامام الشافعى من تصوف أول النهار لا يأتى آخره الا وهو مجنون ، وأنت ترى أن الحارث

المحاسبى من أجل علماء الصوفية وقد روى عنه الجنيد وكان من المتمسكين بالسنة بحيث يأخذ مما خلفه والده من المال الكثير دانقا واحدا على شدة فقره وعلل ذلك بأنه لا توارث مع اختلاف الدين ، وما كان والده الا واقفيا أى لا يقول ان القرآن غير مخلوق كما أنه لا يقول هو مخلوق . ألف الحارث فى أصول الديانات والزهد على طريق الصوفية فسئل الامام أبو زرعة عنه وعن كتبه فقال للسائل : اياك وهذه الكتب ، بدع وضلالات وعليك بالأثر فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب . روى الخطيب بسند صحيح أن الامام أحمد سمع كلام المحاسبى وقال لبعض أصحابه ما سمعت فى الحقائق مثل كلام هذا الرجل ولا أرى لك صحبتهم ، انما نهاه عن صحبتهم لعلمه بقصوره عن مقامهم فانه مقام ضيق لا يسلكه كل أحد ويخاف على من يسلكه أن لا يوفيه حقه (م ٧٥٤/٣٠) .

وخاصة هذا الزمان وعوامه أولى بأن لا ينظروا فى كتب من لا يعدون من طبقة الحارث بحيث أن امام السنة الأعظم فى عصره أحمد بن حنبل لم ينكر شيما مما سمع من كلامه بمخالفة الكتاب والسنة وانما أنكره هو لأنه شىء جديد مبتدع فى أمر الدين يشغل الناظر عن كتاب الله وسنة رسوله ونهى عن صحبتهم لذلك أو لضيق مسلكهم وكونه لا يفهمه ولا يستفيد منه الا من هو مثلهم فما نقول بما جاء بعد هؤلاء من أصحاب القول بوحدة الوجود وغير ذلك من البدع المصادمة للنصوص كمحيى الدين بن عربى الذى يقول فى خطته وفتوحاته :

الرب حق والعبد حق
يا ليت شعرى من المكلف
ان قلت عبد فذاك ميت
أو قلت ربى أنى يكلف

ومن شعره فى ديوانه : (وما الكلب والخنزير الا الهنا) .

وذكر الشعرانى وهو أشهر داعية فى عصره الى خرافات الصوفية أنه سأل شيخه فى التصوف عليا الخواص : لماذا يتأول العلماء ما يشكل ظاهره من نصوص الكتاب والسنة دون المشكل من كلام العارفين فأجابه بأن سبب ذلك القطع لعصمة القرآن وما صح عن الرسول صلى الله عليه

وسلم فى أمر الدين وعدم عصمة هؤلاء الشيوخ من الخطأ بالمعنى فى كتابه الدرر والجواهر وهذا حق .

ويقول السيد رشيد رضا : ان تحرير علم التصوف شيء لا يستطيعه الا من كان راسخا فى علم الكتاب والسنة أتم الرسوخ وعارفا بالتصوف معرفته علم وذوق وعمل وقد أدخر الله تعالى هذا للعالمين العاملين : شيخ الاسلام أبى اسماعيل الهروى الأنصارى ومجدد الاسلام ابن القيم الدمشقى جمع الأول ذلك التصوف جمعا موجزا فى كتابه منازل السائرين وشرحه الثانى فى كتابه مدارج السالكين وقد قدم صاحب المنار فى (المجلد ١٩) تعريف بالكتابين وقال : علماء الاسلام صنفان : علماء الاثر وهم علماء المنقول وعلماء المنقول ومن كل صنف مفسرون وفقهاء ولا يكاد يكون الاثرى متكلما وقد يكون صوفيا فى النادر .

وان علم الأثر ينقسم الى علم الرواية وعلم الدراية ولا يتم نفع أحد العلمين الا بالآخر ، ووجد من كل طائفة علماء أعلام صالحوا المتكلمين بدفع شبهات الملاحدة وكثير من المبتدعة ، وصالحوا الصوفية وخدموا الاسلام ببيان حكم الشريعة وأسرارها وتقرير الأخلاق والآداب ، والفقهاء خدموا الاسلام باستنباط أحكام العبادات والحلال والحرام والأحكام المدنية والسياسية ولكن كل هذه الفرق دخلت اليها البدع فتفرق المسلمون الى فرق وأحداث كثيرة .

وأشار السيد رشيد رضا الى انحراف المتصوفة عن الصراط السوى حتى لم يبق عندهم الا الرسول ، فقد تمسكوا بحبل الأوهام والابهام ، أعدوا الطريق أحيولة للجاه وحيلة للمفاخرة والمباراة وغلبة الأهواء ، وما بقى من علم القوم الأشقشقة اللسان رزخرفة الكلام بالألفاظ لا يفكرون بمعناها ، وكلمات لا يعرفون مرماها كالسحر والدجل والادلال والسطح والفرق والجمع ، ليس لهم من العمل الا ضرب الدفوف ودق النقارات والصنوج والنفخ بمزمار الشبابة بل والضرب بآلات الأوتار والتغنى بالأشعار الغرامية المهيجة للنفوس ، كأشعار عمر بن الفارض ويسمون كل ذلك عبادة ، وحالة الذكر الذى حققوه كالرقص . (م ٦٢٦/١) .

وأشار الى انحراف التصوف بعد أن كان فى القرن الأول زهدا خالصا

لا يصرف عن عجل الدنيا فقال : لما توسع أهل القرن الرابع فى الشرع وتعيين المتكلمين فى العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلامذته فى الالهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملا وألبسوا لباسا اسلاميا فجعلوه علما مخصوصا يعرف باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن ، وبعد أن كان التصوف عملا تعبديا محضا جعلوه فنا نظريا اعتقاديا بحتا وجاء منهم فى القرن الخامس وما بعده غلاة رأو مجالا فى جهل أكثر الأمة لأن يجوز بينهم مقاما كمقام النبوة بل الألوهية باسم الولاية والقطبان والغوثية فوسعوا فلسفة التصوف بأحكام بنوها على زخرف التأويلات والكشف والتحكمات .

وقد عرض السيد رشيد رضا فى مجلدات المنار الأربعة والثلاثين لعشرات من شبهات الصوفية وتحدث عن معظم الفرق الموجودة فى العالم الاسلامى كالرفاعية والنقشبندية والشاذلية وأشار الى انحرافات هذه الطرق وأهمها علوم الاعتصام بالمأثور فى الذكر بالأسماء المقررة واستعمال عبارات هو هو آه آه ، وأشار الى كتاب الكلم الطيب من أزكار النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال : ان أهم ما انفرد به ابن القيم بتحرير علوم الصوفية ووضع الموازين القسط لمعارفهم وأذواقهم ومقاماتهم وأحوالهم وذلك فى شرحه لكتاب منازل السائرين لشيخ الاسلام أبى اسماعيل الهروى ، ومن ذلك قوله : الصوفية ثلاث : صوفية الأرزاق وصوفية الرسوم وصوفية الحقائق ، وقد ضل بما دخل فى الاسلام من باب فلسفتهم الروحية أضعاف من ضل بما دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية من الهية وطبيعية ويرجع ذلك الى جهل شيوخهم بالسنة النبوية ، فمن أصول الضلالة التى دخلت على المسلمين من باب التصوف المقابلة بين الحقيقة والشريعة وجعل الأمر الكونى القدرى كالأمر الشرعى فى كون كل منهما يجب الرضا به والاذعان والاستسلام له .

ومن مفاسد قولهم : الرضا بعدم مقاومة الأمراض والظلم وهضم حقوق الأفراد وحقوق الأمة ومن مفاسده الجبر وسلب الاختيار وما ابتدعوه من الأزكار والأوراد والسماع وتعظيم القبور وجعلوه من شعائر الاسلام

فان عمدتهم فيه أنهم ذاقوا ما أثمره لهم من الحب والوجد والخشوع والبكاء والرغبة فى الآخرة .

ومن أصول تلك الضلالات دعوى أن للدين ظاهرا وباطنا مخالفا لما يفهم الجمهور منه وهذه الضلالة من ابتداع زنادقة الباطنية وقد كانت سببا لارتداد كثير من المسلمين فكونت منهم طوائف الاسماعيلية والنصيرية والدروز والبابية والبهائية وغيرهم ، ومنها أصل الأصول فى غلاتهم وهو ما يعبرون عنه بوحدة الوجود بالمعنى الذى عليه الكتاب المسمى بالانسان الكامل وأمثاله ، وهذا الأصل مخالف لنصوص القرآن الصريحة ولنصوص السنة الصحيحة وفيه مفاسد كثيرة جدا .

وقد اقتبست كل فرقة أصيبت بفتنة تأويل ما يخالف مذاهبهم وآرائهم من آيات الكتاب العزيز وفنون الأحاديث حتى انهم ليؤولون السنن العملية أو يعارضونها بروايات قولية شاذة ومنكرة ، وغلاة الصوفية أبرع الفرق فى التأويل وأشدهم اسرافا فيه بعد الباطنية الذين يشبهونه بهم كثيرا ، ذلك بأنهم لا يلتزمون فى التأويل ما يلتزمه المتكلمون والفقهاء من عدم الخروج باللفظ عن حقيقته الا الى ضرب من ضروب المجاز أو الكتابة بل يزيدون على ذلك باب الكشف وباب الاشارة وباب الرمز ولذلك نرى كلامهم ممزوجا بالآيات والأحاديث محرفة عن معانيها الصحيحة التى تدل عليها فى اللغة ولأجله نرى كلامهم مقبولا عند الجماهير من غير تأمل أو تفكير حتى أن المتكلمين والفقهاء ما عادوا ينكرون عليهم شيئا كما كان السلف ينكرون على كل من يخالف ظواهر النصوص . (م ١٩/٥٢) .

وقد حرص السيد رشيد رضا رغبة منه فى تصحيح مفاهيم الصوفية أن يورد ما قاله أئمة الاسلام وأعلامه فى مفهوم التصوف الصحيح فأورد نصوصا للحافظ ابن الجوزى والامام ابن تيميه — أما الحافظ ابن الجوزى فقد أشار فى كتابه تلبيس ابليس الى متصوفة الرسوم فقال : كانت النسبة الى الاسلام والايمان فيقال مسلم ومؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها .

ظهر الاسم للقوم قبل سنة مئتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه

وأشاروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرزيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والاصلاح والصدق وأول تلبيس للشيطان عليهم أن صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما انطفأ مصباح العلم تخبطوا فى الظلمات فمنهم من غلا فى ترك الدنيا وهى قوام مصالح الخلق ومنهم من أغرى بتعذيب النفس بالجوع والعرى والفقر الاختيارى ومنهم من غلبت عليه الخيالات حتى قالوا بالحلول والاتحاد . (م ٢٢/١٧٢) .

كما أورد لشيخ الاسلام أحمد تقى الدين بن تيميه فتوى فى الصوفية والفقراء فأشار الى صوفية الأرزاق الذين يقيمون فى الخوانك ويأكلون منها وصوفية الرسم : الذين همهم تقليدهم فى اللباس والآداب الوضعية .

وقال : ان الصوفية طائفة انقطعت الى الزهد فى الدنيا والعمل للآخرة ورياضة النفس وتربية الارادة بالعزائم ومحاسبة النفس وحسن النية والمبالغة فى العبادة وغايتهم الوصول الى تجريد التوحيد وكمال المعرفة بالله تعالى . وسرى الى المسلمين كثير من بدع أولئك وضلالاتهم وشعائرهم وشاراتهم ، حتى أنهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود فصارت غاية الطريق عندهم وبث الباطنية فى التصوف ضلالات أخرى شر أصولها التأويل البعيد للآيات والأحاديث وطبيعة الاذعان لكل ما يأمر به السالكين وشيوخهم وان كان منكرا وعدم الانكار عليهم فى شىء ، وكانت الباطنية تقصد بهذه التعاليم أفساد دين الاسلام وابطاله ، وازالة ملكه بالدسائس التى وضعها عبد الله بن سبأ اليهودى وجماعات المجوس السرية التى بثت فى المسلمين دعوة الغلو فى التشيع لآل البيت والطعن فى أعظم الصحابة لافساد دين العرب وتقويض دعائم ملكهم بالشقاق الداخلى لتتمكن تلك الجمعيات بذلك من أعادة ملك المجوس وسلطان دينهم اللذين أزالهما العرب بالاسلام ولولا هذا الاضلال (التأويل والطاعة المطلقة) لما راجت الضلالات والبدع فى هذه الطائفة لأن أصل طريقها تزكية النفس بالعلم والعمل الشرعيين مع الصدق والاخلاص والأخذ بالعزائم ومحاسبة النفس على الخواطر .

وقال الامام ابن تيميه : انه لا سبيل الى تصفية التصوف من البدع الا بتحكيم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح منه قبولا وردا بعد بيان

أن الضلالات والبدع المتغلغلة فى كتب التصوف قسمان :

١ — ما أخذه الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه فى التصوف الاسلامى وليس له أصل فى الكتاب ولا فى السنة الا ما زعموه من التأويلات المخالفة للغة والشرع وما أحدثه بعض شيوخ الطريقة من الأوراد والشعائر الدينية المخالفة للسنة فى ذاتها وأصلها أو فى صنعتها وطريقة أدائها حتى ان بعض كبار الفقهاء المتكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسع فيما جوزه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال . ولم يراعوا فيه ما اشترطه المحققون فى هذا من الشروط فترى مثل الغزالى من أكبر أئمة علماء الكلام والفقه يرغب فى بعض العبادات المبتدعة مستدلا عليها بهذه الأحاديث الواهية ، صلاة الرغائب فى رجب وصلاة ليلة نصف شعبان ، قال النووى : صلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . والغزالى لم يتوسع فى علم السنة الا فى آخر عمره ، وكذلك أخذوا بالضعيف الواهى : دعاء الوضوء اذ لا أصل له .

وجملة القول فى صوفية المسلمين أن علماءهم كسائر أصناف علماء المسلمين الذين استعملوا عقولهم فى الدين من المتكلمين والفقهاء كل صنف قد انفرد بالتوسع فى علم فجاء فيه بما لم يجىء به غيره وكل منهم أخطأ وأصاب .

فالصوفية أتقنوا علم الأخلاق والآداب الدينية وحكم الشريعة وأسرارها وطرق تزكية النفس واصلاحها — وهذا غرض الدين ومقصده — غلوا وأتوا ببعض ما يخالف النصوص ودخل فى كلامهم وأعمالهم من تصوف الأمم السابقة ومن البدع ما ينكره الاسلام فالمتكلمون أيضا قد دخل فى كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع المخالفة للنصوص ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل فى كتبهم مثل ذلك بالرأى والقياس والأخذ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وكل من فى هذا العصر من المنتحلين لطرق الصوفية هو منتم الى أحد مذاهب الفقهاء والمتكلمين .

وقال السيد رشيد رضا : ان للتصوف كتبا أكثر ما فيها منصوص

أو مستنبط من الشرع أو غير مخالف له ، وبعضها بدع تلصق به الصاقا بشبهات وتأويلات باطلة . أحسن الكتب فى تصوف الحقائق وأسلمها من مخالفة الكتاب والسنة فيما نعلم كتاب : مدارج السالكين .

ثم تساءل كيف تكون الحاجة الى كتاب مع وجود الكتاب والسنة وقال : جوابه ان علمى الكلام والفقه يشاركان التصوف فى هذا السؤال وجوابه فكما شعر المسلمون بالحاجة الى تصنيف الكتب فى بيان أصول العقائد التى تستند الى الكتاب والسنة للتميز بينها وبين البدع واثباتها بالدلالة النظرية الفنية التى كانت مألوفة بانتشار كتب الفلسفة ورد شبهات المخالفين على هذه العقائد ، كذلك شعروا بالحاجة الى تدوين الكتب لبيان طريقة التربية والتأدب بالآداب المنصوصة فيهما والمستنبطة منهما .

ذكر ابن القيم فى كتابه أعلام الموقعين أمثلة كثيرة لما خالف فيه المقلدون للمذاهب المشهورة النصوص الصحيحة الصريحة المحكمة اتباعا لأقوال شيوخهم واحتجوا لهذه الأقوال بالأقيسة أو بجعل المتشابه أصلا للحكم أو بأحاديث لا تصح ولا يحتج بها بحسب القواعد الأصولية » .

الفصل الرابع

السـنة والشيعـة

كان موضـع الاختـلاف والاتفـاق بين أهـل السنة وبين الشيعة من الموضوعات الهامة التى أولاها السيد رشيد رضا وقد كانت دعوته : دعوة حارة ودائمة الى ضرورة اتفاقهما لمقاومة التحديات الخارجة الخطيرة التى تواجه الاسلام ، وقد عرض السيد رشيد رضا لمفهوم الشيعة المعتدل ولفرق الشيعة الغالبة وفند آراءها ووجهتها وخطرها على الاسلام وناقش كثيرا من دعاة الشيعة الاثنى عشر والزبدية وكذلك ناقش غيرهما وراجع كتبهم .

يقول السيد رشيد رضا : اننى شـديد الحرص على هـذا الاتفاق (بين السنة والشيعة) وقد جاهدت فى سبيله أكثر من ثلث قرن ولا أعرف أحدا من المسلمين أو أظن أنه أشد منى رغبة وحرصا على ذلك ، وقد ظهر لى باختيارى الطويل أن أكثر علماء الشيعة يأبون هذا الاتفاق أشـد الاباء اذ يعتقدون أنه ينافى منافعهم الشخصية من مال وجاه ، وقدتكلمت فى هـذا مع كثيرين فى مصر وسورية والهنـد والعراق ، ومما علمته بالخبر والخبر أن الشيعة أشد تعصبا وشقاقا لأهل السنة فيما عـدا الهند من البـلاد الجامعة بين الطائفتين وقد نشطوا فى هذا العهد لتأليف الكتب والرسائل فى الطعن على السنة والخلفاء الراشـدين الذين فتحوا الأمصار ونشروا الاسلام فى الأقطار والطعن على حفاظ السنة وأئمتها وفى الأمة العربيـة بجملتها . وأشار الى الخلاف مع السيد محسن الأمين العاملى فى موقفـه من الوهابية وكتب السيد تقى الدين بن تيميه وما كتبه علماء شيعة ايران فى الرد على كتاب منهاج السنة لابن تيميه وأشار كذلك الى أبحاث مجـلة العرفان وقال ان من مزاعم صاحب مجلة العرفان الذى أقسم عليـه يمينا مغلظة أنه لولا على بن أبى طالب لقتل المشركون رسول الله ولم تقم للاسلام قائمة فى الأرض .

ويدعو السيد رشيد رضا الى جواز الحوار مع الشيعة الامامية لأنهم مسلمون ، لا من البابية أو البهائية المارقين وقاعدة المنار الذهبية هى أن نتعاون فيما يتفق عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما يختلف فيه فأهل السنة متفقون مع الشيعة على أركان الاسلام الخمسة وعلى تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعلى محبة آل البيت عليهم السلام وتعظيمهم وعلى جميع المصالح الوطنية من سياسية واقتصادية واعلاء شأن الأمة العربية ولغتها واستقلال بلادها وهم يختلفون فى :

١ — مسألة الامامة وقد مضى وانقضى الزمن الذى كان فيه هذا الخلاف عمليا .

٢ — فى المفاضلة بين الخلفاء الراشدين .

٣ — فى عصمة الأئمة الاثنى عشر .

٤ — فى مسائل أخرى تتعلق بصفات الله تعالى .

فلكل من الفريقين أن يعتقد ما يطمئن اليه ويعمل بما يقوم عنده الدليل على ترجيحه أو تصديقه ممن يثق بهم من العلماء فيجب على محبى الاتفاق أن يقنعوهم بقاعدتنا ويؤلفوا جمعية أو حزبا من الطائفتين يعمل بمقتضاها . اننا لا نعرف أحدا من علماء أهل السنة المتقدمين ولا المعاصرين يطعن فى أحد من أئمة آل البيت عليهم السلام كما يطعن هؤلاء الروافض فى الصحابة الكرام ولاسيما أبى بكر وعمر وفى أئمة حفاظ السنة كالبخارى ومسلم وكذا الامام أحمد امام أئمة السنة ، وشيخ الاسلام ابن تيميه والحافظ الذهبى وابن حجر وغيرهم فانهم يعدونهم من النواصب لعدم موافقتهم لجهلة الروافض على ما يفترونه من الغلو فى مناقب آل البيت وقد أغناهم الله عن اختلاق المناقب لهم لكثرة مناقبهم الصحيحة الثابتة بالنقل الصحيح ، انما النواصب فهم أولئك الخوارج الذين يبرءون من على كرم الله وجهه . (م ٣١/٢٩٠) .

٢ — وفى موضع آخر تحدث عن غلاة الشيعة ، فقال : انهم كانوا أشد النقم والدواهى التى أصيب بها الاسلام فهم مبتدعو أكثر البدع الفاسدة وهم الذين صدعوا وحدته وأضعفوا شوكته وشوهوا جماله وانتقضوا كماله وجعلوا توحيده وثنية وأخوته عداوة وبغضاء

وبثوا فيه فتنة عبادة اناس لأجل أنسابهم وتقديس اناس لأحسابهم وجعل سعادة الدنيا والدين بوساطتهم عند الله وتأثيرهم فى علمه وارادته على ضد عقيدة القرآن من كون الخالق تبارك وتعالى لا يطرأ على صفاته تأثير من المخلوق .

وجميع الفرق التى ارتدت عن الاسلام من القرون السابقة كانت من غلاة الشيعة فمنهم جميع فرق الباطنية الذين كانوا يلبسون لباس المسلمين ويظهرون التلبيس به لتقبل دعايتهم لهدمه بالتأويل وكانت طائفة البكداشية المنتشرة فى بلاد الترك والأرناءوط منهم ودعاوى ملاحدة الكماليين الى اللادينية ولبس البرنيطة وابطال جميع النظم الاجماعية وتفريق جماعاتها كانوا هم أول من أجاب الدعوة بسرور وارتياح وخرج بعض رؤسائهم بأنهم قد وصلوا الى غايتهم من طريقتهم وهى هدم تعاليم الاسلام والتفصى من أحكامه وسلطانه .

كذلك كان غلاة الشيعة مثارا لأفظع الكوارث التى هدت قوى الاسلام وضعضعت الخلافة العباسية ودمرت الحضارة العربية التى كانت زينة الأرض وفخار أهلها وهى كارثة التتار كما كانوا أولياء وأنصارا لأعداء المسلمين أنهم أشد عداوة لهم وفتكا بهم لاسلامهم حتى الصليبيين . وجهت العداوة الشيعية الى أهل السنة خاصة وزال ملك العرب من بلاد الفرس وصار السلطان فيه للترك فاتصل ما كان من عداوتهم للعرب الى الترك على اختلاف طوائفهم ، وكان قد انتشر مذهب السنة فى البلاد الايرانية كلها وضعف التشيع فيها ثم زاد وقوى بتعصب الترك العثمانيين فهم الذين كانوا سبب تأسيس دولة شيعية تقابلهم لحماية التشيع وتضطهد السنة ، حتى صارت السنة فى بلاد ايران أضعف من المجوسية وقد ثبت شيعة ايران مذهبهم فى عرب العراق حتى كاد يكون أكثر البدو لهم يقيمون مأتم الامام الحسين ويلعنون أبا بكر وعمر عليهما أفضل الرضوان الى أن ظهرت جماعة الوهابية .

وقد أهمل أهل السنة فى القرون الأخيرة دعوة غير المسلمين الى الاسلام ودعوة المبتدعين الى السنة الى أن حرك دعاة النصرانية بعض مسلمى الهند الى ذلك فحملتهم الغيرة والمباراة على تجديد الدعوة الى الاسلام وقلما

يغارون من الشيعة فيدعونهم الى السـنة كما يدعون هم أهل السـنة الى التشيع ، فالشيعة كلهم دعاة الى مذهبهم حتى النساء .

أما الوهابية فقد شرعوا فى احياء الاسـلام على مذهب أهل السنة والجماعة .

ويقول وقد أصبح من الضرورى اليوم مواجهـة اللادينيين وملاحدة المتفرنجين الذين يحـاربون الدين بالشـبهات الفلسفية والآراء العلميـة والنظريات القانونية والاجتماعيـة وما يزعمون من معارضة للاصلاحات العصرية ، فنحن نعالج جمود المتفقهة ، ونكافح بدع أدعياء التصوف ونناضل شبهات الملاحـدة .

ويقول : ان القرامطة والحشاشين والاسماعيلية والدروز والنصيرية والبكتاشية كلهم من الباطنية الذين توسلوا بالصوفية والروافضة ومذهبهما الى بث دعوتهم .

وفى بحث مستفيض عن الفكر الشيعى والرد عليـه (م ٢٩/ ٤٢٤) وهو فى هذا البحث يتناول معظم القضايا التى أثارها الشـيعة الغاليـة ومنهـا :

١ ـ مسألة نكاح المتعة .

٢ ـ وطعنهم فى القرآن بقولهم بل حذف منه الصحابة بعض الآيات وسورة الولاية ـ أى ولاية على ـ ويزعمون أن هناك نسخة أخرى خصه النبى بهـا .

٣ ـ عصمة الأئمة ولا عصمة عنـد السنة لأحـد من البشر الا للأنبيـاء وهم يعصمون أئمة أهل البيت .

٤ ـ مسألة الامامة العظمى ويزعمون بثبوتها بالنص بحديث غدير / قم .

وقد كشف السيد رشـيد رضـا زيف هذه الادعاءات جميعها وقال ان الشيعة منهم المعتدلون ومنهم الباطنية الملاحدة أعداء الاسـلام ودعوة المنار الى الاستقلال فى فهم الدين من الكتاب والسنة وترك التقليد وعصبية المذاهب فيه ، وان الاجتهاد الحقيقى هو الاستقلال بأخذ الدين من منابعه ، والسنة المرادة هى أهل السنة والجماعة فى مقابلة أهل البدع كالروافض . قال على لابن عبـاس حين أرسله لمحاجة الخوارج : احملهم على السنة

فان القرآن ذو وجوه ، يعنى أنهم يتبادلونه بغير المراد منه ، أما السنة بمعنى السيرة العملية فلا يمكن تأويلها ، وفى رسائل السنة والشيعة (م ٦٧١/٢٩) يقول :

كان مبتدع أصول التشيع يهودى اسمه عبد الله بن سبأ أظهر الاسلام خداعا للمسلمين ودعا الى الكلام فى على كرم الله وجهه لأجل تفريق هذه الأمة وافساد دينها ودنياها عليها كما فعل أمثاله فى النصرانية قديما وحديثا وسبب ذلك ما كان من العداوة والقتال بين تفرقة اليهود وبين النبى وكانوا هم المعتدين وقد ابتدع اليهودى بدعة وأعانه عليها آخرون من أهل ملتـه .

وسرت بدع التشيع وانتشرت بين المسلمين بالدعاية السرية وكانت أقوى الأسباب فى العداوة السياسة بين كبراء الصحابة بما كان يسمى بسوء التفاهم وحسن النية ومن يراجع واقعة الجمل فى تاريخ ابن الأثير مثلا يرى مبلغ تأثير افساد السبئيين لذات البين وحيلولتهم بالمكر والفساد دون ما كان يقع من الصلح وقد طعنوا فى على وهم الدعاة الى القول بألوهيته ، ولولا أن خلف زنادقة الفرس هؤلاء السبئيين فى ادارة الدعاية بين المسلمين بالتشيع والغلو فى على وأولاده وأحفاده الطاهرين . احفظ قلوبهم ما قام به الخليفتين وثل عرش كسرى والقضاء على ديانتهم المجوسية وليس لدى العجز من الثأر بالقوة الحربيـة الا المكايد السرية فتولى مهرة من رجال الفرس أمرها ، فمنهم من تولى السعى لافساد دين العرب الذين انتصروا بتعاليمه وجمع لكلمتهم على الفرس وغيرهم ومنهم من تولى السعى للافساد السياسى بتحويل الخلافة الى العلويين ، ثم صاروا يكيدون للعباسيين ما قام به البرامكة من جعل جميع ادارة ملك الرشيد فى أيديهم ، وكان أذكى من فطن لدسائس البرامكة والحاد الشيعة الباطنية ووقف على كثير من دقائقه العلامة القاضى أبو بكر بن العربى الأندلسى كما نوء عنـه فى رحلته وفى كتابه (العواصم من القواصم) ويليه حكم المؤرخ ابن خلدون فقد أشار اليه فى مقدمة تاريخية وكان من تعليم غلاة الشيعة بدعة عصمة الأئمة الذين استخدموا أسماءهم وشهرتهم لترويج سياسيهم وبدعة تحريف القرآن والقصص منهم بغربتهم ثم البدع المتعلقة بالقائم المنتظر محمد المهدى

وكونه هو الذى يظهر القرآن التام الصحيح الذى يزعمون أن عليا كتبه بيده بعد وفاة النبى وفتحهم أبواب التأويلات لنصوصه بما لا يتفق مع شىء من قواعد اللغة . وقول بعضهم بألوهية بعض أئمة أهل البيت الموروثة عن الاسماعيلية وغير الموروثة عن غيرهم من الباطنية وكان من بين من أطلق عليهم لقب الشيعة أناس من أهل السنة والجماعة كانوا يرون أن عليا أحق بالخلافة ولكن لم يقل أحد من هؤلاء ببطلان خلافة الثلاثة ، فأهل السنة سلفهم وخلفهم يعتقدون أن معاوية كان باغيا على الامام الحق أمير المؤمنين وانه قدر بدهائه وسياسته على تأليف قوة عظيمة له ولكن الجمهور تأولوا بأنه كان مجتهدا أخطأ فى اجتهاده .

وقد انقسم الشيعة الذين يحافظون على أركان الاسلام الى (غلاة) أطلق عليهم اسم (الرافضة) والى معتدلين وهم الذين عرفوا باسم الزيدية لاتباعهم للامام زيد بن على الذى أنكر على الغلاة البراءة من أبى وعمر فرفضوه ومن الغريب أن يشتد أمر زنادقة الباطنية على كثير من مسلمى الشيعة حتى أهل العلم بينهم والزكاة ووصف التشيع كان يطلق كثيرا على من عرفوا بالمبالغة فى حب آل البيت النبوى ومدحهم وذم الظالمين لهم ، والشيعة الامامية قوم معتدلون قريبون من الزيدية ومنهم غلاة قريبون من الباطنية وهم الذين لقحوا ببعض تعاليمهم الالحادية كالقول بتحريف القرآن وكتمان بعض آياته وأغربها فى زعمهم سورة خاصة بأهل البيت يتناقلونها بينهم .

هؤلاء الامامية الاثنى عشرية يلقنون بالجعفرية وينقسم جمهورهم الى أصوليين واخباريين . والاستعداد فى الامامية للغلو وفرت الكثير من بينهم من زندقة الباطنية ، ظهرت فيهم وراجت بينهم ، بدعة البابية والبهائية الذين يقولون بألوهية البهاء ونسخ للدين الاسلامى وابطاله لجميع مذاهبه .

كان من قواعد الاسلام التى وضعها جمال الدين وجوب السعى لجمع كلمة المسلمين والتأليف بين فرقهم التى يحميها القرآن المجيد المعصوم ورسالة محمد والاستعانة على ذلك بالسياسة التى كانت السبب لهذا التفرق الذى ألبس بعد ذلك لباس الدين . وقد عنيت بالسعى للتأليف بين السنة والشيعة .

واشار الى انه لما أعلن الشاه مظفر الدين حكومة الشورى فى ايران نوهنا بعمله فى المجلد السابع والثامن من المنار وفضلناه على سائر ملوك المسلمين اذ بينا أن حكومة الشورى هى حكومة القرآن وقد أظهر الله دولة السنة باستيلاء امامها عبدالعزيز آل سعود على مهد الاسلام وقيامه باحياء السنن وهدم مبانى البدع فأيدناه وسعينا للتأليف بين الوهابية والشيعة ، والتقارب بين مذهب الزيدية ومذهب السنة لقربه من السنة ، واشار الى سوء أمر مؤتمر النجف لشيعة العراق وامارات نشر الالحاد فى ايران .

الفصل الخامس

مواجهة الأخطار والتحديات

فى نطاق العمل من اجل توسيد خطط حركة الإصلاح عند جد تصحيح المفاهيم في مجال تفسير القرآن أو إحياء مفهوم أهل السنة والجماعة أو الالتقاء بين السنة والشيعة مضى المنار الى الغاية في مواجهة الأخطار والتحديات في مختلف مجالاتها في مختلف ميادينها .

وقد ركز فى هذا البابة على الاستشراق ودعاة التغريب من اتباعه فى البلاد الاسلامية كما عرض للبهائية والقاديانية وتناول ما قدمه طه حسين ولطفى السيد وجرجى زيدان وسلامة موسى ومحمود عزمى وكتاب دائرة المعارف الاسلامية .

وفى مصطلحات تلك الفترة كانوا يطلقون على دعاة التغريب عبارة (الملاحدة المتفرنجون) ولأنهم كانوا يدعون الى التجديد فقد أطلق عليهم السيد رشيد رضا « جمعية تجديد الالحاد والزندقة والاباحة المطلقة » (م ٣٨٧/٢٧) يقول : تصدى لزعامة التحديات واحتكار لقب المجددين أفراد هدامون غير بنائين يدعوى الأمة الى ترك هداية الدين والتجرد من لبوس الفضيلة والتشرف بلبس البرنيطة واباحة ملامسة النساء للرجال فى الرقص والسباحة والخلو والسياحة ومعاقرة الخمر وما يتبع ذلك من ضروب الفسق وينعون على المرأة أن يكون جل همها فى الحياة الاستعداد للقيام بما خلقها الله لأجله حق القيام وميزها به على الرجل . وهم يغرون الشباب بالالحاد ويزينون لهم اتباع الشهوات ليتخذوا منهم ومن النساء حقدا وحسبكم من سفه الرأى التسليم لهم بأن القديم قبيح يجب تركه واحتقاره لأنه قديم » .

ولما كانت دعوة التغريبيين هى التجديد فقد وصفه بأنه « تجديد الالحاد والاباحة والخلاعة والدعوة الى الرزيلة برسم الأدب المكشوف والتنفير من الفضيلة بدعوى الحرية وتحرير المرأة الشرقية وتقليد الحضارة الغربية وكلها تعابير قديمة لا جديدة كما يعلم المطلعون على تاريخ اثنية

ورومية وغـــيرها من عواصم الشعوب القديمة وهى التى اضعفت دولهـــا وذهبت باستقلالها :

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففســـقوا فيها فحق عليهـــا القول فدمرناها تدميرا » .

وقد حاول انتحال هذا اللقب الشريف (التجديد) زعنفة من الملاحـــدة فى هذا البلد العظيم ، ليس لأحد منهم امتياز فيه بالعلم والحكمة . وانما كل ما أوتوا أو حملوا من البضاعة فى هـــذا السوق ثرثرة فى الكلام وسفسطة فى الجدل وجراة على تلبيس الحق بالباطل وسفاهة فى الطعن على من يخالفهم أو يرد عليهم ولكن بالتهتك الصريح لا بالبرهان الصحيح ، فالصدق لا حرمة له عندهم وباطراء غـــلاة الترك الذين نبذوا الاســـلام وراءهم جهودهم حتى فى هدم جميع أركان الحرية : هـــذا الذى يسطرونه من غلو ملاحدة الترك ليس تجديد منهم بل نجم فى الجيل الماضى منهم ، وكان من تراثه فى هـــذا الجيل زوال السلطة العثمانيـــة التى كانت أعظم سلطة فى أوربا وآســـيا وافريقيـــة وهم يريدون أن يعتـــدى بهـــا فى الحادها ونبذ هداية الدين ، وهم يقلدون ملاحدة أوربا فى عداوة رجال الدين تقليدا ، فهذا التقليد الأعمى هو الذى يحملهم على الصد عن الدين بالتشكيك فى عقائده والطعن فى أحكامه وآدابه والتحقير لرجاله . ودعوى ابطال العلم والفلسفة له واتهام علمائه بأنهم عقبة كؤود فى طريق ترقى الأمة ، وبعد ذلك ما تحدث به محمود عزمى فى الجامعـــة المصرية عن حقوق المرأة وما تحـــدث به فخرى فرج ميخائيل فى الجامعة الأمريكية عن وجوب مساواة النساء بالرجال حتى فى الطـــلاق والميراث (م ٣١) .

٣ — ويقرر السيد رشيد رضا أن جمعية تجديد الالحاد لم تقنع بصد الشعب المصرى والشعوب العربية عن الدين وتشككها فيه تمهيـــدا لاباحة الأعراض وعبادة الشـــهوات وتقليد الافرنج مما يســـهل التقليد فى مجال الفواحش والمنكرات بل نراهم يعتنون بتحقير آداب اللغة العربية ليجردوا الأمة من هذا الفضل المنطقى الذى يفضلها عن غيرها من الأمم ويثبت لهـــا استقلالا خاصا بمقومات خاصة ومشخصات خاصة . وقد بدأ هؤلاء الزنادقة بهدم الدين هدما مطلقا لا هدم تجديد كما يدعون ، وهدم الشريعة الاسلامية

لاستبدال التشريع الأوربى به ، ثم أسرفوا فى تحقـير آداب اللغـة برغم تحديدها بآداب لغـات سادتهم الافرنج .

وقد الف طه حسين كتيبا كذب فيـه نقله اللغـة العربية ورواتها فيما رووه من شعر العرب فى عصر الجاهلية وزعم أنهم هم الذين وضعوا المعلقات السبع وأمدوها على امرىء القيس وطرفه وغيره واستطرد الى تكذيب كتاب الله وتكذيب خاتم رساله فى اسناد بناء بيته الحرام الى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وفى غير ذلك ، وجعـل ذلك من الأساطير التى لا يثبتها العلم ، ولم يقل أحد أن وقائع التاريخ يتوقف ثبوتها على عـدم نفى العلم لما رواه الرواة عنها ، فخبر بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لبيت الله تعالى تناقلته الأمم العربيـة بالتواتر المؤيد بتقاليد دين عملية ، ثم اثبته الوحى الالهى الثابت بالآيات القطعية ولا يوجد دليل علمى يعارضه فى معنى قوله أن العلم لا يثبته .

ويقول : لقد عمد دعاة الزندقة فى هدم مقومات هذه الأمة ومشخصاتها ووصـفها بالقديمـة وشبهتهم عليـه أن كل قـديم فهو قبيح يجب تركه ومن المعلوم ان حسن الأشياء وقيمها الحقيقية فى ذاتها وفائدتها ، لا فى قدمها ولا فى جدتها ، وما من قديم الا وكان جديدا ولا جديدا الا وسيكون قديما ، ومن لا قديم له لا جديد له بل لا وجود له . وانما الأمم بتاريخها ، ومن الغريب أننا نراهم يدعون الى انتحال ما هو أقدم مما يذمون من قديم أمتهم كالأدب الاغريقى والشعر الاغريقى الذى هو دون الأدب والشعر العربى الجاهلى والاسلامى » (م ٣٨٧/٢٧) .

٣ — ويتحدث عن دعاة التغريب هؤلاء فيقول : انما حجتهم على عامة المسلمين سـوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمـراء والحاكمين وذمهم لعصبية الدين وان لهؤلاء الملاحدة لقوة على غـيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يعتزون بها وان منهم من يكن للمؤمنين مكايد لا يفطنون لها ، وان المؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها ، وانما بقاء الباطل فى غفلة الحق ، فاذا قذف عليه دفعه وان بقاء الباطل لالى زوال : ((وما كيد الكافرين الا فى ضلال)) .

ويقول : ولقد كان ملاحدة قطرنا هذا أجبن ملاحدة المسلمين واخوفهم من اظهار الكفر على كونهم اجراهم على الجهر بالفسق ثم تجرأ أفراد منهم

منذ سنين على التصريح به أو ببعض لوازمه فى الجرائد بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك فى المجالس ومنهم من ألف كتبا أو رسائل فى ذلك ثم بلغنا فى العام الماضى أنهم ألفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس فى الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن فى عقائد الدين وأحكامه ولا سيما الآداب والأحكام الخاصة بالنساء وانشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (يقصد مجلة السفور) وبث الوساوس وتوجيه العناية فيها الى نابتة المدارس وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه والتنويه بالجديد والترغيب فيه ، وان لهم لأنصارا فى القصور والدواوين وفى المدارس وأكبر معاهد الدين وقد استفادوا من تقييد حرية المطبوعات بسبب الحرب ، ما كفوا به أقلام من تصدى لاحباط بعض دسائسهم ، من أهل الحق ، وانهم ليجتلبون الباب المتحللين من الشبان والشابات بما ينمقون من زخرف الشبهات : ((**ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد**)) (م ١٩ المنار ١٩١٦) .

٤ — وفى أكثر من موضع يتحدث عن فتنة ملاحدة الترك فى سوريا ومصر الذين ينوهون بكفر الترك الكماليين ويبثون فى كل خطوة من خطواتهم جريدة السياسة ومراسلها عمر رضا الذى يمدها كل أسبوع بمقال ينوه فيها بأعمالهم ويحكى كفرهم وضلالهم (م ٢٩/٢٢٧) . ويقول : يود ملاحدة الكماليين من الترك لو يقتدى بهم مسلمو العرب فى العراق وسوريا ومصر ومسلمو العجم فى سائر الترك والتتار والأفغان والفرس فيتركون الاسلام مثلهم ، وان ملاحدة الترك هم الذين يبثون الدعوة الى تشويه الدولة العثمانية ويبثون الدعوة الى الالحاد ويحرضون الزنادقة والمرتابين على ترك الاسلام واحتقار تشريعه وآدابه ولبس قلانس الافرنج واثارة الغيرة القومية والعصبية الجنسية ، ويقول انه قلما ثبت لهؤلاء الملاحدة نسب صحيح فى الشعب التركى الذى صار عريقا فى الاسلام ، بل هم أوشاب منهم الروسى والرومى والبلقانى واليهودى الأصيل وقد سلطوا على افساد هذا الشعب بدعاية العصبية الجنسية وترجمتهم للقوانين الأوربية ولبسهم البرنيطة وان السواد الأعظم من الترك يمقتون هؤلاء الكماليين اشد مما كانوا يمقتون اخوانهم الاتحاديين » (م ٢٧/٧١) .

٥ — ويكشف السيد رشيد رضا عن موقف المتفرنجين من دعوة الاصلاح الاسلامى فيقول : انهم فريقان : أحدهما من كان تفرنجهم أثر التعليم العصرى والتربية الافرنجية ، التى حبب اليهم ما لقنوه وتربوا عليه من مقومات القوم ومشخصاتهم قبل أن يلتفتوا ما لأمتهم من ذلك ويتربوا عليه . (ثانيهما) : من يتفرنجون تقليدا للفريق الأول من قومهم الحكام والأغنياء تقربا اليهم ، وقد فشى هذا التفرنج فى المسلمين بالمدارس الافرنجية والمدارس الوطنية الرسمية وغير الرسمية التى أنشئت لتقليد الافرنج فى تربيتهم وتعليمهم بغير بصيرة ولا علم بموضع الحاجة ، على حين كان العلم بمقومات الأمة الاسلامية ومشخصاتها قد قل وضعف بضعفها السياسى والاجتماعى وما بقى منه أمسى مشوبا بما ليس فيه من البدع والدخيل ، وفى أثناء هوى الأمة الاسلامية فى هذه الهاوية من الحال منذ عدة قرون كان الافرنج يصعدون فى مراقى العلم الاستقلالى والتربية الاجتماعية على علم ونظام يهتدون فيه لسنن : الله فى خلق الانسان والأكوان .

وهناك فرق بين المتفرنج المقلد والمصلح المستقل ، فالمصلحون يدعون انى الاعتبار بما أوتى الافرنج من العلوم والفنون ، وما أتقنوا من الأعمال والبحث فى أسباب ذلك وطرقه والوصول الى ما تحتاج اليه أمتهم منه . ومن المتفرنجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة كلها والاستعاضة عنها بقوانين يضعها حكام كل قطر مستقل بآرائهم ، وان استمدوا أصوله وفروعه من قوانين أمم أخرى مخالفة للمسلمين فى عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم ، ومنهم من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افساد ذمتهم وهدم شرعهم الذى هو أعظم مقومات أمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من ثوب الاصلاح . ان بعضهم يتكلم باسم الاسلام ويدعى امكان الجمع بينه وبين نبذ أصوله كلها استهجانا لها بزعم أنها وضعت لقوم لم يقفوا الى الكمال الانسانى الذى ارتقى اليه هؤلاء المتفرنجون . ومن أهم أصوله اباحة السفاح بالبغاء أو اتخاذ الأخدان بكل عذراء تجاوزت الأربعة عشر ، جهر بهذا صاحب الخطة أو الرسالة التى ترد عليها فى هذه المقالات (أحمد صفوت) .

٦ — ويشير السيد رشيد رضا الى أن اللورد كرومر فى كتابه مصر الحديثة بين من فضائح المتفرنجين المصريين ما فيه أكبر عبرة لمن يعتبر منا

وقد أشار الى مذهب المصلحين الاسلاميين فيما يستحدثون ففقههم من شئون الحضارة بما قاله فى أحد تقاريره عن مصر عن ذكر وفاة الأستاذ الامام وهو أن الشيخ وحزبه المعتدل يشترطون فى ذلك المحافظة على أصول الاسلام خلافا لمن لا يبالون فى هذا السبيل بالدين ولا ما دونه من مقومات الأمة ، وأشار الى غلاة المتفرنجين المارقين من الذين يحاربون أصوله وفروعه وينفثون سموم الكفر والفسق فى أهله ، وشذوذ الغلاة فى وجهة بعضهم فى انكار ما عليه الأمة من العقائد والعادات ، وقال صاحب المنار : ان من المتفرنجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة كلها والاستعاضة عنها بقوانين يعضها حكام كل قطر بآرائهم وان استمدوا أصولها وفروعها من قوانين الأمم الأخرى المخالفين للمسلمين فى عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم وان من هؤلاء المتفرنجين من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افساد دينهم وهدم شريعتهم التى هى أعظم مقومات أمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من دعاوى الاصلاح (م ١٩١٧/٢٠) .

٧ — ويتناول السيد رشيد رضا هذا الموضوع فى موضع آخر فيتحدث عن دورهم فى الصحافة ويقول انهم ابتدعوا دعاية شرا من دعاية المبشرين وهى دعوة جمهور الأمة الى التعطيل والالحاد وما يترتب عليهما من الزندقة واباحة الأعراض والأصول وانتهاك حرمات الفضائل والآداب وحل جميع الروابط التى تتكون منها الأمة من مقومات ومشخصات ، لا يراعى فى شىء من اقتراف هذه المفاسد الا اتقاء عقاب الحكومة على مخالفة قوانينها . وحجتهم على هذا الافساد كله أن كل ما كانت به الأمة أمة فى الماضى قد صار قديما باليا ضارا يجب أن يستبدل به غيره من الجديد نقتبس من النظريات والآداب والتقاليد والأزياء الأوربية . وقال : اشتد عصف هذه الرياح المتناوحة التى تهب عليهم مما ينشر فى الصحف الضارة من المصنفات المفسدة وقلما توجد فى البلاد جريدة أو مجلة تتجنب ما يضر الجمهور فى عقائدهم وآدابهم وتتحرى ما يعتقد أنه النافع . ويقول : توجد جرائد يومية وأسبوعية ومجلات تتوخى وتتحرى وتتعمد الدعاية الى هذا الهدم والتجديد على تفاوت بينها فى التصريح والتعريض أو التفرنج وأشدها جريدة « السياسة » التي يكفلها الحزب الحر الدستورى ومعها فى ذلك بل أشد « مجلة الهلال »

المشاركة لها فى اشهر محرريها التى تدعى أنها لسان حال الشبان العصريين ففى كل جزء من اجزائها عدة مقالات لدعاة تجديد الالحاد والزندقة والاباحة المطلقة وقلما تنشر لغيرهم شيئا يخالفه ، وحسبك أن (سلامة موسى) هو الركن الثابت المتين فى تحريرها وهو لا يكتفى بما ينشر له من المقالات فى ذلك ، بل يطبع له فى كل عام كتابا فى تأييد هذه الدعاية الهادمة للأمة المصرية ولكل أمة شرقية تعتز بفلسفة المادية الافسادية .

وقد زاد هذا الرجل على اخوانه بأنه يدعو الى خلع الجنسية والوطنية والانضمام الى دولة أجنبية ، ثم انهـا تنشر مجلات أسبوعية مصورة (اى دار الهلال) تجرىء قراءها على نبذ كل عفة وصيانة وفضيلة سمعت عنها ، ثم ظهرت منذ سنين مجلة اخرى أشد جراة على هدم الدين والجهر بالطعن فيه بسخافات من النظريات الفلسفية العصرية ظهر غرور صاحبها فى دعوى العلم والفلسفة ، وفى معرفـة الدين أيضا ، كما يترجمون بعض الكتب والصحف الافرنجية ويأخـذونها قضية مسلمة (لعله يقصد مجلة العصور لاسماعيل مظهر) ، وقد اقتفت أثر هذه الصحف مجلة جـديدة انشئت فى حلب فأنكر عليها بعض الناس ما نشرته من حكاية طعن فى الاسلام لأن أكثرهم لا يزال غافلا عما تعنيه بالجديد والحديث والاستغناء عن القديم وان المراد ترك الاسلام من أساسه (مجلة الحديث لصاحبها سامى الكيالى) ولولا جمود مقلدة الفقهاء الذين احتكروا التعـليم الدينى فى بلاد الاسـلام منذ قرون ولولا بدع أهل الطرق الصوفية وخرافاتهم وهم الذين كان سلفهم يعنون بالتربية الدينية ليكون الدين وجدانا عنـد صاحبه لا يقبـل البحث والجـدل فانقلبت بعدهم الى افساد لا يقبل الاصلاح لولا هؤلاء وأولئـك لما كان لهؤلاء المفسدين ولا المبشرين أدنى تأثير فى اغواء المسلمين . ويرى السيد رشيد رضا اشراك هؤلاء مع الملاحـدة فى هدم الاسـلام من حيث لا يشعرون : « فهم يفتنون جميع المتعلمين على الطريقة العصرية الاستقلالية عن الاسـلام من جانب ويقطعـون الطريق على حـكماء الدين الراسخين أن ينشروا حقيقته التى لا يمكن المراء فيهـا من جانب ثان وأن يدحضوا شبهات الماديين والمبشرين عليـه من الطرق العلمية التى لا يمكن اقناعهم او الزامهم الحجج بدونها من جانب ثالث ، وعنده أن رجال الدين قد انقطعوا فى عصورهم المتأخرة عن الكتاب والسنة وعن مهمتها على الوجه الصحيح

وهما بلا شك مصدر الحياة والقوة وعلها مدار السعادة التامة ، ومن ذلك قول الشيخ على سرور الزنكلونى : ان سبب التأخر الحقيقى هو عدم فهم الكتاب والسنة على الوجه الصحيح لأن فهمهما كذلك يولد الايمان بهما ايمانا قويا والايمان بهما كذلك لا محالة يولد السعادة والقوة والعمل الصالح رغم الصوارف التى ازدحم بها الوجود فالوجود ملوث بمثل هذه الصوارف منذ بدء الخليقة والصراع قديم بين الخير والشر وبين النور والظلمة . (م ١١٧/٢٩) .

— ٢ —

وفى ضوء هذه الوجهة مضى السيد رشيد رضا فى نقد الفرق الهدامة والنحل الباطنية وكان الاستشراق فى مقدمة هذه الموسعات وقد بدأ الشيخ محمد عبده هذه الخطة برده على هانوتو ، وتزييف المفاهيم التى قدمها (فرح أنطون) صاحب مجلة الجامعة وقد انطلقت دعاوى المستشرقين من الخطة التى بدأها اللورد كرومر فى تهجمه على الشريعة الاسلامية ، ووصفها بأنها صحراوية وقد رد عليه فريد وجدى ومصطفى الغلانينى وتناول جانبا من الرد عليها السيد رشيد رضا بعد صدور كتاب (مصر الحديثة) لكرومر الذى أعاد نشر هذه الشبهات .

وقد مضى هانوتو على نفس المخطط حين قال بأن الدين الاسلامى يحول دون تقدم المسلمين .

ودخلت جريدة المؤيد وجريدة اللواء الميدان وترجم أحمد فتحى زغلول كتاب (الاسلام خواطر وسوانح) من تأليف الكونت هنرى دى كاسترى وهو من أحسن الأوربيين رأيا فى الاسلام وأحسنهم دفاعا عنه ، ليكون عبرة فى بيان حقيقة الاسلام وكان رد الشيخ محمد عبده عليه مقحما وقد نشر الرد فى المؤيد وفى المنار بأمضاء رمزى وقد خطأ الذين كتبوا دعوته الى الفصل بين السلطة الدينية والسياسية وقال السيد رشيد رضا انها من أهم المسائل التى تطلبها أوربا من المسلمين ، وان الجرائد التى تدعو الشرقيين من المسلمين الى مدنية أوربا تجتهد فى اقامة الحجة على أن هذا النجاح موقوف على هذا الفصل ، وقد كتب المنار فى هذا تحت عنوان « الدين والدولة ، والخلافة والسلطة » (م ٣٣٧/٣) وما بعدها و (م ٥٧٧/٥) .

وتابع السيد رشيد رضا كل دعاوى الاستشراق ورد عليها وفى مقدمتها كتاب مرجليوت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال السيد رشيد رضا (م ٥٢٣/٩) :

قال فى مقدمته : انه يعد النبى محمدا من أعظم الرجال وانه حل معضلة سياسية هى تكوين دولة عظيمة فى قبائل العرب وليس من غرضه الدفاع عنه ولا ادانته وليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامى على غيره ولا تنقيحه والطعن فيه . يقول : وترى فيما ينتقده على الدكتور مرجليوت أن السبب فى أكثر غلطه وخطأه فى هذه السيرة هو التحكم فى الاستنباط والقياس الجرىء ، وبيان أسباب الحوادث كما هو شأنهم فى أخذ تاريخ الأقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله عدم فهم اللغة » وقد أورد له مجموعة من الأخطاء ، منها قوله : كيف أتته فكرة النبوة لمحمد ذلك الرجل العربى دون سواه ، وقوله : ان النبى كان يعتقد فى نفسه أنه كأحد أنبياء اسرائيل ، يقول ان هذا يتنافى مع ما زعمه فى غير موضع من انه قام بهذا الأمر عن فكر وتدبير وأنه كان يتعلم ويستفيد ، ويدعى أنه ما استفاده من الناس وحى من الله » وكشف السيد رشيد رضا ان مرجليوث فى حقيقته حاقد على الاسلام حقد اليهود الدفين وذلك فى مغالطاته وشبهاته ، كذلك أشار الى أخطاء لامنس فى دعواه عن عرب الأندلس بأنه لم يكن بين المسلمين الذين قاموا بفتح الأندلس الا القليل من العنصر العربى الخالص ، وذلك ليذهب الى القول بأن أكثريتهم من البربر والافريقيين ، يقول : يريد لامنس الشيوعى انكار حقيقة العرب ومدنيتهم الأندلسية والاسلامية ليتخذها حجة على عدم أهليتهم للتمدين والتثقيف والسبق فى ميدان الحضارة التى تأتى بعكس ما يقرره المتحاملون من أن الاسلام لم يوفق حتى الآن الى تأسيس مدنية راقية .

واشار الى المستشرق فامبرى اليهودى الذى خدع المسلمين فقد كان أستاذا خصوصيا للسلطان عبد الحميد وأقام فى قصر النجم (يلدز) زمنا طويلا وكان يطرى سياسة السلطان عبد الحميد فلما عزل السلطان غير رأيه وكتب مقالات فى مجلة القرن التاسع عشر على اثر خلع عبد الحميد بسط فيها آراءه فى ذلك الخلع وفى رجال الدولة العثمانية كافة وتوسع

فى نقد عادات الأتراك وسلاطينهم وطعن بهم وبوزرائهم أقبح طعن ونسب الى السلطان عبد الحميد الجهل والتعصب وفساد الأخلاق وسوء التربية وكشف عن ما أسماه رياء هـذا المستشرق وخداعه الرأى العـام وطعنه فى النهضة الآسيوية والحركة الاسلامية وكان سابقا يؤيد المسلمين ويتظاهر بمصادقة عموم الآسيويين قائلا بوجوب مساعدة زعمائهم المفكرين ورجالهم الناهضين فما بال يكتب الآن : « اقطعوا البرعم قبل أن يزهـر ويثمـر » (م ٦٢٧/١٦) .

وفى السنوات الأخيرة للمنار اتسع نطاق البحث فى كتابات المستشرقين فكتب الأمير شكيب أرسلان فى المنار (م ٤٣٥/٣٣) فصلا ضافيا أشـار فيـه الى هـدف المستشرقين الأساسى حيث يقول : انهم ما استشرقوا ولا خطوا خطوة فى هـذا السبيل الا لأجـل أن يتعقبوا عورات الاسـلام ومثالبـه ويخوضوا فى أعـراض المسلمين ويبحثوا عن زلاتهم ليجسموها ويعرضونها لأنظار الأوربيين بالشكل المستتبع الذى تنفر منه طباعهم وتثور حفائظهم وذلك حتى يزدادوا بغضا للاسلام وبعدا عنه ، هذه الفئة من حيث أن استشراقها هو العمل لخدمة المسيحية وتشويه الاسلام بما أمكن لا تقتصر على تجسيم العورات اذا وقعت عليها بل تبلغ بهـا سوء القصد أن تقلب الحقائق قلبا وأن ترتكب التزوير عمدا وأن تأخذ بالحوادث الجزئية فتعممها فتجعل منها قواعد وكل شىء تعمله هـذه الفئة على قاعدة أن الغاية تبرر الواسـطة فالاسـلام بزعمها هو شر محض فينبغى أن تنقـذ الناس منه بالحق وبالباطل . ومن جملتها لامانس الشيوعى البلجيكى ومارتن هاريمان الألمانى ومرجليوت الانجليزى وفنسـنك الذى ذكر عنـه الدكتور حسين الهراوى أنه طعن فى الرسول عليه الصلاة والسـلام ، ومن المستشرقين فئـة أخرى غرضهم أيضا أن يخدموا المدنيـة الأوربية والثقافة المسيحية وأن يبثوها بما أمكنهم بين المسلمين ولكنهم لا يستبيحون ما تستبيحه الفئة الأولى من الكذب والبهتـان وقلب الحقـائق واللواذ بكل غرض للتمثيـل بالاسلام وأهله، هؤلاء يلتزمون فى مباحثهم الطريقة العلمية ولكنهم لا يتحرجون عند أول فرصة تلوح لهم أن يهملوها ويحملوا على الاسـلام باسـم العلم بزعمهم وأن يجسموا الهنات وأن يعمموا الجزئيات فى الأحايين وأن يتجاهلوا

ما عندهم من الطاقات الكبرى التى لا تقاس اليها معايب الاسلام فى كثير ولا قليل .

قال مهندس سويسرى لاحسان الجابرى : لقد نشأنا من الصغر على بغض الاسلام ، وربانا آباؤنا ومعلمونا على مبادىء من العداوة للاسلام ، نحن الآن نعلم بطلانها لكننا بحكم الاستمرار لا نقدر أن نتخلص منها » (م ٤٣٥/٣٣) .

وكتب العلامة محمد تقى الدين الهلالى مقالا عن أخطاء المستشرقين وخطاياهم (م ٥٣٥/٣٤) قال : ان لهم أخطاء ولهم خطيئات أيضا ، أما أخطاءهم فمنشؤها القصور فأكثر المستشرقين صحفيون فى العلوم الشرقية (الصحفى من يأخذ العلوم من الصحف بدون تلق من العلماء ، والمصحفى من يتلقى القرآن من المصحف لا عن القراء والحفاظ) ولنضرب بذلك مثلا حول جورج سايل أول من ترجم القرآن الى الانجليزية وحدث فى الجزء الأول من القرآن أربعين غلطة وله ترجمة رسائل أبى العلاء مشحونة بالأخطاء ، أما الخطيئات فيرتكبها ثلاثة أخر من المستشرقين (الضرب الأول) : القسيسون المتعصبون كجورج سايل ومرجليوت وزويمر ومن على شاكلتهم الحامل عليها شدة بغضهم للاسلام وللشرق كله من أجل الاسلام . (الضرب الثانى) : السياسيون المستعمرون وغرضهم معروف . (الضرب الثالث) : الأدباء الذين لا يدفعون عن الكذب وزخرف القول ليكتسبوا بذلك المال الوافر والشهرة الواسعة واعجاب القراء الأوربيين الذين يصدقون كل ما يقرءون عن الشرق والشرقيين ، وهناك قسم رابع من المستشرقين بريئون من تعمد الخطيئات منهم توماس كارليل ، وجيبون ، وكوتى .

— ٣ —

ويواجه السيد رشيد رضا أخطاء كرومر فى كتابه (مصر الحديثة) فيقول : انه فضل القبط على المسلمين تفضيلا من حيث دينهم وما فيه من المرونة التى تساعدهم على مجاراة المدنية مما لا يساعد الاسلام أهله على زعمه رفع نفسه الى مستوى الحكم فى الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ونظام اجتماعى محكم من الحيثية الأولى له وعليه

ومن الحيثية الأولى عليه لا له ، وانتقل من الحكم عليه الى الحكم على أهله عامة حتى فى مستقبل أمرهم ، وهو كتاب كتب بمداد الحقد والحنق وقلم الحفيظة والانتقام من المصريين بما فوقوا اليه من سهام وصوبوا اليه من أسنة أقلامهم فى وقت مفارقته لديارهم ، فهو يريد ان يستل من نفوس احرار قومه فكرة توقيت الاحتلال والخروج من مصر فى يوم من الأيام ويقنعهم ويقنع أوربا معهم بأنه لا ضمان لحفظ مصالح الأوربيين فى مصر بل ولا حفظ مصالح المصريين الا ببقاء الانجليز فى مصر ، لأن المصرى شديد التمسك بدينه الذى لا يتفق مع المدنية فان هو تركه واتبع المدنية كما يحب الأوربيون ويبغون كانت مدنيته تقليدية لا حقيقية ، وكان ذلك شرا على المسلم المتدين واشد عداوة للأوربى وللمسيحى ولو غير أوربى .

ويرى أن تصريحه بعدم استحسان ضم مصر الى أملاك انجلترا وما أظهره من الميل الى اعدادهم للاستقلال هو من التمويه وذر الرماد فى العيون والهاء المصريين بالأمانى والأحلام . (م ١١ ابريل ١٩٠٨) .

— ٤ —

ويواجه السيد رشيد رضا كتاب مصر من دعاة التغريب فيكشف زيفهم ، فهو يدحض مزاعم فرح أنطون عن الاسلام التى أوردها فى دراسته عن ابن رشد فيقول : انه الخطأ اعتماد فلسفة ابن رشد على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلام رينان أو من الكتب الغربية ، فان صاحب الجامعة شاب لم يتعلم الا مبادىء علوم المدارس فى مدرسة كفتين فهو لا يفهم هذه الفلسفة ولا هو حسن القصد فى بيان ما يفهم كما علم وتعلم مما ينشره فان دين الاسلام مبنى على العقل كما صرح القرآن الكريم ، وقد زعم صاحب الجامعة أن الامام الغزالى وابن رشد يقولان بخلاف ذلك أى بخلاف ما يتفق به كتاب الله ، حاش لله » .

ويعارض فكرة الشيخ مصطفى عبد الرازق فى محاضرته التى القاها فى احتفال الجامعة المصرية بذكرى « رينان » المفكر الفرنسى الذى هاجم الاسلام يقول السيد رشيد رضا (م ٢٤) : لقد طعن رينان فى الاسلام بأنه عدو العلم والعقل وطعن فى العرب بأن عقولهم قاصرة بطبعها غير مستعدة لفهم الفلسفة وما وراء الطبيعة وما ذكر فى المحاضرة من تلخيص

كلامه يدل على أنه لم يكن يعرف من أصول الاســـلام شـــيئا الا بعض كلام دعاة النصرانية فى الجزائر ورجال السياسة الفرنسية ، وقال انه أخطـــأ فى تصوير العقائد المنسوبة الى الاســـلام وانه فضـــل البربر على العرب فى العلم والمدنية بدعوى ان اصلهم من برابرة الشمال الاوربيين لا من همج الساميين ، وقال : ان ثناء رينان على جمال الدين وقومه الأفغان يرجـــع انى انهم من الأرومة الآرية ذات العقـــل الراقي المستعد للفلسفة العليـــا التي تستعصى علي عقول العرب » .

كذلك فقد عارض دعوى محمود عزمى فيما أسماه : « مدنية القوانين » (مجلد ٤٣٥/٢٣) حين دعا الى وضع قانون مدنى للأحوال الشـــخصية يسمح للمسيحي بأن يتزوج بالمسلمة ، وقال السيد رشيد رضا : ساء بعض المتفرنجين ان دين الدولة المصرية الرسمى « الاســـلام » وساعت ملاحدة المتفرنجين المقلدين لأعـــداء الأديان من الافرنج فى الدعـــوة الى التقصى من روابط الدين ولا سيما السياسية والاجتماعية منها فقام منهم من يقترح من الاصلاح لمصر فى عهد الاستقلال والدستور أن توحد قوانينها فتجعلها كلها مدنية لوضع قانونى مدنى للأحوال الشخصية من زواج وطلاق وغـــير ذلك ويعنون بالمدنى ما يقابل الدينى وأصبح المقترح على رايه بأن الشريعة الاسلامية غير عادلة لأنها تبيح للمســـلم أن يتزوج يهودية أو نصرانيـــة ولا يبيح أن يتزوج غير المسلم امرأة مسلمة » .

وقد رد عليه كثيرون فى جريدة الأهرام (مايو ١٩٢٢) ومن ذلك السعى لالغاء المحاكم الشرعية (م ٤٣٥/٢٣ ، ٥٣٩ ، ٦٢٥) من سعى المتفرنجين والافرنج لابطال الشريعة ، وقال السيد رشيد : ان النص القطعى فى القرآن انما ورد بالنهى عن نكاح المشركات ونكاح المشركين ويحل نكاح المحصنات من أهل الكتاب ولم يصرح بتحريم انكاحهم .

كما وقف السيد رشيد رضا وقفـــة حاسمة بالنسبة لكتاب الاســـلام وأصول الحـــكم للشيخ على عبد الرازق وعرض لفساد رأيه ولحـــكم هيئة العلماء عليه وقال انه جعـــل الشريعة الاسلامية شريعـــة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ فى أمور الدنيا وان الدين لا يمنع من أن جهـــاد النبى كان فى سبيل الملك لا فى سبيل الدين ولا لابلاغ الدعـــوة الى العالمين

وان نظـــام الملك فى عصر النبى كان موضـــع غموض وابهـــام واضطراب وكان موجبا للحيرة وأن مهمة النبى صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشريعة مجردا عن الحكم والتنفيذ وأنكر اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام وعلى انه لابد للأمة ممن يقوم بأمرها فى الدين والدنيا وانكار أن القضـــاء وظيفـــة شرعية وأن حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعـــده كانت لا دينيـــة » .

وهاجم سـلامة موسي فى مطالع حيـاته وفى أول مؤلفاته (مقدمة السبرمان) مجلد ١٣ ، وقال اننا رأينا المؤلف يتحمس لآراء نيتشي وبليك وشوبنهور وغيرهم من أصحاب الفلسفة الشاردة التى روحها وملاكها حمل الناس على التفلت من جميع القيود الدينية والأدبية وتقوية الحياة الحيوانية فهم يجب أن يكونوا متسلطين جبابرة أقوياء بدل أن يكونوا عادلين مهذبين رحماء وكان لمثل هذا المؤلف الجديد أن يريد أهل الشرق على التمسك بتلك المذاهب الشاذة ولو أنه رأى لها أثرا قائما بتلك البلاد التى نبت فيها أولئك الفلاسفة انفسهم ولا يمنع أن يكون لكل ناعق متبعون فان الشذوذ واختلاف المناحى كان ولا يزال داب البشر ولكن المتفرنجين منا يريدون تعميم ما يرون نهم فى كل بقعة من بلاد الشرق ناصبين أنفسهم من أمتهم منصب المصلحين النافعين وانما هم من المقلدين المســاكين الذين لم تقو عقولهم على تمييز الغث من السمين (م ١٣) .

وعرض لكتاب اميل درمنخيم (حياة محمد) وترجمة الدكتور محمـــد حســين هيـــكل له ، وقال ان درمنخيم من أقرب المستشرقين الى الصحة فى الرواية لأنه اعتمـــد على المصـــادر الاسلامية واوسعها عنده ســيرة ابن هشام وأجدرهم بحسن النية فيما اخطأ فيه فان حاول الجمع بين اعتقاده واعتقاد المسلمين والتقريب بينهما بقدر ما تعطيه بلاغته الفرنسية فى مدح النبى صلى الله عليه وســلم وتصوير فضائله وأشـــار الى خطأ درمنخيم فى القول بالوحى النفسى للنبى صلى الله عليه وسلم « ويعنون به انه نابع من نفس النبى وصادر من استعداد فيه وهو ما يعبرون عنه فى هذا العهد بالعقل الباطن ونعنى به الروح الغيبى المعبر عنه بقوله تعالى : ((**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا**)) .

ويقول ان ما نقله هيكل عن درمنخيم من الكلام عن بدء الوحى المحمدى ومقدماته قد جمع فيه الشبهات التى يمكن الاحتجاج بهما على أن هذا الوحى « نفسى » .

وقال أنه رد عليه فى كتابه (الوحى المحمدى) واثبت أن وحى القرآن من عالم الغيب بما بسطه من كليات مقاصد القرآن العشر واستحالة كونها من عقل محمد واستعداده واستحالة أن يكون ما دونها من العلم والفهم والعمل مما وقع أو يقع مثله لأحد من البشر فى سن الكهولة . ويقول : لما قرأت مقدمة (بدء الوحى) عجبت لمؤلفه كيف اقر درمنجم مؤلف الأصل على مزاعمه فيها بعد تفنيدى لها فى كتاب الوحى المحمدى وقد اطلع عليه وذكره فى الكتب التى استمد من مباحثها فى وضعه فما أدرى أغفل عن تفنيدى لشبهاتها العشر واثبات الوحى الالهى بكليات ومقاصد القرآن العشر أم ماذا ، ؟ فهذه المسألة انكر المنكرات فى أصل الكتاب ولم يفطن لها الجمهور فيه ولا لفروعها المنكرة وهى كثيرة وقد أنكروا ما هو دونها » .

ونشر السيد رشيد رضا بحثا للأستاذ محمد محمد زهران فى نقد كتاب « حياة محمد » للدكتور هيكل فقال ان الناس استبشروا به عندما بدأ يكتب عن السيرة ، ولكن بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون من تشويهه للحقائق القطعية والاغراق فى الباس الباطل ثوب الحق وصوغ الخيالات فى قالب الحقائق واقرار ما ليس بثابت عن ائمة الدين وانكار ما هو معلوم للخاصة أو جلها الا وهو انكار جميع المعجزات المحمدية سوى القرآن ولو انه اقتصر على مجرد هذا الانكار لتأولنا وقلنا لعله اراد أن القرآن هو المعجزة العظمى التى تتضاءل فى جنبها سائر المعجزات ولكن قد علل الانكار المذكور بأن تلك المعجزات بأسرها مخالفة لسنن الله عز شأنه وأن تجويز شىء منها مناف لما نطق به القرآن من أن تلك السنن لا تتبدل وزعم أن أحاديث المعجزات كلها موضوعة اما لمحاولة ان يجعل له صلى الله عليه وسلم من الآيات مثل ما لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام واما لتشكيك من يؤمنون بقوله تعالى : **((ولن تجد لسنة الله تبديلا))** فهذا نص لا يحتمل تأويلا فى أنه لا يدين بشى من المعجزات الكونية فانه قرر أن وقوع شىء منها تبديل للسنن الالهية وانه محال ، ويا ليت شعرى ماذا يصنع بالآى القرآنية والعامة من المسلمين . وقال انه هناك أمر واحد أساسى لجميع أخطائه المتضمنة لمعجزات الأنبياء من نحو انقلاب العصا حية وفلق البحر لموسى

وابراء الاكمه والأبرص واحياء الموتى لعيسى عليه الصلاة والسلام .

واشار الباحث الى ان الدكتور هيكل انكر :

١ ــ قصة ابراهيم والكعبة .

٢ ــ اسطورة شق الصدر .

٣ ــ بدء الوحى .

٤ ــ ما نسبه الى السيدة خديجة .

٥ ــ ما قال فى الاسراء .

٦ ــ ما عقب به على معجزة الغار .

٧ ــ تلبيسه فى قصة سراقة .

٨ ــ دعواه بأن النبى صلى الله عليه وسلم اقر المنكر .

٩ ــ عزوه الى عائشة ما لا يليق .

وقال السيد رشيد رضا معلقا على ذلك بقوله : ان أكبر خطأ رأيته تبعا لأصله الفرنسى من شبهات الوحى النفسى يخفى على أكثر قرائه او على من لم تتمكن هذه الشبهات من نفسه من قبل قراءته. فان درمنجم نفسه ينقل رواية رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لملك الوحى والتلقى عنه .

والدكتور هيكل زاد هذه المسألة بسطا وان اخطأ كل منهما فيما ذكرا من مقدماتهما باجتهادهما وما اعتمد عليه فى رواياتها الباطلة لقلة اطلاعهما وعدم اضطلاعهما بالتميز بين الراجح والمرجوح فيها وأن ابن هشام وأستاذه ابن اسحق اخذا بالرواية المرسلة فى حديث بدء الوحى وأن قوله انها رؤيا منامية مخالفا رواية الصحيحين المسندة المرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم » .

ثم هون السيد رشيد رضا من المسائل الأخرى .

كذلك فقد اهتم السيد رشيد رضا بصدور دائرة المعارف الاسلامية المترجمة (م ٣٤/٣٨٦) فقال ان هذا المعجم باللغة العربية كما كتبه واضعوه بدون تعليق على ما فيه من الأغلاط والمطاعن ومخالفة الحقائق هو أخطر من نشر كتب دعاة النصرانية المبشرين وصحفهم لأن هذه قلما تخدع احدا من عوام المسلمين بما فيها من الباطل أما هذا المعجم فانه يخدع أكثر القارئين له فيه ولعل فيهم من يعلم أن مؤلفى هذه الدائرة ممن يتربصون بهم

الدوائر (عليهم دائرة السوء) وكان الأمير شكيب ارسلان قد علق على هذه الدائرة فأشار فى (م ٤٣٩/٣٣) فقال ان دائرة المعارف الاسلامية لا تخلو من تحاملات منكرة على الاسلام ، ومن غلطات وخبطات علمية فى مباحثها التى تولاها بعض الفئة الأولى المتحاملة على الاسلام وعلى لجنة الترجمة العمل لتصحيح تلك الأغلاط ، وتستدرك أيضا على فوات المتن ، وألا يكون قد أدخلنا فى عقول ناشئتنا الجديدة ضلالات لا تخفى باسم العلم والفن وحرية الفكر والاستنتاج التحليلى . وقال : ان « دائرة المعارف » أسم خادع كسور له باب ظاهره منه الرحمة وباطنه من قبله العذاب وهو معجم لفقه طائفة من علماء الافرنج المستشرقين لخدمة دينهم ودولتهم المستعمرة لبلاد المسلمين بهدم معاقل الاسلام وخصومه بعد أن عجز عن ذلك دعاة دينهم بالطعن الصريح على كتاب الله العزيز ورسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وبعد أن عجز عن ذلك الذين حرفوا القرآن بترجماته الباطلة والذين شوهوا تاريخ الاسلام بمفترياتهم ذلك بأن هؤلاء الملفقين لهذا المعجم الذى سموه دائرة المعارف الاسلامية لم يتركوا شيئا من عقائد الاسلام ولا فضائله ولا من تشريعه ولا من مناقب رجاله الا وصوروه لقراء معجمهم بما يخالف صورته الصحيحة من بعض الوجوه وان اتقان الافرنج للكذب والافك قد فاق اتقانهم لغيره مما أتقنوه من علم وعمل . هذه الدائرة من عيوبها أنها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها بل لأجل بيان آرائهم وأهوائهم والاعلام بما سبق لهم ولعلمائهم منها من بحث وطعن فى كتبهم ورسائلهم المتطرفة وقال ان التذييلات والتصحيحات والانتقادات التى تقدمها النسخة العربية غير كافية فى موضوعها وان هناك مواد كثيرة نشرت بغير تعليق .

وعارض السيد رشيد ترجمة القرآن وعرض لها فى مناسبتين الأولى عام ١٩٠٩ فقال : ان ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الأصل متعذرة كما يعلم والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين وحينئذ لا تكون الترجمة هى القرآن وانما هى فهم رجل للقرآن يخطىء فى فهم ويصيب ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة ، ان القرآن هو اساس الدين بل هو الدين كله اذ السنة ليست دينا الا من حيث أنها مبينة له ، فالذين يأخذون

بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم لا نفس القرآن المنزل من الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والاجتهاد بالقياس انما هو فرع من النص والترجمة ليست نصا من الشارع والاجماع عند الجمهور لابد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستندا فعلى هذا لا نسلم لمن يجعلون ترجمة القرآن قرآنا ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه فى فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الأول الذى ظهر فيه الاسلام يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وان أخطأ فى فهمه اذا بذل جهده فى الاهتداء بما أنزله الله هداية له . ان القرآن ينبوع الهداية والمعارف الالهية لا تخلق جدته ولا يفتأ تتجدد أسراره ما لم تظهر لمن قبله تصديقا لعموم حديث « فرب مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تفيد القارىء بالمعنى الذى صوره المترجم بحسب فهمه ، وقد ذكر الغزالى ان ترجمة آيات الصفات الالهية غير جائزة » .

ولما تجدد الكلام عن ترجمة القرآن فى تركيا بعد الانقلاب عرض السيد رشيد لموضوع الترجمة مرة أخرى (م ٢٦/٤٨١ ، ٥٦١ ، ٦٤١) ومما قاله ان ملاحدة الترك ودعاة العصبية الجنسية فيهم قد بثوا فى قومهم فكرة الاستغناء عن القرآن المنزل من الله تعالى باللسان العربى بترجمته باللسان التركى قبل عهد الحرية الدستورية بسنتين وقد أنكرنا عليهم ذلك قولا وكتابة ودحض السيد رشيد رضا قولهم ان غير العرب من المسلمين يمكنهم الاستغناء فى دينهم عن معرفة اللغة العربية وعن القرآن المنزل من عند الله آية للعالمين معجزا للبشر على مر السنين بترجمته الى التركية والفارسية وغيرها من اللغات . وقال : « ان الترجمة لا يمكن أن يتحقق فيها الاعجاز كالقرآن المنزل من عند الله تعالى ولا يصح التعبد بتلاوتها . ولا يتحقق منها غير ذلك من خصائص القرآن . ولا يهتم الاهتداء بالكتاب والسنة الا بالعناية باللغة العربية ولا شىء أضر على الاسلام فى هذا العصر ممن يدعو الى ترجمة القرآن الى اللغات المختلفة ليستغنى المسلمون بالترجمة عن القرآن المنزل من عند الله تعالى بلسان عربى مبين ، فالغاية هى هذه المفسدة واذا وقعت فان الأعاجم من المسلمين يكونون عرضة لترك الدين » .

كذلك فقد واجه سموم طه حسين : ومفتريات طه حسين وتابعه متابعة متصلة منذ صدور كتابه « فى الشعر الجاهلى » وما تبعه من افكار شعوبية وتغريبية ، وقد طاردت حركة اليقظة هذا الخطر حتى سقط ، ويصور السيد رشيد رضاهذه المحاولة (٢٩٩/٣٢) فيقول لقد كان هدف الاختلاط هو السيطرة على المدارس وتخريج نشء جديد لا هم لهم فى الحياة الا التمتع بالذات الجسدية والزينة فى اللباس والأثاث والرياش والتنافس فى خدمة الحكومة والتوسل الى ذلك بالشهادات المدرسية ، والتملق للرؤساء المسيطرين من الانجليز . وأهم ما عنى به المسيطر على وزارة المعارف منهم الا وهو القسيس مستر دنلوب أن يطمس كل أثر كان للدين الاسلامى فى المدارس الأميرية والا يدع للتربية الاسلامية ولا للتعليم الدينى منفذا يشرف منه على القلوب بنشر الالحاد والاباحة بأن ينفثا سمومهما فى افساد الأخلاق وعبادة الشهوات وعدم الخضوع لأى سيطرة أجنبية أن تتمكن من الأذهان وتغلغل فى أعماق الوجدان والهاء للمعلمين والمتعلمين عن ذلك بمظاهر التربية الوطنية الاقليمية التى تفصل بين مسلمى مصر ومسلمى سائر الأقطار ولاسيما العربية ؛ وقد نجح دنلوب فى سياسته أتم النجاح وشغل المدارس بالرياضة الجسدية عن ترويض الأرواح ، وكان أن طبع وزارة المعارف بطابع سياسته ووجهها شطر مقصده ، حتى جاء الاستقلال المقيد وصار أمر التعليم فى أيدى الوطنيين ، كان بعض وزراء المعارف من بعده شرا على التربية والتعليم مما كان فى عهده بل لم ينهض وزير منهم لاصلاح التربية الدينية ومقاومة نزعات التفرنج وصد تيار الاباحية والالحاد الذى يقترف بالأمة فى فوضى الأخلاق والفساد . وأعجب من هذا اننا لم نر من حزب من أحزاب البلاد السياسية ولا من تقاليد الحكومة طريقة متبعة فى اختيار وزير المعارف من رجال الاصلاح الملى والأدبى الذين يهمهم حفظ دين الأمة والدولة ووقايتها من الفساد والفوضى . وكان مثار العجب أن جعل الأستاذ أحمد لطفى السيد المحامى وزيرا للمعارف ، حتى اذا ما تولى هذا المنصب مراد سيد أحمد القاضى الأهلى زال ذلك العجب واعتقد كل غيور على الدين أن الحكومة المصرية متعمدة القضاء على هداية الدين فى الأمة بتربية بنيها وبناتها على الالحاد والاباحية المطلقة . لئن كان الدكتور طه حسين من سيئات الأول بتغذيته بمبادىء الالحاد فى نفسه وتجرئته على بنيها بعلمه أولا وفى دروسه

فى الجامعة أخيرا فان الثانى قد ابتدع فى وزارة المعارف من فنون التربية على الاباحية والقاء جلاليب الحياء والصيانة من تشجيع التهتك والخلاعة وتصوير الشبات والشواب مجردين ومجردات من الثياب ما يتضاءل أمام ذلك الافساد القولى .

ليس بكثير على مراد سيد أحمد أن يفترض ارتقاءه الى منصب وزارة المعارف فيبتدع فيها تعليم النابتة المصرية من البنين والبنات لتمثيل الاباحى والرقص التوقيعى وتربيتهم على التجرد من الثياب بحجة الترقى فى صناعة التصوير وهو هو الذى كان قاضيا فرفعت اليه قضية رجل يطلب فيها عقاب أستاذ فى المدارس على التصدى لتحبيب امرأته وافسادها عليه بمخاطبته اياها فى الطريق بعبارات التصبى والاستمالة فحكم القاضى الذى ارتقى من كرسى القضاء الى كرسى الوزارة بأن ما وقع من الأستاذ المعلم المربى هو مظهر من مظاهر حب الجمال وهو فضيلة من الفضائل وان القانون يعاقب على الرذائل فحكم ببراءة الفاسق المتصدى لافساد نظام الزوجية وكفى به افسادا للأمة . والغريب المريب أن يجعل مثل هذا القاضى المجدد الاباحى وزيرا للمعارف ولقد ظننت أن الحكومة المصرية قد أجمعت أمرها على القاء هذا الشعب المتدين فى فوضى الاباحة المطلقة وقذفه فى نهور الالحاد والزندقة . وقد أبطل حلمى عيسى البدعتين الاباحيتين متضمنا أن ابتداعهما كان بسوء رأى الوزير ثم أن هذا الرجل جعل طه حسين عميد كلية الآداب فى الجامعة مفتشا للغة العربية فى الوزارة فأخرجه من الجامعة التى كان يبث فيها الالحاد فكان لاخراجه ضجة شديدة وقدم الدكتور عبد الحميد سعيد استجوابا فى مسألة طه حسين واستنكار بقائه فى وزارة المعارف واستقال أستاذه ومربيه أحمد لطفى السيد .

لقد خدم طه حسين دعاة النصرانية بالصد عن الاسلام وبغيه عوجا وقلد بعض فلاسفة الافرنج فى الشك والتشكيك وهو ضرب من السفسطة قديم ، ولعل سبب تأييد بعض كبار الملاحدة لهم أنهم رأوه مستولغا مستهترا لا يبالى فى سبيل الشهرة بالالحاد والاباحة ذما ولا عارا وهم حريصون على نشر هذه الدعوة فى الجامعة المصرية ليهدموا بمعاول المتخرجين بها كل ما بقى للاسلام فى مصر من هداية دينية وجنسية عربية

مهم أرادوا جعل الجامعة حربا على الأزهر والمعاهد الدينية وعلى دار العلوم وخرجوا بأن ثقافة الجامعة المصرية ستحل محل ثقافة الأزهر الدينية فى مصر وكان أظهر الأسباب لعناية أولئك الملاحدة ببث دعايتهم فى الجامعة هو اعتقادهم أن الشعب ما زال يغلب عليه الدين .

كذلك فقد كتب (الشيخ رشيد) مقدمة كتاب الشيخ محمد عرفة « نقض مطاعن فى القرآن الكريم » الذى فصل الرد على شبهات طه حسين . فقال السيد رشيد رضا : « حذق فى صناعة الكتابة فكان ذا رشاقة وخلابة وألف كتبا وأنشأ مقالات دس فى بعضها سموم الالحاد وفى بعض آخر مخدرات الاباحة والاغراء بالشهوات فنهد للرد عليه فريق من العلماء والأدباء . سر جميع أهل الغيرة على الدين باخراجه من الجامعة واليوم يسمعون من الأزهر الشريف صوتا جهوريا فى نقض ما أذاعه مجلس النواب من طعن هذا الكاتب على القرآن العظيم ، هذه المطاعن التى ألقاها فى دروسه كانت بعد تلك الكلمة التى كانت سببها تحقيق النيابة العامة معه فى مطاعن كتابه فى الشعر الجاهلى . وقال السيد رشيد : ان موقف الأوربيين من الطعن فى الاسلام مقيدة باعتبارين : دينى وسياسى ذلك أنهم رأوا أن الاسلام قد غلب النصرانية على أمرها فى الشرق وكاد يغلبها فى الغرب أيضا بعد اعتزاز دولها واستبحار ثروة كنائسها فلم يجدوا وسيلة لصد تياره عن بلادهم وسلبه لمسلكهم وتغريبه لشعوبهم الى محاربته بالافتراء عليه والطعن فيه ، وقتال أهله بالسلاح ثم بالسياسة فأحكموا نظام الحربين بعد التمهيد لها بتربية الشعوب النصرانية على بغض المسلمين وتلقينهم فى البيوت والمدارس أن الاسلام هو العدو الأكبر للمسيحية وما هو فى الحقيقة الا أخو المسيحية وصديقها والمدافع عن حقها والمتمم لاصلاحها والمبرىء لنبيها من طعن المفترين وشطط المغالين .

وقوم آخرون رأوا من معجزات القرآن ما أنزل عليه القرآن فى العلم وهداية البشر واصلاح شئونهم ما يلجئهم الى الايمان والاذعان ان لم يجدوا لهذه المعجزات تأويلا ينظمونها به الى سمط السنن الكونية فتكلفوا التأويل لها لابطال كونها من خوارق العادات والآيات الالهية فهذه أسباب طعن الافرنج ومريديهم وتلاميذهم من النصارى والملاحدة (م ٣٣/١٩٣) .

وعرض السيد رشيد رضا لآراء الدكتور طه حسين فى مسألة الحروف المفردة فى أوائل السور فقال : ان هذه المسألة ما كان ينبغى لمسلم أن يقلد دعاة النصرانية فى تشكيك طلاب العلم فى القرآن بها وجعلها من مباحث النقد التحليلى فى الأدب كما فعل طه حسين وقد فند الأستاذ الناقض لمطاعنه رأيه فيه وذكرنا فيما علقنا عليه فى حاشية ما سبقه اليه بعض المستشرقين وقال ان المختار عندنا فى حكم افتتاح هذه السور (الـم ص) وغيرها بأسماء وحروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى لتلك الحروف التى يتركب منها الكلام هو نبذ السامع الى ما يلقى اليه بعد ذلك الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء ، وانما خصصت سور معينة بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم الى الاسلام وأثبات الوحى والنبوة وكلها مكية الا الزهراوين (البقرة وآل عمران) وقد علمت أن الدكتور طه حسين تكلم فى القرآن بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ولا باخلاص فى النقد التحليلى الذى يعلو القرآن على مدارك أهله وعقولهم وعلمهم باللغة والدين والشريعة ، واذا كان القرآن أصل الدين فلا ينبغى لمسلم أن يأخذ علم بلاغته وآدابه ولا علم هدايته وتشريعه الا من خواص العلماء بتفسيره ويجب عليه أن يرجع اليهما فما عسى أن يقرأه أو يسمعه لغيرهم من نقد أو طعن أو رأى فيه يخفى عليه .

وقال : ان الأسلوب العصرى فى النقد الذى عرفنا بحسنه فى جملته فهو قديم أيضا وأول واضع لأصوله حكيمنا ابن خلدون وجرى عليه شيخنا الأستاذ الامام فى رده على هانوتو وجرى عليه فى مقالات الاسلام والنصرانية فى العلم والمدنية ، أما ما يكتبه هذا الرجل وأمثاله فى مسائل الأدب اللغوى والتاريخى فمنه الصحيح المقبول ومنه الزائف المردود . (٢٠٧/٣٣) .

كذلك فقد كشف السيد رشيد رضا من أخطاء جرجى زيدان فى رواياته وفى أبحاثه بما كتبه الأستاذ أحمد السكندرى عن تاريخ آداب اللغة العربية وما كتبه السيد شبلى النعمانى عن تاريخ التمدن الاسلامى ، أما هو فقد كان يعرض لروايات الهلال كلما صدرت حلقة منها .

فيقول فى نقده لروايتى فتاة غسان وفتح الأندلس (م ٣٩١/٦) :

يحتج هؤلاء بأن فى هـذا القصص أغلاطا تاريخيـة حتى فى الأمور المشهورة ومثل هذا لا يسـلم منه كتاب منها قوله أن أمير العرب على فتح العراق هو سعد بن مالك وهو اغراب فقد كان يدعى سعد بن أبى وقاص وان كان اسم أبيه مالكا .

ويعدون عليه مسائل كهذه جزئية منها ما يستند هو فيه الى نقل صحيح كهذا أو ضعيف فمن الأول قوله ان أبا سـفيان حيا هرقل بقوله : أبيت اللعن ، وهم ينكرون ذلك محتجين بأنها تحية الحميريين للملوك دون المضريين وله أن يحتج هو باطلاق بعض علماء اللغة والتاريخ أنها تحيـة الملوك فى الجاهلية .

ومن الثـانى نص كتاب النبى صلى الله عليـه وسـلم الى هرقل فانه نقلها من الأغانى فقد انقص منها قوله : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

ولا شك أن المؤلف قصر فى اعتماده على كتاب أدبى دون كتب الحديث وكتب السير فى أهم شىء فى موضـوع قصته . كما ذكر فى آخـر الكتاب صورة خاتم النبى صلى الله عليه وسلم نقلا عن الواقدى وهى أن لفظ محمد فى السطر الأول ولفظ رسول فى السطر الأوسط ولفظ الجلالة (الله) فى السطر الأدنى والمشهور العكس .

أما ما ذكره المؤلف عن أبى سفيان مع سيرة النبى صلى الله عليـه وسلم فأبو سفيان لم يقله ولا هو ينقله عنـه بالرواية وانما جمع المؤلف أقوالا من الكتب وألفهـا مع بعض آرائه وأسندها الى أبى سـفيان لأنهم يحبذون ذلك فى القصص لأن العبرة عندهم بالمسائل لا بالرواية وان سمى أهل العربية هـذه القصص روايات كذبا ومينا ، والمعـروف فى الصحيح أن أبا سفيان لم يتجاوز اجوبة أسئلة هرقل ومن المسائل الباطلة التى حكاها المؤلف عن أبى سـفيان مسألة الغرانيق رآها فى الطبرى فنظمها فى سلك الحكاية والسبب فى ذلك اعتياد القوم على التساهل فى النقـل ويحسبون هذا التساهل هينا حتما فى الأمور الدينية وهو عند الله عظيم » .

كما نقـــد قصة فتح الأندلس فقال : انتقد غيرنا من نبهـــاء المسلمين على هذه القصص . انها تصور للقارىء أن انتصار المسلمين فى الفتوحات لم يكن الا لسبب ما ألم بالأمم التى فتحوا بلادها كالرومان والفرس والمصريين والبربر والقوط من فساد الأخلاق وهذا غمط لحقوق المسلمين وعدم اعتراف بشجاعتهم وعناية الله بهم وقد حمل المؤلف عليها التعصب الدينى .

وبالنسبة لرواية الحجاج بن يوسف يقول : وقد رأيت من المسلمين من ينتقد هـــذا الوضع من وجهتين : احداهما أن من شأن القصص أن تكون فيها أخبار كاذبة فيشتبه على القارىء الحق بالباطل ، وثانيهما : استثقال نسبة العشق والغـــرام الى رجال سلفنا الكرام وقد كان بعض المتقدمين كتب رأيه فى جريدة المؤيد ورد عليه المؤلف بأن الحوادث الغرامية لم تستد الى أحد من رجال السلف العظام والأئمة الذين يجلون عن الاشتغال بغرام» .

كما عرض لكتاب تاريخ التمدن الاســـلامى الذى ألفه جرجى زيدان (م ٥١٤/١٤٩/٧) وقد راجعه فى كثير من آرائه التى انحرف فيها كما أنه أشار الى أنه يضـــع أرقام توهم القارىء أن ذلك الأمر كله من ذلك الكتاب وربما كان المراد بعضه وهناك أخطاء عن مال الزكاة فى الخيل والصواب أنه لا زكاة فيها ومثل هذا الغلط لا يسلم منه من يأخذ العلم الدينى من الكتب التاريخية من غير تلقى أحكامه من أهله .

وبالنسبة للجزء الثالث من كتاب التمدن الاسلامى أشار جرجى زيدان الى مسألة دينية تحت عنوان (المأمون والاعتزال) وهى مسألة الخـــلاف فى القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق ، فانه حرفها بظنه وفسرها برأيه حيث قال بعـــد أن نوه بفطنـــة المأمون وميله الى البحث العقلى ما نصه : (فتمكن من مذهب الاعتزال وأخذ يناصر أشياعه وصرح بأقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء ومن جملتها القول بخلق القرآن أى أنه غير منزل) فنستلفت نظرك الى قوله : انه غير منزل بل الى الكتاب كله وقوله ان الاســـلام نهضة عربيـــة ولذلك أمر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب ويقول ان هذا غلط سرى للمؤلف من استعمال الأجانب له من عهد بعيد فأطلقه والصواب أن المسلمين فى صدر الاســـلام كانوا يطلقون كلمة العرب أحيانا فى مقابلة المسلمين فيعنون بهم

المشركين ولم يكن اللفظان مترادفين عند المسلمين فى وقت ما على الاطلاق بل كانوا يطلقون لفظ المسلم والمسلمين على كل من دخل فى الاسلام واذا أطلق على العرب خاصة كان تجوزا بصرف القرينة ولم يخرج عمر غير المسلمين من الجزيرة اجتهادا منه لهذا بل عملا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم فقد أوصى بذلك فى مرض موته .

وكذلك فقد حاول القول بأن القرآن دعا الى سيادة العرب ، قال رشيد رضا : ليس فيه ما يدل على أن العرب يجب أن يكونوا ممتازين على غيرهم بل يقول :

(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) نعم ان تأثير العرب له تأييد لهم اذ لولاه لم يخرجوا من ظلمة جاهليتهم ولكن فتح بلاد الروم والفرس لم يزد الصحابة اعتقادا بما ذكره .

ونظرا لظروف اشتراك السوريين النصارى فى العمل الصحفى فقد كان الشيخ رشيد حريصا على مجاملتهم خاصة صاحب الهلال وصاحب الأهرام ، ومن أجل ذلك نشر مقالات النقد لكتاب التمدن الاسلامى التى بعث بها السيد شبلى النعمانى واعتذر بأنه كان غائبا فى الهند ابان نشرها وانه لو كان حاضرا لأزال منها بعض العبارات غير أنه بعد أن توفى جرجى زيدان كاشف قراءه بحقيقة الرجل فقال :

« ظهر بعد الانقلاب العثمانى نزعة جديدة تقدمها نزعة مبرمة احياء لمذهب الشعوبية ذلك بأنه — أى جرجى زيدان — زار الآستانة ولقى فيها بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقى ثم عاد متشبعا بالنهضة التركية مستنكرا مجاراة العرب لاخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية مستصوبا خطة الاتحاديين الأولى فى تتريك العناصر وادغام العرب فى الترك وقد كتب فى الهلال ما يشعر بهذه النزعة فهاج عليه قراءه . وقال ان لجرجى زيدان مطاعن فى العرب وأودعها فى تاريخ التمدن الاسلامى فطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها وزادهم التفاتا اليها ترجمة جريدة (اقدام) التركية لتاريخ التمدن الاسلامى ونشره بالتتابع .

— ٥ —

كذلك فقد واجه السيد رشيد رضا الدعوى الى القاديانية والبهائية وكشف فى فصول متعددة على سنوات متصلة أخطار هاتين النحلتين ولقد اتصل الحديث عن القاديانية منذ المجلد الثالث من المنار حتى المجلد الواحد والثلاثين :

فقد كشف أن غلام أحمد القاديانى رجل مضلل ادعى أنه هو المسيح عيسى بن مريم وان الله تعالى قد أوحى اليه بذلك وقد نسخ من أحكام الشريعة الجهاد وكان يستدل على صدق دعوته بقصيدة نظمها وادعى أنها معجزة كالقرآن وبكتاب فى تفسير الفاتحة سماه اعجاز أحمدى وأكثره لغو لا يفهم واستنباط معان لا تدل عليها الألفاظ بحقيقتها وقد رد عليه علماء الهند وفندوا دعوته وقد مرن أتباعه على المناظرة والجدل وانصرفوا الى دعوة الأسر فى الهند وانكلترا والولايات المتحدة (م ٣) .

وفى فصل آخر مطول تحت عنوان (المسيحية الاسلامية القاديانية الملقبة بالأحمدية) يقول : ظهرت بدعة القاديانية فى مصر بعد أن كانت محصورة فى الهند فصارت كالبهائية ذات دعاة وأتباع يبثون تعاليمها فى رسائل يطبعونها ويوزعونها وقد ادعى ميزرا غلام أحمد القاديانى فى الهند أنه المسيح المنتظر وأن الوحى نزل عليه بذلك وقد رددنا عليه فى عصره . وضل كثير من المسلمين بدعوى البهائية والقاديانية فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة ومساعدة لهما فى الهند وايران وفلسطين ومصر وكلهم مخلصون لها مؤيدون لسياستها . وقد نسخ وجوب الجهاد ثم علمنا أنهم يدعون باستمرار الوحى والنبوة فى أتباعه أى فى زعيم القاديانية بعده ميزا بشر الدين محمود أحمد زعيم الحركة الأحمدية (م ٥٧٨/٤) .

وعاود السيد رشيد رضا الحديث عن القاديانية فأشار فى المجلد ٣٩١/٣١ أنه قد طبع فى سوريا رسائل متعددة فى الدعوة الى نحلتهم فانخدع بها شاب دمشقى عنده هوس اسمه منير الحصنى جاء مصر متمنيا لو يلقانا لنتكلم معه . وأشار الى أن أخطر ما يدعو اليه مسيح الهند القاديانى الدجال : نسخ الجهاد وخدمه للانجليز وادعاء النبوة وقد خالف القاديانيون فى ذلك اجماع المسلمين فيما هو قطعى معلوم من دين الاسلام بالضرورة فخرجوا بذلك عن الملة الاسلامية ، وقال ان أخطرها مسألة نسخ الجهاد

وما فيها من اطراء الانجليز بالمدح والحكم بوجوب شكرهم على حماية المسلمين وتحريم جهادهم ومن قوله أن الجهاد انقطع بطبعه بظهور المسيح اذ زالت غربة الاسلام وضعفه وانتصر أهله على النصارى .

* * *

وأولى السيد رشيد رضا اهتماما بالغا للبهائية فقد استكشفها فى مطالعها الأولى ١٨٩٩ وتحدث فى السنوات التالية عن البابية فقال انهم قوم ارتدوا عن الاسلام وأحدثوا لأنفسهم دينا وضعيا مؤلفا من أمشاج الوثنية والمدنية وهم يستخفون به ويظهرون من مظاهر النفاق ليتمكنوا من تشكيك كل أهل دين فى دينهم ولا يزال دينهم سريا ولذلك يتمكنون من مخادعة أهل دين ولاقناعهم بأنهم منهم ولكنهم يريدون اصلاحهم ولا يطلعون أحدا على كتبهم الأساسية (م ٦/٢٣٢) .

وواصل السيد رشيد رضا مواجهة البابية والبهائية بعد أن كشف عن البابية وزيف دعواها فى مقالات متعددة متصلة فى المجلد السابع (٣٥٣/٣٤٤/٣٣٨) فقد أورد أقوالا للباب التى يدعى أنها منزلة ليحكموا حكما صحيحا . ولما كانت البابية هى باب البهائية فقد أخذ يكشف زيف البهائية والاعتقاد بربوبية وألوهية البهاء وأنه هو الذى بعث الأنبياء والرسل وقد ظهرت البابية والبهائية فى ايران .

وأشار الى كتاب تاريخ البابية ومفتاح باب الأبواب لمؤلفه ميزا محمد مهدى خان كما عرض تاريخ البابية ومناظرات العلماء للباب (ميرزا على محمد الشيرازى) الى أن قتل ثم ذكر مزاعم البابية وما جرى لأصحابه من بعده من الفتن والتفرق والنفى ، الى أن قام منهم حسن على الملقب بالبهاء واستمال أكثرهم ونقح لهم دين الباب وادعى انه الأصل .

ثم جدد السيد رشيد رضا دعوته فى المجلد الثالث عشر فقال : ان هؤلاء الباطنية قد قصدوا من وضع تعاليمهم الأولى محو الاسلام وازالة سلطانه من الأرض ، وضعها بعض مجوس الفرس لما فتح المسلمون بلادهم وأزالوا ملكهم واستعانوا عليها بالشيعة وهم حزب سياسى يرى أن الحكومة يجب أن تكون (أرستقراطية) للاشراف من آل بيت النبى صلى الله عليه

وسلم فصاروا يبثون دعوتهم فى هذا الحزب لحمله على الغلو فى بغض عمر بن الخطاب (الذى فتح بلادهم) وأبى بكر وجمهور الصحابة الذين كانوا أقرب الى القول بحكومة الشعب (الديمقراطية) وقد وجد هذان الحزبان فى الاسلام ووجد فيهم حزب الفوضوية أيضا وهم الخوارج كما وجد ذلك عند غيرهم . وخلق الغلو طبعى فى البشر ، ولذلك نجح الباطنية فى دعوة غلاة الشيعة الى تكفير جماهير الصحابة ورميهم بكتمان بعض القرآن ولم يدروا أن ذلك يعد طعنا فى أئمة آل البيت الذين يتعصبون لهم لأن رئيسهم عليا كرم الله وجهه كان يحفظ القرآن كله فلماذا لم يظهر المكتوم على انه كان يمكن أن يبث ذلك سرا فى أهل بيته وأشار الى أن غرض الباطنية اخراج الشيعة من الاسلام ، ولما ظهر غلاة المتصوفة توسل الباطنية بهم الى مقصدهم ايضا فأضلوا كثيرا من الناس ولكن الاسلام ظل غالبا على أمره فى الصوفية أيضا الا من كان من أنصار الباطنية .

وقال انهم يعبدون البهاء عبادة حقيقية ويدينون بألوهيته وربوبيته ولهم شريعة خاصة بهم ، وقد جاء الاسكندرية ١٩١٠ وهاجم المؤيد الذى تحدث عنه بتقدير كأنه مصلح عظيم .

وفى المجلد الرابع عشر واصل السيد رشيد رضا حديثه عن البهائية فقال ان الباطنية هم سلف البهائية وأشار الى عباس أفندى وسعيه الى نشر البهائية فى أمريكا وكان سبب دخول الملايين فى هذا الدين وقال انه اجرى مع داعيتهم مناظرات متعددة وثبت عندى أنهم من الباطنية الذين كانوا يظهرون للمسلمين وكذا لغيرهم أنهم منهم وعلى ملتهم ، هؤلاء البهائية اذا دعوا النصارى فى أمريكا مثلا الى نحلتهم قالوا لهم انا نصارى مثلهم نؤمن بألوهية المسيح وبمجيئه يوم الدينونة وقد جاء المسيح كما وعد فى ناسوت البهائية وكذلك يقولون للمسلمين انا معكم ونطلب اصلاح حالكم باتباع المهدى المنتظر والمسيح الموعود بل يقولون ان دين برهما ودين زردشت حق وان ربنا وربكم هو البهاء أو بهاء الله دفين عكا فى بلاد الشام ولا يفصحون عن عقيدتهم كلها لأحد دفعة واحدة وانما يرتفعون به درجة بعد أخرى وقد وضع سلفهم هذه الدرجات وجروا عليها وقلدهم الماسون

فيها (اى الدرجات فقط) وقصارى دعوتهم الرجوع الى نوع من الوثنية ملون بلون جديد من الوانها .

ويقول السيد رشيد رضا : اذا كان عباس افندى مسلما فليكتب لنا مقالة ينص بالنص الصريح على ان سيدنا محمد بن عبد الله هو خاتم النبيين والمرسلين ولا دين بعد دينه ولا شرع ينسخ شرعه وان القرآن هو آخر كتب الله ووحيه لأنبيائه ورسله وأن معانيه الصحيحة هى ما دلت عليه مفرداته وأساليبه العربية . نكتفى منه بهذا ولا نكلفه أن يتبرأ مما سمعناه من اتباعه فى القول بألوهية والده ونسخ للشريعة الاسلامية كجعل الصلوات اثنين بدل خمس بكيفية غير كيفية صلاة المسلمين وان كان لا يكتب من تلقاء نفسه فاننا نكتب له أسئلة ونطالبه بالجواب عليها .

وفى معرض الحديث أورد نصا للشهرستانى تحت عنوان الاسماعيلية فى دين الباطنية الاسماعيلية الذين كانوا يخادعون الناس زاعمين أنهم مذهب اسلامى وان أهله هم الفرقة الناجية وكانوا يستدرجون الضعفاء بهذه السفسطة الموهة ويستدلونهم بما يحملون اليهم من حجج العقل فيستدنوهم به عن العقل ويسترضونهم بالخضوع الأعمى لكل ما ينقلونه من أمامهم وقد هدم سفطتهم العلماء الاعلام كالغزالى فى كتابه القسطاس المستقيم وغيره .

وأشار السيد رشيد فى المجلد الخامس عشر (٩٠١/٧٣١/٢٢٣) الى كتاب جديد صدر بعنوان (الحراب فى صدر البهاء والباب) لمحمد فاضل كتبه بعد مجىء عباس أفندى زعيم البهائية الى القطر المصرى كشف فيها من زيف هذه النحلة وواصل صاحب المنار حملته عاما بعد عام ففى المجلد ٧٠٨/٣٣ اشار الى « هذا الدين الجديد الذى هو طور عصرى لضلال الباطنية القديم » وكان عباس افندى أوهى مؤسسيه وناشريه حتى انه حظر الى اليوم اظهار كتابهم الذى يسمونه (الكتاب الأقدس) لأنه اذا تناولته الأيدى يتعذر نشر الدعوة فى كل شعب وقطر بما يناسب أفكار أهله وعقائدهم ومشاربهم وقد خدع كثير من عقلاء المسلمين وأذكيائهم بنفاقهم ودهاء عباس أفندي الذي كان يدعى انه من المسلمين المصلحين

فانخدع غيرهم لهم . وان منهم (احمد صفوت) الذى اقترح على المسلمين هدم نصوص القرآن والسنة والاجماع والأخذ بمقاصد القرآن دون دلالة لفظه فى الأحكام .

* * *

ولم يتوقف السيد رشيد رضا عن مهاجمة كل منحرف فى هذا الطريق ومن هؤلاء الشيخ محمد الوزير الذى ألف كتابا جحد فيه معجزات الرسل عليهم السلام وحاول تفسير القرآن بالقرآن دون اللغة والسنة ، وأباح مخالفة الرسول بمحض الرأى وتقرير النزعة المادية فى انكار ما وراء المادة المدركة بالحس ، (م ٣١) .

الفصل السادس

شبهات التبشير والتشكيك فى حقائق الاسلام

لقد اقتحم السيد رشيد رضا فى نطاق دعوته الى الاصــلاح وتحرير العقيدة الاسلامية من زيف الجمود والدعوات الهدامة ، هذا المجال الجديد فى الدعوة الاسلامية فى العصر الحديث ويمكن القول بأنه من رواد مقارنات الأديان التى بدأها تحت تأثير التحدى الخطير الذى وجهته كتابات المبشرين فى الهجوم على الاسلام ، فكان لابد من تعرض واضح للكتب القديمة والكشف عن أخطائها من خلال كتابات الغربيين أنفسهم عنها ومن أقلام أناس اهتدوا الى الاسلام حديثا وكان لهم المام بهــذه الكتب وما تحويه وقد صادف ذلك الوقت الذى بدأت فيه أوربا تهاجم الكتب القديمة وتعرضــها على المنهــج العلمى الحديث وتتهمها بأنها بشرية وانها ليستمنزلة كذلك اتســع نطاق البحث بعــد أن كشــفت الكنيســة الكاثوليكية عن مخططاتهــا فى التبشــير والتبصــير بين المســلمين عــلى طــول هــذه المنطقــة من جاوة الى الجزيرة العربية . كذلك فقد استعلن الحق عندما عثر عــلى انجيل برنابا الذى كتبه أحــد حوارى السيد المسيح والذى أنكرته المجامع المقدسة لأنه يكشف حقيقة واضحة هو أن الســيد المسيح نبى مرســل وليس الهــا . كل هــذا ، عنى السيد رشيد رضا به وتابعــه فى جدارة وبراعة خلال حياته كلها .

ولقد واجه السيد رشيد رضا هذه المعركة بذكاء وحنكة شديدين ، ذلك أنه فى نفس الوقت الذى كانت قوى الاستعمار توجه حملات التبشير الى بلاد المسلمين كان هناك فى أوربا زلزال يواجه النصرانية وتتكشــف أبحاث علماء اللاهــوت على حقائق جــديدة بالنسبة للكتب المقدســة ، وللتوراة والانجيل ، كما ظهرت فى نفس الوقت آراء لأعلام أمثال تولستوى عن حقيقة الانجيــل كذلك فقــد أعلن لكثير من المفكرين الغربيين موقفهم من الاسلام أمثال اللورد هدلى وعبد الكريم جوصو فكان ذلك كله من العناصر التى آزرت الشيخ فى دعوته ورجحت كفته .

تحدث المنار من التبشير الغربى لأول مرة فى المجلد الثالث (١٩٠٠) واشار الى مقال نشر فى المؤيد عن انتشار النصرانية فى أفريقيا وما يتصل بمهمة المبعوثين المسيحيين الى مستعمرة السنغال ومستعمرة الكونغو البلجيكية واوغندة ، (كاثوليك وبروتستانت) ثم توالت الأحداث فنشرت الجمعية الانجليزية المكلفة بالدعوة الى النصرانية كتابا اطلقت عليه « تنوير الأفهام فى مصادر الاسلام » .

سلك الكتاب فى الرد على الاسلام المسلك الذى جرى عليه بعض علماء أوربا فى هدم الديانتين اليهودية والنصرانية اذ الفوا كتبا بينوا فيها مصادر كتب العهد العتيق المسمى بالتوراة وكتب العهد الجديد المسمى بالانجيل أو الأناجيل ورسائل الرسل .. وقد بين العلماء مصادر اليهودية والنصرانية وبينوا بالدلائل التاريخية والأثرية واللغوية مصدر عقائد هذه الكتب ومأخذ أحكامها من ديانات الأولين وتقاليدهم وأثبتوا أن الأسفار المنسوبة الى موسى قد كتبت من بعده ، كذلك سائر الأسفار قد كتبت بعد من نسبت اليهم .

واشار الى أن شريعة حمورابى قد ظهر أن معظم التوراة الحاضرة مأخوذة منها ، وقال انهم ارادوا أن يحاربوا الاسلام بالسلاح الذى حوربوا به فقد أخذ مؤلف الكتاب الفاظا وردت فى الكتاب والسنة مما كان مستعملا عند العرب أو غيرهم من الأمم والفاظا اعجمية اخرى ولكن لم يعرف ان العرب نقلوها عنها وجعلوا هذه وتلك دلائل على أن دين الاسلام نفسه مأخوذ عن الأمم التى وجد فى الفكر العربى ما هو معرب عنها أو يشبه أن يكون معربا ، ومن ذلك زعمه أن الاسلام أخذ حكم توحيد الله تعالى من العرب لانه ورد اسم « الله » واسم « الاله » فى أسفارهم قبل البعثة ، فقد جهل المؤلف المسكين أن كل الأمم تعتقد بالله تعالى ولكنها تشرك به وتزعم أن له أبناء أولياء يعمل بواسطتهم فهو غير مستقل بارادته تمام الاستقلال ولا يقدر أن يكفر خطيئة آدم مثلا بدون خطيئة صلب المسيح .

وقال السيد رشيد رضا : أن الكلمة التى أهدم بها هذا الكتاب فهى أن محمد النبى الأمى بعث ليهدى الناس الى صراط الفطرة السليمة باصلاح ما أفسدوا من دين الأنبياء واقامة الدين على أساس الاستدلال

والعلم دون التقليد للرؤساء . وهـذا الكتاب يثبت للنبى الأمى الاطـلاع على جميع اديان الأمم وتقاليدها وعاداتها ولغاتها واسـتخراج قواعد الاسلام واحكامه منها (م ١٠١/٧) .

٢ — واشار الى ما نشرته صحيفة كبرى لأحد المشتغلين بقراءة الكتب التى نشرتها البعثات النصرانية فى الطعن بدين الاسـلام يسأل فيها كاتبها كشف شبهات علقت، فى ذهنه من مطالعة تلك الكتب ، يقول السيد رشيد رضا : ومن الواجب أن نجيب عن هـذه الشبهات لأن المدافعـة عن الدين اهم ما انشىء له المنار ، ولكن سنتنا التى جرينا عليها من أول يوم هى مسالمة المخالفين لنا فى الدين ولاسيما المسيحيين بل السعى لازالة الأحقاد والاتفاق على ما فيه نجاح البلاد ونود ألا يطعن أحـد فى دين الآخر لا قولا ولا عمـلا ولا كتابة ، ولكن المسيحيين لا يوافقوننا على هـذا كما يوافقنا المسلمون ولذلك نراهم يعتدون الجمعيات للطعن اللسانى فى الاسلام وينشر فى الجرائد (كراية صهيون) ويؤلفون الكتب للطعن الكتابى واننـا نصبر على هـذا المعتدى ونكتفى بكشف شبهات السائلين من أهـل ديننا مع مراعاة الأدب فنقول : المطالع لكتب المسيحيين كيف اكتفى بمطالعتها من غـير أن يطالع الكتب الاسلامية التى يقابلها بالمثل وتدفع شبهاتها وردت عليها ما لا دافع له ككتاب (اظهار الحق) وكتاب (السيف الصقيل) وغيرها ، على أن يطالع تلك الكتب وبعد مطالعتها يقوم بالموازنة بينها .

وشبهاته تنقسم الى ثلاثة أقسام :

١ — مخالفة بعض نصوص الدين الاسلامى لما ورد فى كتب اليهود والنصـارى .

٢ — ورود أشياء فى القرآن لم ترد فى تلك الكتب .

٣ — ورود أشياء فى الكتاب والسنة مخالفة للواقعـة والتى تثبت فى العلوم الحديثة بزعم من تلقى عنهم .

والتوراة التى يشهد لهـا القرآن هى كتاب شريعة وأحكام لا كتاب تاريخ مقتبس من ميثولوجيا الأشوريين والكلدانيين وغيرهم فيتأتى بتكذيب علم الجيولوجيا وعلم الآثار العادية له أو موافقة هذا لبعض ما ورد فيـه ما لا يليق نسبته الى الله كقوله : انه تعالي ندم علي خلق الانسان ، فالتوراة

حق وهى الشرائع والأحكام التى كان يحكم بهـا موسى ومن بعـده أنبياء بنى اسرائيل عليهم السلام وأحبارهم ، ولم يشهد القرآن لهذه الكتب الكثيرة التاريخية التى منها ما لم يعلم مؤلفه وكلها كتبت بعد موسى صاحب التوراة بزمن طويل وبهذا تصح شهادة القرآن وتبطل أسئلة المشتبه فى الخـلاف التاريخى من القرآن وكتاب حزقيال وأشـعيا ودانيـال لأن هـذه الكتب لم يشهد لها القرآن ولا تقترن بسمة القـدم لجميع كتب العهـد بالتوراة فذلك اصطلاح جرى فى سبيل التغليب بل اننـا نرى من النصـارى [illegible] ما يسمون مجموع كتب العهدين العتيق والجديد التوراة عندما تكون مجتمعة [illegible]

أما الانجيل فهو فى اعتقاد المسلمين ما أوحاه الله تعـالى الى السيد المسيح عليه الصلاة والسلام من المواعظ والأحكام والحكم وكان يعظ به ويعلم الناس ، وما زاد على ذلك من هذه الكتب التى يسمونها فهو فى نظر المسلمين من التاريخ ان كان خبرا وان حكما أو عقيدة فهو لمن قاله والنصارى يسمون مجموع كتب العهد الجديد انجيلا ويعترفون بأنها كتبت بعد المسيح بأزمنة مختلفة . والقرآن يشـهد على النصارى بأنهم لم يحتفظوا جميـع ما وعظهم به المسيح من الوحى المسمى بالانجيل حيث قال : « **ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به** » والانجيل يطلق على بعض ذلك الوحى لما يطلق لفظ القرآن أو قرآن على بعضه .

(م ١٧٩/٤)

٣ — ولم يلبث السيد رشيد رضا أن كشف عن مواجهات للنصرانية فى أوربا فكتب تحت عنوان زلزال النصرانية فى أوربا (م ٩٤/٦) فقال :

انس النصارى واليهود بما فى كتبهم من الدلائل على عـدم الثقـة ، بنقل التوراة والانجيـل ، وكابروا أنفسـهم والناس بدعوى تواترهما مع أن شرط التواتر ان ينتهى سند الرواة الذى يسجل تواطؤهم على الكذب لكثرتهم الى ما جاء بالكتاب كان ينتهى تواتر التـوراة الى موسى نفسـه لا الى عزرا الذى لا يعلم أحد من أين جاء بما جاء به . ولكن القيامة قائمة فى أوربا لاكتشاف شريعة حمورابى (ملكى صادق) وبيان أنها توافق هـذه التوراة فى أحكامها وتخالفها بعض المخالفة فى تاريخها لأنهم لم يرو مجلا فى هذا للمكابرة والمواربة . خطب العلامة اللاهوتي الأثري (بليتشي) خطبـة

مطولة فى برلين حضرها قيصر الألمان وقال فى خطبته على رءوس الأشهاد ان شرائع التوراة منقولة عن الشرائع الباهلية وليست وحيا من الله واستنتج من ذلك أنه لا حاجة الى دين وراء وجدان الخير المغروس فى الفطرة . وقد فزع هذا العالم النصرانى بهذه القارعة فى ذلك الملأ العظيم فتزلزلت هى ولم تزلزل مكائد من نفوس القوم ، وقد عجب الناس أن رأوا غليوم الثانى الذى أقام أوربا وأقعدها ثم دعى الى محاربة الصين ، يلاطف عالما لاهوتيا أثريا بعد ان قضى على هذا الدين القضاء المبرم . بعد هذا اجتمع القيصر بهذا الخطيب ليضع للنصرانية مذهبا جديدا يستبقى به كونها الهة سياسية تنتفع بها أوربا فى مقاومة الشرق ، ذلك أنه رأى أن يخطو فى هذا السبيل خطوة بعد خطوة وأن يختص بهذه الآراء رضفاءه اللاهوتيين ويودعها كتبهم . وقال السيد رشيد رضا انه (أى الامبراطور) لا يعتقد بلاهوت المسيح ويرى أن ليس فى التوراة شىء من الوحى والنبوة عن يسوع أنه المسيح وقال : ان محمد رسول الله الذى جاء عن الله تعالى بعلوم وعمل بعناية الله تعالى اعمالا لم يسبق ما يقاربها لغيره ولن يلحقه بما يقارنها غيره فشريعته أعدل من شريعة التوراة ولا يمكن أن يوجد اكتشاف يظهر أنها مستقاة من شريعة أخرى والوحدة التى كونها بنفسه أحوج الى المعونة الالهية المحضة من الوحدة التى كونها بسمارك وغليوم الأول .

٤ — وتابع السيد رشيد رضا ما ينشر فى الغرب من دراسات للاستفادة بها فى دفاعه وفى تأييد ما جاء به القرآن من فساد نسبة التوراة التى فى أيدى الناس الى الوحى ، ومن ذلك ما ذكر من أن الكلمات التى مازجت لغة هذه الكتب العبرية لم تكن معروفة على عهد موسى عليه السلام واستنتج من مباحثه أن هذه الكتب ألفت بعد أن سبى البابليون بنى اسرائيل بأزمنة مختلفة بعد هذا ظهر من علماء الألمان نبأ أخطر من هذا وهو أنه وجد فى الآثار التى اكتشفت الى عهد قريب فى خرائب سوس من بلاد بابل شريعة حمورابى أو ملكى صادق منقوشة على عمود حلم الصفا (الصوان) .
(م ٦/٩١)

وكان قد تناول هذا فى المجلد الرابع وأضاف الى هذا ما ذكره صاحب كتاب (سلامة الأدلة السنية على صدق الديانة المسيحية) صرح بفقدها

وانقطاع عبادة الله الحقيقية بين الاسرائيليين فى مدة ملك منســا وآمون ، وقال الأمر مستحيل أن ينفى نسخ موسى الأصلية فى الوجــود الى الآن ولا يعلم ماذا كان من أمرها والمرجح انهــا فقــدت مع التابوت لما ضرب بختنصر الهيــكل .

ومن مجموع ما كتب فى هذا الشأن يمكن تقرير النقاط الآتية :

خلاصة ما يقوله علماء أوربا هو أن شريعة حمورابى التى وجد أنهــا توافق التوراة فى أحكامها وتخالفها بعض المخالفة ، هذه هى التى نقلهــا ابراهيم عليه السلام من بابل الى فلسطين عند قدومه اليها ، وان موسى قد اقتبس منها كل ما رآه يصلح لسياسة بنى اسرائيل وبذلك تكون الشريعة التى يفخر اليهود والنصارى بأنها الهية ، مقتبسة من الشرائع الوثنية ويكون موسى مزورا بادعاء أنها أوحيت اليه من الله (حاشاه حاشاه) .

ويعلق السيد رشيد رضا على هذا فيقول : ان هذه التوراة لا خلاف ولا نزاع بين أهل الكتاب فى أن التوراة التى لقنها موسى عليه الســلام قد فقدت ثم وجد عندهم غيرها والأخبار فى ذلك معماه ، يستدلون على أن عزرا كتب التوراة بعد فقدها لما اذن لهم ملك بابل ارتجشنا بالعودة الى بلادهم أمر كاهنهم عزرا أن يضع لهم قضاة وحكاما يعملون بشريعته وقد كتب لهم عزرا هذه التوراة الحاضرة واودعها ما كان لا يزال يحفظــه من وصــايا الرب وأضاف اليه ما حفظه من شريعة الملك فجاءت هذه التوراة مزيجا من الشريعتين كما تبين الاكتشافات الجديدة وكتب العهد العتيق الذى يسمون مجموعها التوراة تؤيد كون الاسفار الخمسة المنسوبة لموسى قد كتبت بعده بزمن طويل .

٥ ـــ كذلك فقد نشر المنار مقدمة كتاب الأناجيل للفليسوف تولستوى (م ٦/٢٢٦) وقال ان تولستوى الف كتابا أرجع فيه الأناجيل الأربعة الى انجيل واحد حذف منهــا ما لا يوثق به من الأقوال التاريخيــة والخوارق الكونية .

كما أشار الى مناظرة عالم مسلم لدعاة البروتستانت فى بغداد (السيد هبة الدين صاحب مجلة العلم فى النجف) حول قضايا عديدة منهــا تقديس الانجيل والمسيح النبى ، ورجعة المسيح ونزول عيسى .

كما نشرت المنار مذكرة عن أعمال المبشرين فى السودان ومساعدة الحكومة الانجليزية لهم وقد جاء فيها ان المبشرين يعمدون فى حمل الأهالى الى ارسال أولادهم الى مدارسهم الى الآباء والتودد اليهم واعطائهم الطعام والأقمشة ، ويعلم المبشرون فى مدارسهم أصول الدين المسيحى والقراءة والكتابة وبعض العلوم الضرورية .

٦ - فى هذه المرحلة كان الدكتور محمد توفيق صدقى الطبيب الذى دخل فى الاسلام قد بدأ ينشر فى المنار جملة مقالات مستفيضة حول القضايا المثارة وموقف الاسلام منها تحت عنوان [الدين فى نظر العقل الصحيح] (المجلد الثامن) من المنار وقد تناولت هذه الفصول شبهات الماديين وشبهات النصارى وقضايا النبوة ومسائل مختلفة حول السيدة مريم اخت هارون والسامرى ، وآزر ابو ابراهيم وجبل الجودى ..

كذلك فقد بدأ السيد رشيد ينشر فصول انجيل برنابا التى طبعها فى كتاب مستقل بمقدمة قال فيها (م ١١) :

نرى مؤرخى النصرانية قد اجمعوا على انه كان فى القرون الأولى للمسيح اناجيل كثيرة وان رجال الكنيسة قد اختاروا منها اربعة اناجيل ومن الاناجيل المرفوضة : انجيل برنابا وبرنابا حوارى من أنصار المسيح الذى يلقبهم رجال الكنيسة بالرسل صحبه بولس زمنا بل كان هو الذى عرف التلاميذ ببولس بعدما اهتدى ورجع الى أورشليم ومقدمة الانجيل قاطعة بأن بولس انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح لكن تعاليمه هى التى غلبت وانتشرت واشتهرت وصارت عماد النصرانية ويذهب بعض علماء الافرنج الى ان أنجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضعه كما فى دائرة المعارف الفرنسية .

واشار السيد رشيد رضا الى ان تولستوى كان يتطلع الى ظهور انجيل برنابا واشار اليه فى كتابه فقال انه من تلك الاناجيل الى رفضتها الكنيسة وقد بقى تحت حجاب الخفاء حتى لم يطلع عليه الا بعض الباحثين من العلماء وان هؤلاء الباحثون لا يصدهم شىء عن احياء الآثار القديمة وهم يتوقون الظفر بنسخ من هذا الانجيل لينشروها بين الناس .. »

وقد ظفروا بنسـخة باللغة الايطاليـة كانت قد سرقت من مكتبة الفاتيكان (م ١٠/٣٨٥) .

٧ — ويتابع المنار حملته فى مجال ارساليات التبشير فينشر فصـول الكتاب الخطير الذى عثر عليه السيد محب الدين الخطيب وأذاعه فى جريدة المؤيد سنة ١٩١٢ وهو الكتاب الأشهر (الغارة على العالم الاسلامى) أو فتح العالم الاسـلامى ، يتحدث عن جهود جمعيات التبشـير الكاثوليكية والبروتستانتية فى مصر والهند والبحرين ، عربتها المؤيد عن مجلة العـالم الاسلامى التى تصدرها فى فرنسا (الارسالية العلمية المراكشـية) وكانت هذه المجلة قد أنشئت منذ خمس سنين وبعد احتلال مراكش ودخـول بلاد فارس تحت النفوذ الروسى الانجليزى واعتداء ايطاليا على طرابلس المغرب ظهرت بمظهر جديد تجلت فيه خطتها فى التوسـل بالعلم الى المقاصـد السياسية والدينية ، ويرأس تحريرها المسيو شـاتليه ويكتب فيها لويس ماسنيون المستشرق الذى أقام فى بغداد سنين عديدة وكان فى مصر منـذ سـنين وقد كان لنشر هذا الكتاب فى المنار بعد المؤيد أثر كبير ولا يزال (م ١٥) .

وفى مواجهة هذا أخذ ينشر الدكتور محمد توفيق صدقى صفحات تحت عنوان بشائر عيسى ومحمد فى العهدين العتيق والجديد بها حديث طويل عن اليهود والسبى البابلى وافساد اليهودية للمسيحية وتحريف كتب النصارى والتثليث . وابطال ما يستدل به النصارى على الوهية المسيح فى العهـد القـديم .

كما نشرت حديث طويل عن الأناجيل وبشارتها بنبينا وعن لغتهـا ونسـخها القديم وغلطها وتحريفها ، كما عرض المنـار للرد على كتابات المبشرين والمستشرقين فى قولهم بأن القرآن ليس سـوى مجموعة اقوال مقتبسة من التوراة والانجيل وبعض تعاليم المجوس بقلم هنرى جونستون ، يدعو قومه الى مقاومة كل تعليم دينى على القرآن لئلا يرتقى المسـلمون به فيخرجون من العبودية التى يريدها لهم .

ونشر المنار فصولا أخرى منها دخول عبد الكريم يوسـف جومنـو الفرنسى فى الاسلام وتأليف كتابه الذى تقول مقدمته :

« وجدت فى الاسلام دينا سمحا ســـهل المأخذ بين العقيدة واضح البرهان مجردا من الغموض لا يفتقر أتباعه فى عبادة خالقهم الى واســطة فارتضيته لنفسى والحمد لله فقد مكثت عشرين سنة أبحث عن الدين الحق لأكون من شيعته (م ١٧/٢٣١) .

وأورد السيد رشيد رضا عرضا لكتاب سلامة موسى (نشــوء فكرة الله) عن خلاصة كتاب لجرانت أشار اليه الكاتب الانجليزى فقال : شاب قبطى الجنس مادى الاعتقاد يعنى باقنــاع الناس بأن الأديان أوضــاع مخترعة ينبغى لهم تركها والعمل بقواعد الانتخاب الطبيعى وأصول الاشتراكية وهى من آراء غلاة المادية من الافرنج أن يعمل الأقوياء باهلاك الضعفاء ومنعهم من الزواج وقد أثار هذا الكتاب جدلا شديدا وكتبت عنه جريدة مصر القبطية بحثا ثم رد عليهم السيد رشيد رضا مطولا (م ١٧/٢٢٣/٤٧٨) .

٩ — وعرض المنار لما أشار اليه الباحثان الأوربيان : جورج سيسل والكربوكراميين والتربينيين فى ترجمة القرآن الشريف وغيرهم من اقدم فرق النصارى الذى قالوا ان المسيح نفسه لم يصلب وانما صلب واحد آخر من تلاميذه يشــبهه شــبها تاما ، وفى انجيل برنابا صرح بأن هذا التلميذ الذى صلب هو يهوذا الاســخربوطى وهو الذى قالت عنه كتبهم أنه انتحر يوم الصلب لأنهم لم يجدوه والظاهر انهم لم يعرفوا حقيقة ما حدث ولذلك أخفيت تفاصيل قصته فى سفر الأعمال .

وتولى الدكتور محمد توفيق صدقى هذا الباب بوصفه كان مسيحيا ثم حسن اسلامه ، وأجرى عديدا من البحوث حول عقائد النصرانية وكتب العهد الجديد كما نشر فى تفســـير القرآن فصلا مطولا عن عقيدة التثليث (م ١٦) .

كما نشرت المنار مقالا مطولا فى الرد على ما نشرته مجلة الشرق والغرب من الطعن على السنة وصحتها والشريعة ومقاييسها فقد طعنت فى السنة النبوية وزعمت أن طعنها يوجب الريب فى الشريعة وترك العمــل بها وانها لا قيمة لها فى نفسها (م ١٩/٩٧) .

٩ — واليك نموذج مما كان ينشره صـــمويل زويمر كبير المبشرين فى البلاد العربية فى الصحف الأمريكية من أكاذيب وأباطيل اســتدرارا لأموال

الأمريكيين بحجة أنهم سيحصلون على نصر قريب فى بلاد المسلمين وهى خدعة معروفة تقوم بها الارساليات المسيحية فى كل مكان وعصر .

قال : ان الجاحدين من أهل الاسلام أصبحوا الآن مبشرين فى الشرق الأدنى وأن دور الأولياء والكهنة قد انقضى فأصبح المسلمون يرحبون بالانجيل المسيحى وقال ان اللورد رادستوك القى فى جمعية الشبان المسيحيين عدة مواعظ وجدت ترحيبا وحفاوة ، فدل ذلك على أن الفرصة سانحة للتبشير بين طبقات كافة المسلمين الذين يمثلون المجموع الأعظم خاصة وان الأبواب التى كان مستعدة أن تفتح ، أصبحت الآن مفتوحة على مصراعيها لقبول الدعوة وقال أنه مما يشجع على ذلك أننا نرى اقبالا لم يسبق له مثيل على تعاليم المسيح من تلاميذ المدارس الابتدائية وحتى معلمى الجامع الأزهر .

فقد جاء فى مؤلف لأحد علماء الاسلام فى القاهرة فصل عن السيد المسيح يبين فيه جلال المسيح وتأثيره العظيم فى التاريخ ، ان الاسلام لا يعترف رسميا بصلب المسيح ولا آلامه فأصبحت خشبة الصلب هى العثرة فى سبيل ايمانهم ولكن هذه التعاليم لم يعد يستغربها عقل المسلم . لقد غلب الاسلام فى ساحة الحرب فأصبح مخدوعا فى مظاهره مضطربا فى برامجه ، وعليه فانه أصبح ناضجا مستعدا لقبول التعاليم المسيحية ، اذ بات يفهم أن الله لم يعد يحارب لأجل الاسلام كما كان يحارب قبلا وان تلك الخطط التى كانوا يلبسونها ستارا من الوطنية لاذلال غير المسلمين من الشعب لم تجدهم نفعا فان اليهودى يرجع الى فلسطين وأصبح المسيحى فى مصر وسوريا يرفع رأسه بعد أن كان ذليلا مهانا . ان الطلاء الأبيض ابتدأ يزول فالمتعلمون من المسلمين يقررون الكتب الافرنسية والانجليزية على الاخص كتابات (لامنس ، كانياتى ، موير ، ملكوليوت) وغيرهم ثم ان خدايجشى من كلكتا ترجم مؤخرا كتاب الدكتور ويل فى تاريخ الاسلام ونشره باللغة الانجليزية منتقدا الديانة الاسلامية أكثر مما كان ينتقدها فى خطاباته وعليه فان الفرصة سانحة للتبشر وبث تعاليم المسيحية » يقول السيد رشيد رضا معلقا :

قد يرى المستشرقون فى هذا الجهاد انتصارا لهم من الفئة المتعلمة من المسلمين الذين اصبحت ميولهم وأفكارهم غير متجانسة مع ديانة آبائهم ،

وقوله ان الطعن قد قضى عليه بكسر الدولة العثمانية واقتسام البلاد العربية هو خطأ محض ، وان أوربا قد جنت بهذه الحرب الوحشية ومعاهدات الصلح على المسيحية وعلى المدنية الأوربية أقبح جناية (م ١٩٢١/٢٢ م) .

١٠ — وأشار المنار الى أن مجلة المشرق (الجزويتية) بدأت تصرح بالطعن فى الاسلام اذ زالت الحكومة العثمانية التى كانت تمنعها من التصريح فتتوارى أحيانا وراء ما يحتمل التأويل ، هذا وان دعاة البروتستانية فى مصر وغيرها لا يزالون ينشرون النشرات والرسائل الكثيرة فى الطعن فى الاسلام والتنفير منه والدعوة الى دينهم حتى مللنا من النظر فيها . هذه المطاعن من أشد ما ينفرهم من النصرانية ويزيد العارفين بدينهم اعتصاما به ومحافظة عليه .

وأشار الى أن مسألة الوهية المسيح أصبحت فى بلاد الا نجليز موضوعا لأهم المباحثات والمناقشات بين المفكرين المشتغلين بالمسائل الدينية والفلسفية ولاسيما رجال الاكليروس الانجليكانى ، على ما نشرته جريدة الديلى تلغراف (م ٢٦٧/٢٣) .

وأشارت المنار تحت عنوان (بعثة تنصير المحمدين وبرنامج كيدها للاسلام والمسلمين) قال : فى ألمانيا أرمنى اسمه الدكتور لسيوس ، قدم شهادة ضد الاسلام فى رسائل بعث بها مصدر النشرة المدعوة بالشرق المسيحى ، فقد حصلت على مجموعة كاملة للسنة الأولى من مجلة المشرق المسيحى سنة ١٩٠٠ التى تصدرها البعثة الدينية فى ستة مراكز عمل فى بلاد الدولة العثمانية واثنان فى بلاد فارس واثنان فى بلغاريا وفى مقال بعنوان (واجبات البعثة المحمدية ومهمتها) وصف قدر الدين الاسلامى وقال ان الاسلام من أشأم ما ظهر فى تاريخ الانسانية فهو خليط من الصدق والكذب وهو لذلك أشد خطرا من الوثنية وان الدين المسلط على مائتى مليون رأس ليس من السهل التغلب عليه فيجب تحضير خطة دقيقة تكون كأحكم الخطط الحربية وضعا ، لمهاجمته وانفاذ هذه المهاجمة بأنجح وسائل التنفيذ . مع ضرورة مراعاة اختلاف أنواع المسلمين ، ولا ننصح بالكف عن العمل لتنصير المسلمين فى البلا دالاسلامية المستقلة ونوصى بالحذر دائما فى

للوسائل لانقاذ من يؤتى بهم الى المسيحية واستخدام الجرائد والنشرات للحملة على الاسلام والترغيب في المسيحية (م ٢٤/٧٨٥) .

١١ — أشار المنار الى أن القس المحترم الفريد نلسن الدينماركى المقيم فى دمشق وجه أسئلة الى المنار يقول فيها : انه من الواجب على كل متنور أن يعرف الكتاب المقدس الذى أسس عليه تمدن الغرب ، ويقول : هل الأحسن من يتمسك بدين من الأديان بعد الامتناع ويطبق حياته عليه أم الذى يبقى فى دين آبائه بدون اعتقاد داخلى ؟

قال السيد رشيد رضا : ان المبشرين فى مدارسهم الأمريكية وغيرها يشككون الطلاب المسلمين فى دينهم ولا يقنعونهم بالنصرانية فيخرج الكثيرون منهم ملحدين أو منافقين فضلا عن خدمة المدارس ومستشفياتها لمطامع السياسة الاستعمارية حتى قال لورد سالسبرى الوزير الانجليزى المشهور عن مدارس المبشرين أنها أول خطوة من خطوات الاستعمار لأن أول تأثيرها احداث الشقاق فى الأمة التى تنشأ فيها فينقسم بعضهم على بعض باختلاف الافكار والشك فى الاعتقاد فتمكن الأجنبى من ضرب بعضهم ببعض وينتهى ذلك بتمكن المستعمرين من نواصيهم وسلب استقلالهم واذلالهم وسلب ثرواتهم .

وقال : ان بناء تجديد الغرب على المسيحية دعوى ممنوعة على اطلاقها وباطلة بالصفة التى يدعيها المبشرون فى هذه الأيام لاستمالة المفتونين بالمدنية الأوربية الى النصرانية بها ، فقوانين الغرب أبعد شرائع الأمم عن شريعة التوراة الا فى القسوة على الضعفاء والمغلوبين ، وآداب أهله أبعد من آداب جميع البشر عن آداب الانجيل من كل وجه ، فمدنية الأمم الغربية مادية شهوانية قوامها الكبرياء والتعالى وعبادة المال والطمع والرياء والاسراف فى الزينة والشهوات فأين هى من أصول آداب الانجيل المبنية على التواضع والزهد .. أما العلوم والفنون وشكل الحكومات المقيدة فلم يكن أثرا من آثار انتشار تلك المجموعة فى بلاد الغرب بل كان من آثار العرب والاسلام ، فما انتقل الى أوربا من الأندلس العربية الاسلامية وما حمله غزاة الحروب الصليبية اليها من سوريا ومصر الاسلاميتين . ثم قال : ان نشر هذا الكتاب كان نقمة ومصيبة على أهل

البلاد التى نعرفها بما أحدث من الشقاق والتعادى بين أهلها ، وفاقا لما قرره اللورد سالسبورى وان جميع أهل العلم والبصيرة من أهلنا فى البلاد السورية يعلمون اليوم حقد القوم وأنه ما افسد ذات بينهم وفرق كلمتهم وحرمهم نعمة الاخوة الوطنية الا مدارس المبشرين ونزعاتهم (م ٢٥×١٨٨)

ولما كان السيد رشيد رضا ملما ومتابعا لكل ما يظهر فى البلاد العربية الاسلامية فقد كان قادرا على الاحاطة بالتيارات المختلفة ، وخاصة ما يتصل بالشام ، ذلك أنه ما لبث أن كتب تحت عنوان الاغراء بين النصارى والمسلمين حيث ورد كتاب جديد من بيروت ألفه أحد نصارى لبنان لتأريث العداوة والبغضاء بين أهل وطنه جمع فيه من كتب التاريخ أحاديث جعلها مما ينقمه النصارى من حكومات المسلمين وخاصة ما يتصل باضطهاد أسبانيا لمسلمى الأندلس ويهودها (م ٧٠٩/٢٥) كما أشار الى أن القس بولس مسعد ألقى عدة خطب ومحاضرات فى مصر وسوريا وفلسطين لدعوة المسلمين فيها الى النصرانية وجمع ذلك فى نسخة .. وزعم أن القرآن يثبت عقيدة التثليث وانها عين التوحيد الذى يدعو اليه وفند المنار كذب هذه الفرية (م ٧٩٧/٢٥) .

١٢ — وكان من أخطر ما أثير فى هذه المرحلة (عام ١٩٢٧ تقريبا) ما أذيع عن مشروع بريطانى جديد لتنصير جزيرة العرب (م ١٤٠/٢٨)

فقد ترجم المنشور الذى أذاعته جمعية تبشيرية فى لندن تحت عنوان (يسوع المسيح لبلاد العرب الآن) .

وهى دعوة الى تنصير بلاد العرب التى فيها من أربع ملايين الى اثنى عشر مليونا ولم يدخلها التنصير بعد ، ولم تبلغهم دعوة الانجيل ، بلاد العرب ، هى مهد الاسلام وفيها مكة التى هى القبلة لزهاء مائتين وعشرين مليونا من المسلمين يتوجهون نحوها) وقال النداء :

من يذهب الى هناك من حجاج المسيح ويهدى أولئك الحجاج الذين لا يحصيهم عد هداية بنعمة الله حتى يصيروا حجاج المسيح وحده . هذه دعوة الى أبناء اسرائيل أن يتقدموا الى الأمام الى بلاد العرب . ان الحاجة شديدة الى مائة مبشر يذهبون الى قبائل بلاد العرب المهملة التى لم تبلغها الدعوة بعد ، هناك نحو مائة قبيلة فى بلاد العرب يمكن تبليغهم الدعوة وهم

يسكنون بلادا غير انجيلية مساحتها ثلثا مساحة الهند . « القس باركلين » .

احمل الكتاب المقدس الى العرب . اذهب أنت بنفسك . ارسل غيرك لا تقطع صلاتك لأجل بلاد العرب ، ادع بلاد العرب والعرب الى المسيح .

« الجمعية العالمية الصليبية للتنصير فى العالم وبلاد العرب (لندن) »

وفى نفس الوقت الذى كان السيد رشيد رضا يدحض الدعوة الضالة، يتحدث عن : (تحول الكنيسة الانجليزية عن التقاليد النصرانية) عن جريدة الديلى اكسبريس (٢١ نوفمبر ١٩٢٥) .. حيث قالت ان القس انج ينكر المعجزات : وان هذه قنبلة مصوبة الى قلب الكنيسة حيث قال القس انج :

« ان مسألة ان المسيح نزل فى جوف الأرض ثم قام من قبره فى اليوم الثالث وصعد الى السماء بجسده ، اليس من اللائق بالكنيسة ان تفكر فى هذه المشكلة التى ظلت نحوا من اربعمائة سنة وهى ترغم الناس على الاعتقاد بها » .

ويشير القس انج فى كتابه تحت اسم (العلم والدين والحقيقة) الى قول اللورد بلفور : ليس بين القراء من يعتقد ان الكتاب المقدس ليس الا كتابا تاريخيا ومرجعا للعلوم الكونية لا يمتاز على غيره الا بأنه موصى به ، والقس انج يسلم بأنه موحى به اما مسألة تنزيهه عن الخطأ فينكرها البتة ويقول : ان بعض العقائد المسيحية أصبحت لا يمكن التصديق بها علميا فلا يمكن التصديق بها دينيا . ان معرفة أن الأرض ما هى الا كوكب يدور حول الشمس وهى واحدة من ملايين الأجرام السماوية : ذلك الاكتشاف قد مزق النظرية المسيحية التى تقول بأن الأرض هى مركز العالم وأنها كطبق يحدده فطاؤه وقال القس انج : ليس أمام المسيحيين الا أن يعتبروا أن هذه الأساطير الدينية لا تتمشى مع روح العلم ولكنها تحمل على أنها رموز عن حقائق أزلية ، وأن تعترف بأن كل التقاليد اللاهوتية المؤسسة على النظرية التى تقول بأن الأرض هى مركز العالم يجب ان تنبذ ما دامت لا تتفق مع النتائج العلمية الصحيحة .

١٣ — ولا يلبث اللورد هدلى رئيس الجمعية البريطانية الاسلامية أن يدحض مطاعن المبشرين فى صاحب الرسالة الاسلامية ، فقد نشرت المجلة الاسلامية (اسلاميك رفيو) التى يصدرها خوجه كمال الدين مقالا مطولا بقلم اللورد هدلى الذى اعتنق الاسلام منذ عشر سنين ردا على مفتريات المبشرين حيث قال : انى أشعر بالأسف وأنا أقرأ كتابات الارساليات المسيحية عندما أجد أن أحد رجال وطنى يضطر الى الأخذ بالرياء والتمويه والتحريض لكى يقرر آراءه نحو الدين وانه ليذهل أن يرى القارىء الى أى مدى تسير العصابات الدينية المسيحية .

وانظر الى وجه الصورة الآخر : الا تدهشك رؤية مظاهر روح التسامح والحسنى التى يقررها القرآن وذلك الهدوء الذى يلاقى به المجتمع الاسلامى الحملات القوية العديمة القيمة التى تحمل عليه وعلى ديانته باسم عيسى الكريم أحد أنبيائه ، واذا كانت هناك كلمات شديدة يدافع بها المسلمون عن كرامتهم الا انهم لم يلجأوا الى مثل هذه التهم الملفقة كى يكون فيها أهم أسلحتهم التى يهاجمون بها خصومهم (م ٢٩) .

كذلك فقد نشرت المنار فصلا مطولا عن أزمة الصلاة فى انجلترا وهو فصل كتبه الأمير شكيب ارسلان . عن موقف البرلمان البريطانى برفضه التعديل المقترح فى كتاب الصلاة مراعاة للتطور الاجتماعى والدينى والسياسى فى الأمم النصرانية وتقريبا للبروتستنتينية من الكاثوليكية أمها وقرر ابقاءه كما هو بالرغم من الوف طلاب التجديد وذلك فى مجال الرد على الدعاوى التى كانت تثار فى البلاد الاسلامية عن أن حكومات الغرب منفصلة عن الدين وأن الدين منفصل عن السياسة وأن أوربا لم تبلغ هذا المبلغ من الرقى الا بفصل السياسة عن الدين وأن الحكومات الأوربية لا تتدخل فى المسائل الدينية فى بلادها بل تعدها خارجة عن اختصاصها وقال ان الشرقيين المساكين يصدقون هذه الأقاويل لعدم اطلاعهم على الحقائق . وقد انحصر الطعن الجديد فى كتاب اسمه الصلاة العامة ، وهو كتاب قداس وكتاب مزامير وطقوس ويمتاز بأمور كثيرة عن كتب الكنيسة الرومانية وكان المطلوب أن تلغى الاوراد وطلب الشفاعات والاستغاثات بالقديسين وبمريم العذراء (م ٢٠١/٢٩) .

كذلك اشـــارت المنـــار الى دعوة الانجليز لاحيـــاء ذكرى غردون فى السودان بتنصير مسلمى السودان فقد وجه نداء بمناسبة ذكرى مقتـــل غردون للاكتتاب بمبلغ ٦٠ الف جنيه لتخليد اسمه بعمل هو اشادة كنيســة من اكبر الكنائس التى تنشىء فى بور سودان وعطبرة ووادى مدنى تسمى كنيسة غردون التذكارية (م ٢٩/٧٦٥) .

وقد انشأ السيد رشيد رضا فصـــلا مطولا فى العام الثالث والثلاثين بعد ان رفعت الرقابة فى مصر عن تاريخ التنصير والتبشير ومساعدة الحكومة له فقال : ليس فى مصر من الحملة الدولية الصليبية على الاسلام ، كل ما فى المستعمرات الأوربية منها ، ليس منها مســـألة كمســـألة البربر فى المغرب ، ومسألة العلويين فى سورية . ولا كمسألة التخنيس فى افريقيا الفرنســـية كلها ولا كمسألة الجلاء والابادة فى طرابلس الغرب وبرقه اذ لا مجال فيها لهذه الحملات وهى ذات حكومة اســـلامية مســـتقلة بنفســـها ، معترفه باستقلالها فى جميع الدول ، وما كانت سيادة الدولة العثمانية السياســـية عليها الا مزيد حضانة لها ووقاية من هذا النوع من الحرب الصليبية . ثم قال : لقد اعتدى على استقلالها الفرنسيين ثم الانجليز ، وقد اعتدى على استقلالها الفريقان وغيرهما بالتعليم الالحادى وبجميع وســـائل التنصير من دعاية لسانية وكتابية وتعلم وتطبيب واغراء واغواء بالمال والشهوات وغير ذلك ، وقد وجدوا من حكومتها المتفرنجة كل مساعدة مالية وادارية عـــلى جميع ذلك وكان نجاحهم فى التعليم الالحادى اتم من غيره فهو الذى جعـــل نفوذهم السياسى والأدبى والاقتصادى يعلو ولا يعلى ويحطم كل ما تحته من نفوذ الحكومة المصرية ومن حرمة للأمة المصرية واشـــتد هذا النفوذ من عهد اسماعيل باشا الى اليوم فكانت مدارس الأجانب الالحادية والتنصيرية تساعد من الحكومة المصرية بالمال وبهبة المبانى والأراضى وباعفـــاء ما دبر لها من بلادها من الكتب المراد بها هدم الاسلام وغيرها من رســـوم المكس (الجمرك) وكان الوزراء والكبراء ثم الأوســـاط فالفقراء ما زالوا يعلمون اولادهم ذكرانا واناثا فيها ويفضلون تربية القسيسين والرهبان والراهبات والمبشرين والمبشرات على تربية المدارس المصرية الأميرية وغـــيرها ، ولم يكن احد ممن يقدمون بأولادهم فيها يبالى عاقبة هذا التعلم فى جنايته عـــلى الدين والدنيا ، اما الدنيا فلأن زمامها فى ايدى هؤلاء الافرنج فصارت تطلب

بالزلفى عندهم وقال لورد سالسبوري : ان مدارس المبشرين أولى خطوات الاستعمار فان أول عملها احداث الشقاق فى الأمة التى ينشر فيها أما الدين فلأنه لم يعد مما يراد فى مصر من التربية والتعليم اذ قررت الحكومة المصرية جعل ما كان واجبا من تعليم والعمل به أمرا اختياريا لا شأن له ولا يطالب التلاميذ به فصار الدين فى مدارسها كالشىء اللقاء (اللقاء بالفتح ما يلقى ويطرح لعدم الحاجة اليه) وهى تعلم ان أمما من الافرنج يجعلونهما من الفرائض القطعية التى لا هوادة فيها يجمعون عليها كل من أبناء دينهم ومن المسلمين . وتعليم الازهر وملحقاته للدين أصبح عقيما فى هذا العصر كما بيناه بالبرهان مرارا واقمنا الحجج اللسانية به على شيخ الأزهر لهذا العهد والخرافات الدينية فاشية فى الأمة من جهة ونزعات الالحاد والتفرنج من جهة ثانية فخلا الجو للمبشرين فى التعليم الدينى بالأساليب العصرية الموافقة لأذهان التلاميذ ومبدأ الدين فطرى فى أنفس البشر فان لم توجد من يلقنه من النشء دين الفطرة المعقول قبلوا من يلقنهم أى دين كان قبل الرشد واستقلال العقل . ذلك ولم توجد فى مصر هيئة دينية حكومية ولا أهلية تتولى أمر التربية الاسلامية العامة ومراقبة سيرها فى الأمة والعناية ببث التعليم الدينى السهل والوعظ العام فى طبقات الأهالى ولا سيما تعليم البنات وارشاد الأمهات كالهيئات البطركية والحاخامية عند النصارى واليهود ولم يوجد منها جمعيات اسلامية تتولى ذلك بنظام عام الا ما تجدد فى السنين الأخيرة من الجمعيات الوعظية الضيقة النطاق . وكان أول من فطن من المسلمين بأمر تنصيرهم فى مصر المصلحان العظيمان الأفغانى ومحمد عبده فى القرن الماضى وكانت أول حادثة أن طغمة التبشير الأمريكانية نصرت فتى مصريا وصارت تعرضه للوعظ العام الذى يحضره كثير من المسلمين بكنيستهم فى حى الأزبكية فكبر ذلك على السيد فعهد الى جماعة من الايرانيين بخطفه من الكنيسة ووضعه فى مكان خفى ففعلوا وذهب هو وتلميذه الاكبر الى ذلك المكان واستتابا الفتى واقنعاه بأن الاسلام هو دين الله وسعيا لتلافى هذا الأمر لدى الحكومة فلم يسمع لهما أحد ، وكان الشيخ محمد عبده أول من فكر فىخطر المدارس الأجنبية فى مصر فاقترح على مجلس المعارف الأعلى الذى الف فى مصر بسعيه ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م أن تقرر جعل جميع مدارس الأجانب فى القطر المصري تحت مراقبة الحكومة ، ثم نكبت

البلاد بالاحتال الانجليزى اثر الثورة العرابية ففقدت حكومتها كل سلطان لها على التعليم وغير التعليم ، والقيت مقاليد وزارة المعارف المصرية فى يد قسيس انجليزى (ميشر) جعل سكرتيرا لهـــا فمستشارا ثم اعترفت مصر بعد الحرب الأولى بالاستقلال مقيدا بتحفظات لا تمس التعــليم الحكومى ولكن الدين الاسلامى لم يزدد بذلك الا ضعفا فى مدارس الحكومة والأوقاف العامة والخاصة وتعارضه قوة دين النصرانية فى جميع المدارس الأجنبية . وبلغ من مساعدة الاحتلال البريطانى لدعاية المبشرين بسيطرتها على الحكومة أن أمر اللورد كتشنر وزير الأوقاف بالغـــاء المستشفى الذى بنته الوزارة فى مصر القديمة بجوار مستشفى هرمل التبشيرى لأنه يصرف كثيرا من فقراء المسلمين عنه فيحرمون من التبشير بالنصرانية .

وجرت محاولة لاغلاق المنار لأنه يتصدى بالرد على أراجيف التبشير النصرانى وحاول اللورد كتشنر اغلاق المنار وقال رشيد رضا انه لن يدع الرد على المبشرين ما داموا يطعنون فى الاسلام ويدعون المسلمين الى دينهم لأن الرد عليهم وتفنيد شبهاتهم فرض من فروض الكفاية لا أرى فى البـــلاد مجلة أو جريدة تقوم بها فان تركتها كنت آثما كجميع القادرين عليها ، وقالوا ان الدكتور محمد توفيق صدقى شديد اللهجة ويكتب ما يعد طعنا صريحــا فى الديانة المسيحية لا بيانا لعقائد الاسلام ولا مناظرة المبشرين .

ويعود السيد رشـــيد رضا بالذاكرة الى المجلد السادس من المنـــار (١٩٠٤) حيث قدم عرضا لأخطاء التبشير فقال : لدعاة النصرانية المبشرين عدة مدارس ومستشفيات وصحف فى مصر لا غرض لها الا تنصير المسلمين وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على انشاء مدارسهم ومستشفياتهم باســـم نشر العلم وعمل الخير ثم انهم ينشرون فى كل ســـنة عـــدة كتب ورسائل فى الطعن فى القرآن والنبى عليه الصلاة والسلام وتنفير المسلمين من الاسلام بالاضافة الى النشرات والأوراق الصـــغيرة التى ينشرونها فى المستشفيات والخطب التى يلقونها فيها وفى سائر معاهد التبشير . وقد عز عليهم أن يكون للمسلمين فى هذا القطر الاسلامى كله صيحفة اسلامية واحـــدة ترد عليهم وتدافع عن الاســـلام فســـعوا بواسطة بعض قناصلهم الى لورد كتشنر

ورغبوا اليه أن يأمر الحكومة المصرية بالغاء مجلة المنار وابطال صدورها ومحاكمة صاحبها هو والدكتور محمد توفيق صدقى .

وقد سألنا فقلنا : اننا أقدمنا على هذا العمل مدافعين لا مهاجمين وان هؤلاء المبشرين قد كتبوا فى الطعن فى ديننا أضعاف ما كتبنا وان هذا الرد واجب علينا شرعا بل هو من فرائض الكفاية اذا لم يقم به بعض المسلمين اثم الجميع . وكما جرى العمل على تعطيل المنار ففى السودان صودر واحرق واستمر المنع حتى عام ١٣٤٥ .

وقال : حدث هذا كله والأزهر لا يبدي ولا يعيد حتى صار القس زويمر يدخل الأزهر ويزور بعض علمائه فى بيوتهم داعيا الى النصرانية حتى كاد يبطش به صديقنا الشيخ على سرور الزنكلونى فى الأزهر واشتهرت الحادثة .

ومما ذكره السيد رشيد رضا فى الرد على كتاب نقولا عبريل فى الدعوة الى النصرانية والطعن فى الاسلام : ان عقائد المسيحيين التى هم عليها من عهد بعيد مأخوذة من عقائد الوثنيين وان ما يسمى التوراة ليست هى التوراة التى شهد لها القرآن الشريف وانما توراة القرآن هى الأحكام التى جاء بها موسى عليه السلام .

الفصل السابع

ما حققته حركة الاصلاح من نتائج

– ١ –

توفى الشيخ محمد عبده عام ١٩٠٥ وعاش السيد رشيد رضا بعده حتى عام ١٩٣٥ وصدر المنار خلال هذه الفترة لم يتوقف عن الاشارة الى حركة الاصلاح التى قام بها الأستاذ الإمام ولا عن متابعتها فى جميع ميادينها وتنميتها ودفعها الى الأمام من خلال الأعلام تلاميذ الشيخ المفتى وكان منذ بدأ المنار يشير اليها على أنها « النهضة الاسلامية فى مصر » أو حزب الشيخ المفتى كما وصفها اللورد كرومر — يقول فى المجلد الثانى من المنار :

كان مبدأ هذه النهضة فى مصر رجل أعجمى الوطن علوى النسب وهبه الله من ذكاء العقل وذكاء الفطرة ما يندر منه فى الأجيال الكثيرة والقرون الطويلة الا وهو الحكيم الاسلامى الشهير السيد جمال الدين الأفغانى نور الله مرقده ، قرأ العلوم الاسلامية وأساليبها ومقاصدها وبرع فى الفنون العقلية كالحكمة القديمة والكلام والأصول ثم نظر فى الفنون الرياضية والفلسفية على طريقة أوربا الحديثة وسلك طريق التصوف سلوكا كاملا وأضاف الى علمه الواسع فى التاريخ الاختيار بالسياحة ، وعنى أشد العناية بدراسة أحوال الاسلام وتعرف أمراض المسلمين الاجتماعية التى أرجعتهم عن مقدمة الأمم الى ما وراءها ووقف نفسه على تنبيه المسلمين من غفلتهم وارشادهم للقيام بواجب شئونهم حتى تلحق الأمة الاسلامية بالأمم العزيزة ، ولجأ جمال الدين الى عالم السياسة وحاول أن يكون الاصلاح من جانب الملوك والأمراء وكان أن سلك فى مصر طريقة الاصلاح الملى وهو التربية والتعليم فانبرى له علماء السوء الذين وضعوا فى طريقه الأشواك والعوائر وحاربوه بسلاح الدين فى شبهات ثلاثة :

١ — انه كان يعرف الفلسفة ومتوغلا فى العلوم العقلية .

٢ — عدم التقيد بالعادات التى ألفوها ولونوا الكثير منها بلون دينى .

٣ ــ ان كثيرا من المترددين عليه والملتفين حوله كانوا لا يبالون امر الدين .

ثم قال : ان أمثل من اتصل بالسيد من الذين تربوا فى مهد الدين علما وعملا العلامة المفضال الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية وهو الرجل المفــرد الذى تشبه نظرته الذكية نظرة الســيد جمال الدين وتماثل تربيته تربيتــه ... الخ .

وفى خلال حياة الشيخ محمد عبده عمدت المنــار الى تسجيل رحلاته وخطواته (رحــلاته الى الجزائر وتونس) ورسائله الى العلماء والكبراء وتقارير اصــلاح التعليم واصــلاح المحاكم الشرعية والرد على الطاعنين والحديث عن هجرته الى اوربا واخراج مجلة العروة الوثقى مع جمال الدين ورحلته الى سوريا ودروسه ، والرد على فرح انطون وعمله فى انشــاء الجمعيــة الخــيرية ودراسات عن اتصالاته بفكرة توحيــد الأديان وصلته بالمستشرق بلنت وبكرومر . واشــار الى أن كرومر فى تقريره عام ١٩٠٥ الذى نشره المنــار (م ١٠) قد أطلق على هذه الحركة عبارة « حزب الشيخ محمد عبده : حزب الاصــلاح الاسلامى » كما أن المنــار كشف فى هــذه السنوات وجهة نظر الشيخ محمد عبــده فى كل أمور السياسة والاجتماع فكان للمنــــار موقف مــع مصــطفى كامل وكان له موقف مــع اللــواء بشأن العصبية الجنسية ، ومعارضته للشــيخ محمد بخيت ومعارضــته للمتصوفة وأخبار نازلى فاضل (صاحبة الصالون المعروف) الذى كان يضم (سعد زغلول وقاسم أمين ومحمد عبده وغيرهم من المتطلعين الى الحكم فى مصر) كما أنه عرض لموقف كرومر من الجامعة الاسلامية (ابريل ١٩٠٧) وكان فى تقرير لكرومر الأخير قبــل استقالته كلام عن الشريعة الاسلامية فحواه انها لا تصلح لهذا الزمان (وقد رد عليه كثيرون ، منهم فريد وجدى ومصطفى الغلايينى وعلى يوسف) وكلام عن الجامعة الاسلامية وعن دنلوب وموقفه من اللغة العربية واذا كان السيد رشيد رضا لم يعرض لهذه الأمور فى وقتهــا الا انه بعــد خروج كرومر استفاض فى الكشف عن أخطائهــا (المنــار م ١١) كما نشر كثيرا من تراث الامامين « الأفغــانى وعبــده » ومنها كتابان سياسيان لهما (م ١٠) .

كما عرض لما أورده كرومر فى كتابه مصر الحديثة عن مصر وعن الشيخ محمد عبده (المجلد ١١) .

وقد أشار فى (المجلد ٦) بالتفصيل الى رحلة الشيخ محمد عبده الى الجزائر وتونس وكيف أنها كانت من أجل رعاية حركة الاصلاح بهما وقد دعا فيها الى الجد فى تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طريقها القريب والجد فى الكسب وعمران البلاد عن الطريق المشروع (الشريعة مع الاقتصاد فى المعيشة) ومسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وقال ان الشيخ محمد عبده ألقى درسا أو خطابا فى تونس على ملأ عظيم من العلماء والفضلاء وقال : « قصدت هذه الديار للتعرف ببعض المسلمين والنظر فى أحوالهم وأمور دينهم من حيث العلم والتعليم والاعراب عما فى ضميرى مما اتمناه لاخواننا المسلمين من التقدم فى العلم » .

وفى حياة الشيخ محمد عبده اخذ المنار فى نشر تفسير الشيخ الامام للقرآن بداه فى المجلد الثالث وكانت المنار قدمت فصلا مطولا فى المجلد الأول عن القرآن وارشاده الى علم الاجتماع وعن السنن الكونية فى القرآن وارشاد القرآن الى علم الاجتماع .

كما عرض المجلد الثالث من المنار لقضية جماعة الصوفية واعتبرها جزء من قضية الاصلاح الاسلامى فهاجم البدع والضلالات والأحاديث الموضوعة عن التبرك وشفاء الأمراض والرقص والتمايل .

كما أورد ما يتصل بتقرير اللورد كرومر عن الشيخ محمد عبده ١٩٠٥ (م ٩) الذى اشار فيه الى ان الشيخ أفتى المسلمين بما أوجد لهم بابان يحل لهم بهما تثمير اموالهم فى صناديق التوفير من غير أن يخالفوا الشرع الاسلامى فى شىء . وقال : ان الفئة التى ينتمى الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح فى الاسلام معروفة فى الهند أكثر مما هى معروفة فى مصر ومنها الشيخ الجليل السيد أحمد خان الشهير الذى أنشأ كلية عليكره فى الهند منذ ثلاثين عاما والغاية القصوى التى يقصدها رجال هذه الفئة هى اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعزوا أركان الدين الاسلامى أو يتركوا الشعائر التى لا تخلو من أساس دينى فعملهم شاق لأنهم يستهدفون دائما لسهام نقد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية فى النقد ويقصد آخرون قضاء أغراضهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين ، أما مريدو الشيخ محمد عبده فهم بالنظر الى النهضة الملية بمنزلة

الجيروندسيت فى الثورة الفرنسية فالمسلمون المتنطعون المحافظون فى كل قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم ، وان السبيل الذى أرشد اليه الشيخ محمد عبده هو السبيل الذى يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبنى ملكهم اذا ساروا فيه فأتباع الشيخ محمد عبده حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين .

وقد أشار السيد رشيد رضا من بعد الى موقفه الصريح من هذه الأمور بعد أن أصدر كرومر كتابه « عباس الثانى » قال : وآملت منه ما شف عما كان منطويا عليه من التعصب الدينى الذى كان يخفيه بالرياء الفرنسى الذى يوصف به البريطانيون وأظهر للناس أن من أصول سياستهم ظلم كل مسلم تربى تربية اسلامية وتخلق بأخلاق الاسلام بابعاده عن مناصب الحكم فى بلاده وحصر هذه المناصب فى المتفرنجين بالتربية الأوربية الذين رماهم اللورد نفسه فى كتابه « مصر الحديثة » بأقبح النعوت ونبذهم بشر الألقاب حيث قال (١) : « من الواضح أن المسلم غير المتخلق بأخلاق الأوربيين لا يقوى على حكم مصر فى هذه الأيام ، ولذلك سيكون المستقبل الوزارى للمصريين المتربين تربية أوربية » ، هذه السياسة قد لقنها المسيطرون البريطانيون للموظفين المصريين بالعمل فصار يعرفها كل واحد .

وأشار السيد رشيد رضا فى هذا المجال الى أن سعد زغلول (الذى رباه الاستعمار وكان أول وزير معارف مصرى فى عهد كرومر والذى مدحه كرومر فى خطاب الوداع) يقول رشيد رضا ان سعد زغلول هذا — وهو يراه من أكبر تلاميذ الشيخ محمد عبده — قد اشتهر بالتساهل الدينى بما لم يشتهر به غيره من الوزراء وكان هو الوزير الذى أدخل تعليم الدين المسيحى فى مدارس الحكومة فى عهد وزارته للمعارف والقبط يعرفون أنه اذا تم الاستقلال لمصر على يده وكان صاحب النفوذ اللائق فان حظهم منها سينيلهم ما لم ينالوا فى عهد الاحتلال (المنار ٢٢) وكان الانجليز آمنين من انقلاب سياسى فى البلاد بسعى الذين يتربون على الطريقة الافرنجية

---

(١) أشار اللورد كرومر الى أن تجربة تولى رياض باشا للوزارة قد فشلت لأنه رجل مسلم وقال ان فشل تجربة رياض باشا لقنتنى درسا هو أنه لا فائدة فى محاولة قيادة الرأى الاسلامى فى مصر بواسطة رجل مثل رياض باشا .

ولاسيما الانجليزية لاعتقادهم أن هؤلاء لا يهمهم غير أهوائهم وشــهواتهم الشخصية .

وأشار رشيد رضا الى أن الشيخ محمد بخيت كان من أقوى أنصار الاحتلال فى عهد الحماية وانه حين ولى منصب افتاء الديار حزم الســلطة المحتلة الى خدمته فقد حذفوا اسم السلطان العثمانى من خطبة الجمعة ، وكان الشيخ بخيت ضــد اشراك الأزهريين فى الحركة الوطنية وقد اتفق مع السيد عبد الحميد البكرى شيخ مشايخ الطرق وايدوا سعدا » ا . هـ .

هذا وقد تابع السيد رشيد رضا فكرة الاصلاح وعمل على اخراجها الى حيز الوجود فى صيغة جماعة الدعوة والارشاد التى أنشأها عام ١٩١١ (م ١٤) وضمت محمود سالم ، حسن والى ، محمود أنيس ، أحمد زناتى ، عبد الوهاب النجار ، محمد سعودى ، محمد لبيب البتانونى ، محمد توفيق صدقى ، محمد المهدى وأعلن أن مقصد الجماعة انشاء مدرسة كلية باسم دار الدعوة والارشاد لتخريج علماء مرشدين قادرين على الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه والارشاد الصحيح وارسالهم الى البلاد الشديدة الحاجة اليهم على قاعدة تقديم الأهم على المهم ، وقد أثار هذا المشروع خلافات واسعة بين السيد رشيد وبين المؤيد والحزب الوطنى ، واتهموه بأنه عرض مشروعه على المندوب البريطانى فى مصر ، وكان قد حاول تنفيذ هذا المشروع أولا عن طريق الدولة العثمانيــة فى أول حــكم الاتحاديين ١٩٠٩ ولكنهم ردوه فى أسلوب لميكشفوا فيه عن خصومتهمللاسلام وكان السيد رشيد قد كشف خصومته للحزب الوطنى (وجريدة اللواء) وخاصة بعد وفاة الشيخ محمد عبده ونقد ما كتبوه عنه بعد وفاته وكان مما يبدو أن الخلاف مع السيد رشيد متصــل بجماعة السوريين الذين يصــدرون الصحف (المقطم والأهــرام والهــلال) .

ـ ٢ ـ

ويمكن القول بأن حركة الاصلاح حققت هدفها تماما من حيث جمع كلمة المسلمين على قاعدة أهل السنة والجماعة وأحيت مفهوم الاسلام الصحيح ونشرته المنــار من المغرب الى جاوة وكونت أنصــارا للفــكرة الاسلامية السلفية لم تتوقف عن الاتصال بالمنــار وارسال فتاويها وأسئلتها والكشف

عن تحديات القوى التغريبية والمضللة وانها صنعت المسلم الغيور على دينه الراغب فى أن يكون الاسلام هو منهج حياة أمته ، المدافع عنه أمام التيارات الوافدة ، وانها كشفت عن تحديات النفوذ الأجنبى ازاء حقيقة الاسلام عن طريق التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة (البهائية والقديانية) وانها وضعت فى أيدينا جميع خيوط التحديات التى ما زلنا نواجهها حتى اليوم وبعد أن توقف المنار بأكثر من خمسين عاما (١٩٨٢ م) (١٤٠٢ هـ) بحيث يمكن القول بأن دراسة هذه القضية فى العصر الذى نعيش فيه وفى أوائل القرن الخامس عشر لا يمكن أن تنفصل عن جذورها منذ عام ١٣١٥ هـ يوم صدور المنار وخلال عقوده الثلاث .

٢ ـ كذلك فقد أحيت المنار مفهوم أهل السنة والجماعة بعرض الفكر الأصيل للاسلام وكشفت زيف المفاهيم الفلسفية والباطنية والتصوف الفلسفى وجمع كلمة المسلمين على قاعدة السنة والجماعة وقد أشار السيد رشيد رضا (المجلد ٢٢) الى قواعد بناء الاصلاح الاسلامى فأجملها فى عدة نقاط :

١ ـ الاعتراف باسلام كل مذعن كما أجمع عليه المسلمون فى أمر الدين .

٢ ـ بث الدعوة للعمل بهداية الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة السلف الصالح منها كما اثبته علماء الحديث بالأسانيد المعتمدة وترك ما خالفه من افكار المتكلمين وآراء الفقهاء .

٣ ـ عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نعذر كل متبع لامام من ائمة السلف المجتهدين فى حكم من الأحكام من ائمة آل البيت كزيد بن على والصادق والباقر وائمة فقهاء الأمصار كأبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وائمة الصوفية كالجنيد وعلماء الصحابة والتابعين بالأولى ولا يكفر مسلما مذعنا بذنب ولا بدعة ارتكبها بجهل أو بشبهة اتباع امام أو تأويل ، ومتى زال التعصب تكون المناظرة بين المختلفين فى ذلك بالدليل الشرعى مع الأدب والاقرار واتقاء الشقاق والتفرق بين المسلمين .

٤ ـ الاستعانة بارشاد الكتاب والسنة على الاصلاح الدينى مع تحصيل العلوم والفنون التى ترتقى بها الزراعة والصناعة والتجارة . (م ٢٢) .

ويقول السيد رشـــيد رضا : ان المنار فى جمعه وتفصيله دعوة الى الاصلاح الاسلامى المبنى على اساس اتباع جمهور السلف الصالح فى أمور الدين رواية ودراية وعملا بلا زيادة ولا نقص واتباع ما تقتضيه المصلحة ويثبته العلم والاختبار فى أمور الدنيـــا .

ومن اهم أعمال المنـــار فى هذه الوجهة احياء كتب ابن تيميه وابن القيم والشوكانى والنقل منهـــا والاستشهاد بها يقول : ان كتب هؤلاء العلماء الأعلام من افضل ما اطلعت عليه من كتب علماء الاســـلام من حيث أنهم جمعوا بين العلم بالكتاب والسنة رواية ودراية وبين الاطـــلاع على كتب مذاهب علماء الأمصار الذين يقلدهم الناس وغـــيرهم ولم يلتزموا التعصب لامام معين ولا لأهل مذهب بل محصوا الأدلة ورجحوا ما كان أقوى فكتبهم أحق بالاستفادة منها من كتب المقلدين لمذهب معين يتمسكون بأقوال أهله ، وان خالفت النصوص الصريحة والأحاديث الصحيحة وأكثرها خلو من الأدلة مطلقا او أدلة المخالف وانما ينهى بعض المقلدين للمذاهب المشـــهورة عنها كما ينهون عن العمل والفتوى بمذاهب الصحابة والتابعين بغير حجـــة ، ولو خرج أحد الأئمة الأربعة من قبره ورأى هذه الكتب لفضلها على جميع كتب المقلدين له لأنها قلما تخالف غيرها الا بترجيح حديث صحيح على ضعيف أو على قياس وهذا أصل مذهبهم كلهم رضى الله عنهم .

ولكن المنتمين الى مذاهبهم اتخـــذوا أقوالهم وأقوال كبار أصحابهم اصولا فى التشريع ودلائل على حكم الله ويوجبون تقليدهم فى كل ما روى عنهم وان خالف نصوص الشارع أصولهم التى بنوا عليها مذاهبهم وكلهم يبـــدأ من ذلك . ويقول : السنة وآثار الصحابة قد نقلت نقـــلا أصح من نقـــل المذاهب بالأســـانيد التى وضعت لها كتب الجرح والتعديل وعلل الحديث وشروحه وهى اصل هذه المذاهب كلها بعد القرآن ، فلماذا لا يكون العمل بها هو المقدم على كتب الفقه التى تكثر فيها أدلة الأقيسة والرأى التى اختلف علماء السلف فى الاحتجاج بها ولا سيما قياس السنة وما فيه من مسالك العلة التى يتعذر اثبات شرعيتها .

وثانيا : انهم قالوا ان اختلاف العلماء رحمة للأمة فلماذا يضيق باب هذه الرحمة عليها بحصر الاستفادة بواحد يحرم الاستفادة من غيره بتسميته

تلفيقـــا وتخالف السلف الصالح الذين كان عوامهم يستفتون كل عالم يوثق بعلمـــه » .

وفى موضع آخر أشـــار الى مؤلفات ابن تيميه وابن القيم فقـــال : « اذها من أفضل ما كتب علماء الاسلام هداية وتحقيقا وانطباقا على الكتاب والســـنة بل لا نظير لها فيما نعرفه من كتب المسلمين فى مجموع مزاياها ، فانها ألفت بعد نشوء البدع فى الأمة وتعدد العلوم وكثرة التأليف فى المعقول والمنقول . وكان أكثر العلماء مقصرون فى علم السنة وآثار السلف الصالح وأكثر الحفاظ وعلماء الرواية مقصرون فى العلوم العقلية فبعـــدت الهـــوة بين الفـــريقين وكثر الخلط والخبط فى علوم الشرح حتى جاء أول هـــذين الشيخين (ابن تيمية) فكان ممن جمع الله لهم من ســـعة العلم والتحقيق فى جميع العلوم النقلية والعقلية من شرعية وروحية ولغوية وعقلية مع جودة الحفظ وقوة الاستحضار وملكة الاستنباط ولا نعرف له نظير فى هذا الجمع ، وقد خرج علماء كثيرين كان الوارث الكامل له منهم « ابن القيم » ولا سيما فى العلوم الشرعية فكانت كتبهما كتب اصلاح وجمع بين المعقول والمنقـــول وأقوى رد على من خالف السنة وسيرة السلف الصالح لا يعرف لها نظير فى ذلك فلو اهتدى المسلمون علما وعملا لأماتوا البدع وأحيوا السنن ولكنهما غير معصومين من الخطأ ، فقد أنكرنا عبارة للأول تابع فيهـــا غيره من غير أن يتنبه الى حاجة الى الاستقلال فى الاستدلال علما وخالفنا الثانى فى مسألة اهداء ثواب الأعمال الى الموتى فى تفسير آخر سورة الأنعام (م ٢٤) .

وعاود السيد رشيد الحديث عن ابن تيمية وهل هو أعلم من الائمة الأربعة (م ٢٨) فقال : ان لأئمة الفقه الأربعة فضلا على الشيخ احمـــد تقى الدين بن تيمية لأنه لم يصر فقيها الا باطلاعه على فقههم ، كما أن لأئمة الحديث كأحمد والشيخين وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم فضـــلا عليه فانه لم يكن يتحدث الا بكتبهم ، ولقد كان مثل مالك والشافعى وأحمد أصح فهما للكتاب والسنة فيما أعتقد ، وقد حدث بعد الأئمة الأربعة بدع خلع عليها مبتدعوها ثيـــاب زور غريب عن الدين ، فاتبعهـــا خلق كثير من المسلمين منها ما جاء فى شبهات الفلسفة ومنها ما جاء فى تصوف الهنود ومنها ما كان من وضاع غلاة الشيعة الظاهرية والباطنية وكان شيخ الاسلام ابن تيمية

من أعلم الناس ان لم يكن أعلمهم بمثارات هـذه البدع وشبهاتها ومنتحلتها ومن أقدرهم على بيان وجوه مخالفتها للدين الاسلامى والاستدلال على بطلانها ولم يكن الأئمـة يعرفون ذلك لانه لم يكن فى زمنهم الا بعضـها ، فالأمـة الاسلامية محتاجة الى شىء من علوم ابن تيمية لا تجـده فى شىء مما روى عن الأئمة رضى الله عنهم ، وأهمه بيان حقيقة التوحيد وهدم قواعد الشرك والبدع ورفض شبهات أهلها وقد نفع الله بعلمهم وهديهم أضعاف من انتفعوا به وهذا أمر عظيم مثاله فى المتأخرين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده الذين يظهر من كتبهم أن الشيخ عبد اللطيف كان أوسع علما بفنون العربية واصول الفقه وفروعه ومصطلح الحديث من جده شيخ الاسـلام ولكن جده هو الذى هدى الى العلم الواسـع الدقيق بتوحيـد الله تعالى الذى هو اساس الاسلام وقام بالدعوة وهدى الله به الألوف ومئات الألوف .

— ٣ —

كذلك كان من أهم ما حققته حركة الاصلاح من ثمار هو : دفع الأزهر الى الأمام فى مجـال التربية والتعليم واخراجـه من الدائرة المغلقـة التى كان يعيش فيهـا فقـد سـعى الشـيخ محمـد عبـده الى اصـلاح الأزهـر وانهاضـه ودعا الى اصـلاح التعـليم وادخـال العلوم والفنون الطبيعية والرياضـية التى تدرس فى مدرسـة القضـاء الشرعى فى الأزهر ، وكان الأستاذ الامام قد وضـع أساس نظام مدرسة القضاء الشرعى بعد اضطراره الى ترك الأزهر ويأسه منه باضطهاد الأمير ومقاومته وجمود شيوخه وبغضهم وعجزهم (م ٢٩) . قال السيد رشيد : ان محاولة الشيخ الامام بجعله عضوا عاملا تشعر الأمة والحكومة بالحاجة اليه وعدم الاستغناء عنه بل كان يطمـع فيما فوق ذلك أن يجعله عضـوا رئيسيا فى بنية الأمة الاسلامية لا فى بنية الشعب المصرى وحده .

وقد نشأ من حزب الاصلاح من استطاع تحقيق ما طمح اليه الشيخ محمد عبـده عندما جاء الشيخ محمد مصطفى المراغى كما يشـير الى ذلك السيد رشيد رضا فيقول : « توجهت همة الشيخ المراغى الى الاصـلاح بقسميه الدينى والدنيوى وقبول خريجى الأزهر أساتذة للتعليم فى مدارسها وغير ذلك من وظائف الحكومة التى كانوا محرومين منهـا ففتح لهم أبواب العمل بالشرف والكرامة ، كما فتح لهم أبواب خدمة الدين بالوعظ والارشاد

والدعوة الى الاسلام ، وقال ان من آثار ذلك ارسال بعثات من عشرين طالبا الى الجامعات الاردية وانشاء مكتب لتعريب الكتب التى لها ارتباط بالتعليم فى الأزهر وانشاء مجلة دينية وجوائز لتاليف كتب فى العلوم التى تدرس فى الأزهر » .

وفى هذا المجال اشار السيد رشيد رضا الى ما حدث عام ١٩١١ (م ١٤) من الحاق الأزهر بالحكومة ، فاصبح من المصالح التابعة للحكومة كسائر مصالحها وهذا ما كان يتقيه ويحذره الأستاذ الامام .

— ٤ —

كذلك فقد كشفت حركة الاصلاح عن زيف القانون الوضعي وحملت لواء الدعوة الى احياء الشريعة الاسلامية واعادة تطبيقها ، وقد كان هذا العمل يجرى فى دقة وتسلسل ضعيف نتيجة ظروف النفوذ الأجنبى المسيطرة ، فقد عرض السيد رشيد رضا كتاب على ابو الفتوح « الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية » باستفاضة واهتمام كبير (م ٨) : لا يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادىء المقررة فى الشريعة الغراء لا توافق هذا الزمان الذى بلغ فيه الانسان من التمدن والترقى درجة رفيعة ويتوهمون أن الأحكام والروابط الموجودة فى القوانين الحديثة الوضعية لا تقابل لها فى الأصول الاسلامية وانما هى بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التى أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد ولكن الباحث فى الفقه الاسلامى لا يلبث أن يغير هذا الظن ، ويتحقق من أن اسلافنا وصلوا الى الرفاهية فى تقرير المبادىء العمرانية والاجتماعية والقضائية ، شاوا قلما يجاريهم فيه أحد الا أن صعوبة كتب المتاخرين وكيف تأليفها ، وما هى عليه من التعقيد قد أوصدت الباب فى وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الغراء غير المتعشطين لدراستها ولذلك اشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد التآليف القديمة لأنها أسهل موردا واغزر مادة مع خلوها من التعقيد ، وبعدها عن المشاغبات اللفظية ، اذكر ذلك على اثر مطالعتى لكتاب « الخراج للامام أبى يوسف — ١٨٢ هـ » عثرت فيه على درر كثيرة لا أبخل بنظمها فى هذه المقالة حتى يرى المسلمون وخصوصا المشتغلون بالقوانين الافرنجية ان المتقدم لم يترك شيئا للمتاخر ، ولعلهم

ينكبون على دراسة الشريعة والآداب الاسلامية لأنهما لا ينافيـــان العصر الحاضر وما أجـــدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينهـــا وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الأكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والأحكام اكبر احتراما فى النفوس واكثر موافقة لأخلاق وعوائد من صنعت لهم . وقال : ان مجلة الأحكام العدلية التى الفها جماعة من المسلمين احسن من القانون المدنى الفرنسى وقد أمر السلطان العثمانى بالعمل بها وأبطل به الامتيازات الأجنبية، فلماذا لم تتبعه الحكومة الخديوية بل اختارت على أحكام الشريعة الاسلامية قانون الحكومة الفرنسية ، كلنا يعرف السبب هو طمع اسماعيل باشـــا بالاستقلال والانفصـــال عن الدولة بمساعدة أوربا التى يتزلف اليها باتباع خطوات مدنيتها » .

كذلك فقد اشار الى كتاب الشيخ رضوان شافعى المتعافى : الجنايات المتحدة فى القانون والشريعة حيث حاول فيه بيان مقدار المماثلة بين قانون العقوبات الأهلية وشروحه وبين الشريعة الاسلامية وقال المؤلف : قلما يوجد فى قانون العقوبات حكم لا يوجد له نظير فى كتب الفقـــه مثله أو خير منـــه فلا عذر اذاً لحكومة اسلامية كحكومة مصر أن تســـــتمد قانونها من كتب الافرنج دون كتب الفقه الاسلامى وهى تجد كل ما يحتاج اليه لحفظ الأمن وتأديب المعتدين فى كتب الشرع الدينى الذى ينسب اليهـــا دولتها وتدين الله به .

وفى هذا الصدد نشرت المنـــار محاضرة الشيخ على سرور الزنكلونى عن نسخ الشريعة المحمدية لما قبلها (م ٣١) حيث أشار الى حقائق الشريعة الاسلامية وضرورة تطبيقها .

— ٥ —

الكشف عن مفهوم الجامعة الاسلامية التى كان يخشاها اللورد كرومر ويحذر منها ويشير السيد رشيد رضا الى أن تاريخ الجامعة الاسلامية يعود الى انشاء العروة الوثقى ، حيث دعت المسلمين الى الوحـــدة الصحيحة وأن يجعلوا امامهم الأعظم « القرآن الكريم » وأرشدت العلماء الى اقامة البدع واحياء السنن كما أرشدت الملوك والأمراء ولا سيما المختلفين فى المذهب كاهل السنة والشيعة الي الاتحاد والاتفاق وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعي

فى الدين من أسباب التفرق والانقسام . وان العروة الوثقى لهـا أثر كبير فاهتز لها العالم هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الأرض زلزالا ولنفر المسلمين الى الاتحاد خفافا وثقالا . قال الأستاذ المفتى محرر الجريدة : حدثنى بعض أهل العلم من بغداد اذ قال : كنا نقرأ العدد من العروة الوثقى فى مجلس السيد سليمان أفندى نقيب الأشراف فيتفق رأينـا على أنه لابد أن يظهر فى العالم الاسلامى عمل كبير قبل أن يصدر العدد الذى بعد هذا ، ولو طال الأمد على جريدة العروة الوثقى لحدث فى العالم انقلاب مهم ولهب المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجـد آبائهم واجدادهم . كانت العروة الوثقى قبسا من نور القرآن ونفحة من روحه وجدولا من ينبوعه ، خافت الدولة الانجليزية يومئذ مغبة الأمر ولم تكن أقدامها قد استقرت فى مصر فحملت حكومة مصر على منعها من دخول البـلاد المصرية كما منعتها هى من البلاد الهندية ، وكان هـذان القطران أهم موارد امدادها . ثم انشأ نابغة الخطباء والكتاب « عبد الله نديم » المصرى مجلة الأستاذ ١٣١٠ هـ وكتب فيها المقالات الطنانة الرنانة فى تنبيه المسلمين الى الأخطار المحدقة بهم ولسائر الشرقيين وتنشيط هممهم لتلافيها ، ولكن أخرج النديم من مصر لأن جريدته تنفـخ روح التعصب الدينى ، وفتر الـكلام الذى يرمى الى « الجامعـة الاسلامية » حتى أنشأ المنـار لاحياء تعـاليم العروة الوثقى فوضعنا قاعدته على أساسها وأضـأنا قمته بنبراسـها الا ما كان فيها من السياسة التى تتعلق بالمسألة المصرية والتحريض على الانجليز أن المنار وافق العروة الوثقى فى تعاليمها الاجتماعية وقواعدها التى وضعتها للوحدة الاسلامية وخالفها فى وجهة السياسة المصرية وزاد عليها البحث فى جزئيات البدع وتفصيل القول فى التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المقيدة.

قال صاحب الأهـرام : ان فى طريق هـذه الخدمة خطرا عظيما ، وهو مقاومة أوربا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى من جهة الدين ، وقد كاشف برأيه هذا بعض أكابر علماء الاسـلام العارفين بالسياسة (يقصد الشيخ محمد عبده) فراجعه العالم القول وكتب يومئذ صورة هذه المذكرة فى اجتماع واطلع عليه كاتب هذه السطور بعد ذلك وكنت فى صحبة الأستاذ صاحب المؤيد ولم نتفق على نتيجة واحدة . وفى هذه السنة كثرت الكتابة فى تنبيه المسلمين فنشر المؤيد كثيرا من المقالات لكتاب من المسلمين فى الشرق والغرب

وكتبت الأهرام والمقطم عن الجامعة الاسلامية وناقشهما المؤيد فيما كتبا .

وأنشأ اسماعيل عصبرنسكى فى بلاد روسيا جريدة أسماها «ترجمان» جعل جل مباحثها فى الشئون الاسلامية وأنشأ مدرستين لتربية ابناء المسلمين .

وقال : ان الاهرام والمقطم متفقتان على أن الدعوة الاسلامية باسم الدين مضرة وغير موصلة الى الغاية وانه لا سبيل الى ترقى الأمة الاسلامية الا باتباع خطوات أوربا كما فعلت اليابان ، وقال المؤيد ان مسلك الكتاب المسلمين فى الدعوة الدينية مفيد كما أن الأخذ بالفنون والصنائع الأوربية مفيد واقترح عقد مؤتمر اسلامى فى دار الخلافة العظمى : وتعميم التربية والتعليم وانشاء الجمعيات والشركات والمنتديات وتكثير الجرائد باللغات التى ينطق بها المسلمون ، والعناية بالقوة الحديثة وتعليم النساء بخصوصهن .

وقال صاحب المنار : ان من يدعى « مسلم حر الأقطار » كتب فى المقطم يأسف لبناء الدين الاسلامى وزعم أن الدين والدولة أمران متباينان يجب أن ينفصل أحدهما عن الآخر ، وأبلغ قول يشير الى أحكم رأى لمحو السلطة الاسلامية من لوح الوجود فقاتل الله قائله ... (المنار ١٨٩٩) .

وعاود السيد رشيد رضا قضية الجامعة الاسلامية مرة أخرى يونية ١٩٠٠ (م ٣) فأشار الى أن جريدة التيمس قالت ان السبب فى هذه الحركة الاسلامية هى شدة تحامل الأوربيين على المسلمين وذكرت من هذه الجزئيات مقالات هانوتو ـــ والرسالة التى نشرها القسيسون فى مصر وسموها : أيهما المسيح أم محمد ، وأشارت جريدة التيمس بوجوب كف الأوربيين عن التعرض للدين الاسلامى وقالت انهم عادوا بعد ذلك للكلام عن الجامعة الاسلامية ومزج السياسة بالدين وقال : وتعلم التيمس كما يعلم جميع ساسة أوربا وعلمائها أن المسلمين لا وطنية ولا جنسية الا فى دينهم. وان الذين تربوا فى مدارس الأوربيين حاولوا اقتناع المسلمين بأن نجاحهم وسعادتهم فى الرابطة الوطنية وشقاءهم فى الرابطة الملية التى يطلقون عليها عند الذم فقط : لفظ التعصب الدينى .

وفى فصل آخر عن (أوربا والاصلاح الاسلامى) قال : يظن الأوربيون

أن الأمة الاسلامية قد قضى عليها فلا يرجى لها حياة اجتماعية فلما رأوا بعض أعضاء هذه الأمم تحركوا ، ذعروا ودهشوا ، انهم يروعهم اسم الاسلام والجامعة الاسلامية والاتحاد الاسلامى ويظنون أن وراءها غارات تشن وحروب تشن وتعصبا يدمى .

***

ويصور السيد رشيد رضا خطوات الاصلاح فى المجلد العاشر من المنار فيتحدث عن اجتماع الشيخان فى باريس حيث أصدرا العروة الوثقى حيث كان قطب سياستهما دعوة علماء المسلمين وعقلائهم الى النظر فى أحوال المسلمين العامة وارشادهم الى ما ينهض الى مجاراة الأمم العزيزة ، وكان من رأيهما أن يشتغل بذلك أهل كل قطر فى قطرهم بالتعاون بينهم وأن يكون لهم مجتمع عام فى الحجاز .

يقول : ولما أنشأت المنار اقترحت على مقام الخلافة تأليف جمعية اسلامية فى مكة المكرمة يكون لها شعب فى كل قطر اسلامى ، وما تقوم به هذه الجمعية من الاصلاح فى العقائد والتعاليم الدينية والأحكام القضائية والمدنية ومن تلافى البدع والتعاليم الفاسدة (وان ابراهيم بك نجيب قد أخذ من هذا ما أودعه فى مقالاته التى كان ينشرها فى جريدة اللواء تحت عنوان حماة الاسلام) ثم ان عبد الرحمن الكواكبى قدم الى مصر ١٣١٨ ونشر بها كتاب سجل جمعية أم القرى الذى صور فيه انعقاد تلك الجمعية المقترحة خفية دون علم الحكومة العلية فى مكة فى موسم ١٣١٦ ، كل هذا كان الاصلاح الدينى ممزوجا بالاصلاح السياسى على المنهج الذى جرى عليه المسلمون من اشتمال الدين على كل شىء. وجه الامام ذهنه بعد مفارقة السيد جمال الدين فى أوربا دعوته هو الى سوريا ثم الى مصر يحاول الوصول الى اصلاح حال المسلمين باقناع الحكومة بسلوك الطريقة المثلى لتربية المسلمين فكتب ثلاثة لوائح (١) احداها لاصلاح المملكة العثمانية عامة قدمها الى شيخ الاسلام بالاستانة ١٣٠٤ ليقدمها للسلطان (٢) والثانية لاصلاح التربية الدينية والتعلم فى مصر ولم تعمل الحكومة العثمانية ولا المصرية بما اقترحه عليهما ولو عملت احداهما به لعملت ما يعجز عنه كل جمعية ومؤتمر لاصلاح الدين . وفى السنين الأخيرة استقر

رأيه على اليأس من حكام المسلمين وحصر الرجاء فى عقلاء أهل العلم والفضل يدعون الى الاصلاح حيث يجدون حرية مع تجنب السياسة ظاهرا وباطنا ، ومسالمة أهل السلطة سرا وجهرا والرضى منهم بعدم معارضة الاصلاح فى العقائد والأخلاق والآداب وروابط الاجماع الأهلية والقومية ، وكان يرى أن هذا ميسر للمصلحين العقلاء من حكام المسلمين الأوربيين ، وجاء مصر بعد ذلك اسماعيل عصبرنسكى صاحب جريدة ترجمان التركية (بلاد القرم) واقترح تأليف مؤتمر اسلامى ينعقد فى مصر للبحث فى الأسباب التى كان بها المسلمون متأخرون عن غيرهم من الأمم وشرط ألا يطرق باب السياسة بل تحصر فى الأسباب الاجتماعية والاقتصادية .

(٦)

ويمضى صاحب المنار فى طريقه عاملا على القواعد التى قررها فى هذه المجالات جميعا ، غير أنه لا يلبث بين آن وآخر أن يذكر مريدى الاصلاح بما يجب عليهم لدفع عجلة حركة الاصلاح الى الأمام فيقول فى المجلد ١٣ من المنار : المنار يذكر مريدى الاصلاح بوجوب التعاون فبادروا الى اغتنام فرصة الزمان وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وما ذاك الا أن يجتمعوا على حقهم ويوحدوا طريق التربية والتعليم فى الجمع من علوم الدنيا والدين قبل أن يغلبكم على الأمة أهل التربية المادية المضطربة ، والتعاليم التقليدية المذبذبة التى تحولهم عن التقاليد الاسلامية الى التقاليد الأفرنجية فهم يدحرجون الأمة من تقليد الى تقليد . ان الاسلام نائم فى قلوب العامة فيحتاج الى الايقاظ وقد كثرت صيحات الموقظين ، على أننا لا نجالد أعداء الاصلاح بسيف ولا سنان ، وانما نجالدهم بالحجة والبرهان ونحاكمهم الى السنة والقرآن ونصبر على ما أذونا ونحسن اليهم وان أساءوا الينا ولكن لا نترك أمر الأمة فى التربية والتعليم يتنازعه التفرنج الحديث والجمود القديم .

ثم يقول : يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم فصار اليوم حجة عليكم ، أخبركم الله فيه ان الأرض يرثها عباده الصالحون وان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأن حقا عليه نصر المؤمنين وأن الله تبارك وتعالى وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض وقال : ولن

يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فما بال الناس يرثون أرضكم ويخلفونكم فى ملككم ، وأنتم لا ترثون أرضا بل ولا تحفظون ارثا . لقد غيرتم ما بأنفسكم فغير الله مابكم ، فتنبه الوثنيون وأنتم غافلون واجتمع اليهود وأنتم متفرقون وسبق النصارى وأنتم متخلفون ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم وبأحوال الأمم فى عصركم ، وتدبروا القرآن وما يبينه من سنن الله فى نوع الانسان .

ولم يتوقف عن الانذار والكشف عن كل محاولات التآمر على حركة الاصلاح ففى (المجلد ١٩) (١٩١٦/١٩١٧) فصل مطول هاجم فيه الملاحدة المتفرغون الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون وقال ان حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمراء والحاكمين . قال : بلغنا أنهم الفوا فى العام الماضى جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس فى الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن فى عقائد الدين وآدابه وأحكامه ، وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (ربما يقصد مجلة السفور) لهذا وجب على أهل الاصلاح أخذ الأهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء الملاحدة مسلحون . ان هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ما داموا يدعون الاسلام بألسنتهم ، بل لا يعدمون هناك أولياء وأنصار لهم فتعذر علينا ما كنا نريد هدمه بدعوى أنه عقبة فى سبيل ترقيتنا فى دنيانا (١) لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الأعمال من رابطة التناسب والاتصال . قال أحدهم مفاكها الأستاذ الامام وهو فى مرض موته . (٢) ان طريقتك فى تفسير القرآن قد أحدثت أشد الضرر قال الأستاذ لماذا قال لانها أبانت للناس ان الدين موافق للعقل والعلم ويقال ان لجمعية الالحاد الجديدة ركنا فى الأزهر ركينا . انهم لا يخافون من الأزهر ولكنهم يخافون من رجال الاصلاح لأنهم أقدر الناس على اظهار عوارهم وتقليم أظفارهم ولأن كل ما يزعمونه ويتقربون به الى الأمة من السعى الى ترقيتها وتحديثها قد سبقهم اليه طلاب الاصلاح الاسلامى مع المحافظة على مقومات الأمة وتمدينها وشخصياتها ، وانما أركانها الدين واللغة والعادات والازياء وهم يحاولون هدم ذلك كله بلا استثناء .

وقال ان محاولة الشيخ محمد عبده فى التفسير بأن الدين موافق

للعقل والعلم وركن من أركان المدنية ، كانت حائلا بين رجال التغريب وبين القول بأن الاسلام عقبة فى سبيل ترقية دنيانا ».

وقال ان هذه الجماعة معروفة (ولتعرفنهم فى لحن القول) فمنهم من يحاول هدم الاسلام بالدعوة الى اســتبدال لغة العوام بلغة القرآن ومنهم من يبتغى التشكيك فيه بنشر آراء الماديين من القدماء والأوربيين ، ومنهــم من يصــد عن محجته بتفصـــيل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته .

وقال : اننا بعد أن فرحنا بنصر الله تعالى لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين فقد ابتلينا بتكوين حزب الملاحدة المارقين واشار الى جهاد المنار فى طريق التصــوف والجمود والجبرية ، وقال انه يتوالد افراد من غرار الشبان وكهول المنافقين ، ولو ســكت لهم اهل الحق على ما ينفثون من سموم اباطيلهم لعظمت جراتهم ، وانتشرت دعوتهم وليس الاستظهار عليهم بالأمر العسير فان حجتهم داحضة وغوايتهم متناقضة ، وغاياتهم متعارضة، ويخافون الردة الصريحـــة ، وان ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عنــد الأوربيين ، والتشبه بما ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ، ليس بالعرض الصحيح ، فهم لا يجدون فى الاسلام ولا فى رؤسائه تلك الأســـباب التى حملت بعض كتاب أوربا على مجاهدة الكنيســة ورجالها والطعن فى نص النصرانية فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم الكونية وأوجب الفنون ، والصناعات المدنية ، واخراج البشر من رق رؤســـاء الدين والدنيا الى فضاء الحرية ، ولهذا وجب على أهل الاصلاح أخذ الاهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء مسلحون (انا لننصر رسلنا) (ولينصرن الله من ينصره) .

(٧)

لفت نظرى أحد الباحثين الى عامل خطير كان وراء حركة جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا هى أنها من حيث لا تدرى يمكن أن تحقق للنفوذ الأجنبى (انجلترا اساسا) ما يرغب اليه فى تقويض الدولة العثمانية سواء أكان هذا الهدف واضحا أمام العاملين ام خفى عليهم ، ولذلك كان الشيخ محمــد

عبده يقول ان الدولة العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورســـــوله والقرآن .

● كان الشيخ رشيد رضا ينتقد على مصطفى كامل نظريته الوطنية ولكن مصطفى كامل كان يتحرك داخل دائرة المفهوم الاســــلامى والدولة العثمانية ، أما سعد زغلول تلميذ مدرسة الاصلاح فانه أول من حطم هــذه القاعدة وخرج على المفهوم الاسلامى جملة الى المفهوم العلمانى .

● ان دعوة جمال الدين عن الوحدة الاسلامية كانت تختلف عن دعوة السلطان عبد الحميد ، وكانت الوحدة الاسلامية التى يتحدث عنها السيد رشيد رضا مما يرضى عنها الاستعمار ولكنها كانت معارضة لدعوة السلطان عبد الحميــد .

● لقد عرف رشيد رضا بعد لأى أن فرحته بالاتحاديين ونقمته على السلطان عبد الحميد كانت باطلة وان الأمور تكشفت عن أشياء خطيرة .

● بدأ جمال الدين يفتح أبواب الفكر بالفلسفة وقراءة ابن ســــينا ووسع الباب الشيخ محمد عبده بالكلام والمنطق ، ولكن رشيد رضا استطاع أن يحرر الفكر الاسلامى بمفهوم أهل السنة والجماعة .

● نقطة حولت كل الفكر الاسلامى الى مفهوم الأصالة ، تلك هى مقاومة جبرية الصوفية والنظر الى الاسلام نظرة سلفية أصيلة ، كان هذا مفتاح العمل الاسلامى فى هذا العصر وكان هذا توســــيدا للخطوات التى جاءت بعد ذلك حين بدأت حركة اليقظة في الدعوة الي التماس منهج القرآن في بناء المجتمع .

الباب الرابع

أحوال العالم الاسلامى

أولا : الدولة العثمانية ..

الاتحاديون والغرب

الكماليون والخلافة

ثانيا : الماسونية والصهيونية

ثالثا : حركات الاصلاح ... الوهابية والسنوسية

الفصل الأول

الدولة العثمانيـــة

يتصل أمر الدولة العثمانية بالمنار منذ نشأته حتى نهايته ، اتصـــالا لا يتوقف وان كان يختلف من مرحلة الى مرحلة ، هذا الاتصال يرجـــع الى أمرين : الأول : أن الدولة العثمانية كبرى دول العالم الاســـلامى ودولة الخلافة الجامعة بين الترك والعرب (والثانى) موقف السيد رشـــيد رضا نفسه باعتباره من القطر الشـــامى الذى كان جزءا من الدولة العثمانية ثم أصبح بعد الحرب الأولى : سوريا وقد كان لأهل الشام موقف واضح من الخلافة والسلطان عبد الحميد متأثر بدعايات الاتحاد والترقى ، وهو موقف مختلف عن موقف مصر من الدولة العثمانيـــة التى كانت قد أصـــبحت بعد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ منفصلة عن دولة الخلافة وان كانت موالية لهـــا فقد كانت الحركة الوطنية التى قادها مصطفى كامل والحزب الوطنى تعارض النفوذ الانجليزى وتوالى الدولة العثمانية ، وذلك بخلاف موقف الشـــــام (سورية ولبنان وفلسطين) الذى كان معـــاديا للدولة العثمانية تحت تأثير الدعايات التى كان يحملها مدحت باشا والاتحاديين والتى وصلت الى غايتها بعد سقوط السلطان عبد الحميد وتولى الاتحاديين الحكم فقد علقوا زعماء العرب عى المشانق وأفســـدوا الرابطة بين العرب والترك بدعوتهم الى الطورانية باعتبارها قومية بديلة للطابع الاســـلامى الذى عرفت به الدولة العثمانية حاملة لواء الخلافة وكان لعمل الاتحاديين فى تتريك العرب أثره فى انفجار مفهوم القوميات المتصارعة : قومية طورانية وقومية عربية ولقد كان السيد رشيد رضا طوال فترة حكم السلطان عبد الحميد منذ نشوء المنـــار ١٨٩٨ الى سقوط السلطان ١٩٠٨ يكتب كتابات حذرة تخفى الكراهيـــة وتظهر شيئا من المحاسنة والتقية ، فلما سقط السلطان انفجرت هذه الفقاعة عن حملة شديدة عنيفة حملها السيد رشيد على السلطان وفى نفس الوقت كان ترحيبا وتهليلا بالاتحاديين ، غير أن هذا الموقف لم يلبث قليلا حتى تغير الى شيء من الكراهية والنقد والتحذير لمخططات الاتحاديين دون أن يضعف

موقف النقد لأعمال السلطان — هذا النقد الذى قامت به قوى ضخمة منذ اختلف السلطان عبد الحميد مع الصهيونية وقائدها هرتزل على ادخال اليهود الى القدس — ومن ثم بدات حملتهم عليه وكان شوام مصر متأثرون بها وداخلون فى تجمعات تابعة للاتحاديين قبل ان يحكموا وينكشف أمرهم . فهذه مرحلة أولية حتى سقوط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ لها طابع خاص وهناك مرحلة تالية وهى مرحلة حكم الاتحاديين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ وهناك المرحلة الثالثة وهى حكم الديكتاتور أتاتورك الذى الغى الخلافة الاسلامية وقد امتدت هذه المرحلة حتى نهاية عصر المنار .

المرحلة الأولى : ١٨٩٨ — ١٩٠٨

فى خلال هذه المرحلة كانت أحاديث المنار عن الدولة العثمانية حذرة ولكنها كانت من ناحية أخرى فيها حرص على بقاء الخلافة مع اصلاحها ، ولذلك هاجمت المنار ما أثير حول الخلافة العربية ودور المرجفين بها (م ٢) وفى عام ١٩٠١ (م ٤) أشار الى أن هناك منشورات توزع بمبايعة الخديو عباس بالخلافة واختلافه مع السلطان (ليون فهى وصالح بدرخان) والمعتقد أن فى ظل ذلك كانت كتابات الكواكبى . كما قدم فصلا استمر فترة طويلة تحت عنوان (قليل من الحقائق عن تركيا) م ٣ وجرت أحاديث كثيرة عن الترك والعرب كان رائدها دعوة الاتراك الى دعم الأواصر مع العرب وعدم احتقارهم ، كما تحدثت المنار عن مشروع سكة حديد الحجاز الذى قام به السلطان عبد الحميد (م ٦) وأفردت المنار فصولا ضافية عن الدولة العثمانية تحت عنوان (الدولة العلية) تحدثت فيها عن أركان الاصلاح وامتيازات الأجانب والتجارة بينها وبين أوربا واختلاف الأديان كما تحدث عن السلاطين العثمانيين سليم وسليمان القانونى وعبد الحميد (الأول) وعبد المجيد ومحمد الفاتح (م ٢ ، ٣) .

وخطأ المنار الكاتبين فى الحث على الالتجاء لدول أوربا والاعتماد عليها فى التزام الدولة العلية بالاصلاح على الوجه الذى تراه تلك الدول وقال انه غاية هذا الاتجاه هو تسليم البلاد لها وقال : اننا فندنا هذا القول

الفاسد من قبل وهو لمن يسمون أنفسهم بالأتراك الأحرار وقال : ان الاصلاح لا يكون بتقليد أوربا فى جميع الشئون وهو ضلال اى ضلال .

وتحدث السيد رشيد رضا عن (تعضيد أوربا على الدولة العلية) م ١٠ .

وقال : ان أسوأ مظاهر حبها وطمعها وبغضها ما كان فى السنين الأخيرة من أرمينيا وكريد ولقد عادت هذه السياسة السوأى من أوربا بالضرر على النصارى والمسلمين معا ، فكان ذلك فضيحة لدعواها حماية النصارى فى بلاد الدولة وتناول المنار أحاديث عديدة عن العروبة والاسلام ، والوحدة العربية والترك وأفاض فى الحديث عن مدينة العرب ودور العرب فى الحضارة الاسلامية ، ولابد أن هذه المقالات كانت تكتب كرد فعل لما كان يدور فى كواليس من أسماهم الأتراك الأحرار من تحقير للعرب وامتهان للاسلام ، ومحاولة الانفصال الفكرى عنهم وهى النزعة التى استطاعت أن تقضى على الدولة العثمانية والخلافة من بعد والتى كانت وراءها قوى الصهيونية والغرب وروسيا من أجل ما أسموه (القضاء على دولة الرجل المريض) .

وقد أشار الى هذا المعنى فى مقدمة مقالاته (مدنية العرب) فقال : لم نخرج عن التوجيه والتأليف بين العناصر كلها وانما أشرنا الى بعض نزعات التعصب الجنسي عند الترك ولا شيء يقربنا من اخواننا الأتراك ويجعل لنا قيمة فى نفوسهم الا الاعتقاد بأننا شعب يفهم ويشعر فيسر بالكرامة ويتألم من الاهانة ولا نعنى بالوحدة العربية أن ينفصل العرب عن سائر المسلمين أو عن الترك بل نعنى بأن كل شعب يمهد فى ترقية نفسه ملاحظا أن فى ترقيته ترقيا لسائر الشعوب التى تتكون منها الأمة .

وقد أوردت فصول مدنية العرب كتابات عن أثر المسلمين فى الحضارة العالمية كالطب والفلك وغيرهما .

وقد عنى السيد رشيد رضا بدعوة الشعب التركى لتجديد حكومة الخلافة الاسلامية بقصد الجمع بين هداية الدين والحضارة لخدمة الانسان لا لتأسيس عصبة اسلامية تهدد الدول الغربية وذلك بانهاض الشعب التركي من كبوته التي قضت على السلطة العثمانية وتوثيق عري الاخاء

بين الدولتين الأفغانية والايرانية والدعوة الى شد أواصر الاخاء مع الأمة العربية والتعاون معها على احياء المدنية الاسلامية وتجديد حكومة الخلافة على القواعد المقررة فى الكتب الكلامية والفقهية (م ٤) .

المرحلة الثانية : (١٩٠٨ — ١٩١٨)

الاتحاديون والجمعية الطورانية

فى مستهل هذه المرحلة كان حادث عزل السلطان عبد الحميد ، ومن ثم بدأ المنار موقفا جديدا من الدولة العثمانية بدأه على هذا النحو (م ١١) .

[أعظم أحداث هذا العام هو اعلان الدستور العثمانى]

وتحفل المنار بفصول ضافية حول هذا المعنى وقد كشف السيد رشيد عن أنه كان مع الاتحاديين أو من الاتحاديين ومعهم طوال هذه الفترة وبدأ الهجوم على السلطان فى صراحة وعنف واعلان الاعجاب بالاتحاديين فى حماسة وكشف كثيرا من الصفحات عن سياسة السلطان مما كان يجمعه ويحققه فى الفترة الماضية حرصا على أن لا يحجب المنار عن أهل الشام كما سافر الشيخ رشيد الى سوريا بعد أن حيل بينه وبين ذلك أحد عشر عاما ، وكانت له خطب ومحاضرات فى مختلف البلاد .

وبدأت المنار تنشر فصولا عن الانقلاب العثمانى وتركيا الفتاة (محمد روحى الخالدى) بدأت م ١١ (ج ١٠) ص ٧٤٢ واستمرت وهى جديرة بالبحث والمراجعة فى شأن التأريخ لهذه المرحلة من وجهة نظر شامية من أولياء الاتحاديين .

وكتب رشيد رضا يقول : حدث ١٣٢٦ هـ الانقلاب العثمانى الذى كنا نسعى اليه فى الخفاء ثم خلع السلطان عبد الحميد الذى كان مانعا بلاده من كل علم وعمل نافع يجب على المسلمين القيام به مجتمعين وقد سعيت الى تحسين التفاهم بين العنصرين القوميين لهذه الدولة وهم العرب والترك اللذان سميتهما العنصرين المكونين للماء أو الهواء .

وقد أشارت المنار الى أن السلطان عبد الحميد تولى فى شعبان ١٢٩٣ هـ وأن السنة الثالثة والثلاثين (١٩٠٨) كانت خاتمة حكم السلطان نفسه وبقبضه عن زمام السلطة بيده فان اعلان الدستور حول

الحكم ولى الوزارة ومجلس الأمة ، وقد استمر السلطان بعد أن تولى الاتحاديون الحكم حتى عزل فى مايو ١٩٠٩ حيث صدر المنار .

(٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٧ هـ — ١٩ مايو ١٩٠٥ م) مجلد ١٢ تحت هذا العنوان : ((**احدى الكبر وكبرى العبر**)) : خلع عبد الحميد خان ، نفيه من دار السعادة ، وضعه تحت المراقبة العسكرية ، ضبط أمواله وذخائره وعقاره ، اباحة يلدز للأمة ، تولية مولانا السلطان محمد الخامس .

وقد سافر السيد رشيد رضا الى الأستانة للاتصال بحكومة الاتحاديين وأمضى هناك عاما كاملا للسعى فى شأن الوحدة بين العرب والترك وحماية اللغة العربية ولكنه أحس بأنهم يراوغونه وعاد دون أن تحقق مساعيه أى تقدم يذكر ، وكشف فى (المجلد ١٤) عن مفاهيم جمعية الاتحاد والترقى وموقفهم من الاسلام غير انه ابان الحملة التى شنها السيد رشيد رضا وشنتها صحف المقطم والهلال وغيرها على السلطان بمناسبة عزله كانت هناك كلمة تقال فى جزء آخر من العالم الاسلامى تختلف عن هذه النغمة ، فقد نشرت جريدة وطن التى تصدر فى لاهور (الهند الاسلامية) بقلم مولوى محمد عن الانقلاب العثمانى فصلا ضافيا تحت عنوان (الانقلاب المشئوم فى الدولة العلية) قالت : نبأ عزل السلطان عبد الحميد الثانى عن عرش الخلافة والسلطنة العثمانية بقرار مجلس الأمة اجماعا على عزله . هل انعزل جلالته من عند نفسه أو عزلته جمعية الاتحاد والترقى التى كانت عند أول ظهوره فى بدء احياء الدستور العثمانى أخيرا مظهرة عزمها على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء لكون أعضائها من الناقمين من جلالته أو الخائفين من ذاته على الدستور .

ان الملاينة والانقياد لم تجد جلالته نفعا وصارت الجمعية تلعب وتلهو به كما تلعب الهرة بالفأرة التى تريد افتراسها وقد أخذت الجمعية تمهد لعزله فأبعدت عساكر الآستانة وأرسلتها الى الولايات ووضعت دار الخلافة تحت حماية العساكر الموالية للدستور التى جاءت بها من سلانيك وغيرها وطلب من جلالة السلطان أن يرضى بوضع فيلق الحرس الهمايونى تحت امرة نظارة الحربية . ان جمعية الاتحاد والترقى كانت لا تزال تعتمد على الجيش فى حفظ الدستور ولذلك لم تكن تسمح بابعاد العساكر الموالين للدستور

الى الولايات . وترى المبعوثين او حزب تركيا الفتاة تائهين فى تيه الضلالة وناسين واجبات صلاح الدولة والمملكة باسراعهم فى عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة وعدم تبصرهم فى غوائل الأمور .

ولى عبد الحميد الملك والسلطة فى أسوأ الحال من الافلاس وعدم قوة الحربية وخلل النظام الداخلى وهجمات الأعداء الخارجية وكانت الأمة جاهلة عارية من العلوم منقسمة على نفسها أى انقسام ، أدى ذلك الانقسام الى ضعفها واضمحلالها الى حد حكم العالم بموتها فشمر عن ساق الجد وقوى مركزها بين الدولل وأصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتبارا ماليا فى أسواق أوربا ودرب الجيش على قواعد الحرب الحديثة وأكمل تسليحه بأحدث الآلات حتى صار الجيش نفسه القلعة بعد أن كان ...

ثم سعى فى انتشار التعليم والعلوم الحديثة فى البلاد واقتلع صدأ الجهل عن مرارة قلوب العباد ، قضى ثلاثا وثلاثين سنة يجتهد وراء سعادة الأمة والملة وعمل من أجل رفاة البلاد والسلطة فعمر الطرق وبنى السكك الحديدية واجرى الترع والقنوات وأخصب المفاوز والقفار وأوصل الأقطار بالأقطار وحفظ السلطة من الضياع أمام الأعداء الأشداء ففاز فى كل المواقع السياسية المشهورة بهمته الشماء غير مضيع نفسه ومضيع مركزه . وكان فى كل زمان عاملا نشيطا وسلطان صارخا لا يعرف الملل ولا يعتريه الكلل . يعمل ثمان عشر ساعة فى كل يوم ، ويشتغل فى مهام السلطة كأدنى خادم للملك والملة .

(اقرأ المقال بكامله فى المنار م ١٢ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ وما بعده) .

● بل ان الصحف الأوربية المعادية للمسلمين لم تعدم أن تتحدث عن شخصية عبد الحميد ، قالت جريدة ابزرور تحت عنوان خلع السلطان عبد الحميد : ان خلعه قد ذهب عن مرسح العالم السياسى بسخط مفرد كان له نفوذ عظيم فى تكييف التاريخ الأوربى منذ ثلاثين سنة وقبض فى راحتيه على مفاتيح الأسرار الدولية فى الغرب ، وكان احساسه نقل حجارة الشطرنج على رقعة السياسة الأوربية موضع اعجاب ساسة المسيحيين وحسدهم ويأسهم ، وكان حسن تبصره فى مشاكل الشرق الأدنى هو الباعث الوحيد على انقاذ تركيا من الوقوع فى أيدى جاراتها القوية الطامعة »

اذ لا يخفى أن الدولة العثمانية انما فقدت بلغاريا والبوسنة والهرسك على عهد الحكومة الدستورية وسيفتح التاريخ فصلا كبيرا خطرا لوصف حكم عبد الحميد العظيم الشأن ويعترف بأن الفضل فى سلامة المملكة من الفوضى وتحول الاتحاد الأوربى عليها عائد الى حنكته وحكمه ، فانه لم يسبق لملك سواه من المتقدميين أو المعاصرين أن لاقى ما لاقاه عبد الحميد من العقبات الشديدة داخلا وخارجا وهو معرض كل يوم للفتنة المريبة والبلاغات الواردة عليه من كل جانب ومع ذلك فانه كان ينجلى عنه بثمار تلك الحوادث ظافرا فائزا بفضل حكمه وحنكته وهو الآن قد ترك العرش فى ظروف مخربة .. ان خصومه وأعوانه قد اتفقوا على الاعتراف بمقدرته السياسية وقدرته على افساد مساعى الأعداء الذين أحاطوا به من كل جانب وحبه الذى لا ينكر للاسلام وجمع ما له علاقة به وانما المستقبل وحده يستطيع أن يحكم الحكم البات فى شخصه وأعماله يبنى عليه أو يقضى بعد .. الذين دسوا الدسائس لخلعه ، على أن الدور الأخير من حياته جاء موافقا لما علمناه من حياته الشريفة فانه منع سفك الدماء ، ووعد أن لا يهجر يلدز ورضى بالخلع المقدر له من أمد ، ولم يطلب من القوم الا أن يسمحوا له أن يقضى بقية حياته مع أولاده فى القصر الذى ولد فيه على أنهم لم يجيبوا طلبه بل نقلوه الى مدينة بعيدة سجينا فى بلاده ومع ذلك فقد تصرف بأنفته المعهودة وصبره المعروف الذى يليق أن يفاخر به .

كذلك فقد كتبت جريدة وطن الهندية ردا آخر على المنار (ص ٤٥٠ م ١٢) وكان محمد روحى الخالدى قد نشر فصولا تحت عنوان الانقلاب العثمانى ، كما نشر سليمان البستانى كتاب الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده وجميل معلوف عن تركيا الحديثة وكلها تناولت الحملة على السلطان الذى وصفته بأنه تآمر على حكومة مدحت الأولى وتحدثوا عن السجون والاغراق فى لجج البسفور وجواسيس السلطان ، وكلها شبهات تكشفت فى السنوات الأخيرة بعد أن وضحت الحقائق ولم تكن على هذه الصورة العنيفة التى أراد بها النفوذ الأجنبى تبرير خلع السلطان مع اخفاء الغاية الحقيقية وهى تمكين الصهيونية من فلسطين ، والمعروف أن من يسمون الأحرار أتباع مدحت وجماعة تركيا الفتاة والاتحاد والترقى كانوا

قد وقعوا تحت تأثير جحافل الماسونية وحملوا لواء الحقد على السلطان وخفى عنهم الجوانب القوية فى شخصيته وخاصة موقفه من المؤامرة الصهيونية التى حاولت اغراءه بالمال ثم انتقمت منه لموقفه الحاسم .

● وقد استرجع السيد رشيد رضا الدور الذى قام به عبد الرحمن الكواكبى حين جاء مصر فى وقت كان الخلاف قائما بين الخديو والسلطان وارتاح الانجليز الى مطالبته بالخلافة العربية وكتب هو عن حسن نية فى جريدة المؤيد تلك الفصول عن الاستبداد يريد بها السلطان عبد الحميد بدون انعام النظر السياسى وهم عن خبث طوية لأن تقهقر الدولة لم يكن قاصرا عليها فقط بل كان ماسا بمصالحها (وهذه عبارة السيد رشيد رضا فى بحثه عن الخلافة الاسلامية والجامعة العثمانية م ١٣) ويقول وقد ألف كتابه (أم القرى) ولو أنعم نظره السياسى لراى الضرر الذى يلحق العالم الاسلامى بوجه عام والشرق الأدنى بوجه خاص من جراء هذا المسمى ، ولم يقتصر الانجليز عند حد استغواء هذا العالم من الذين لا يلمون كثيرا بالاعتبارات السياسية والظروف المصوبة .. » .

— ٢ —

فى عام ١٩٠٨ — ١٩٠٩ (م ١١ من المنار) لم تكن الأمور قد تكشفت بعد عزل السلطان عبد الحميد ، ولم تسفر جمعية الاتحاد والترقى عن غاياتها الحقيقة ولذلك فان العرب خاصة وخاصة أعلام الشام كانوا مؤيدين لها (الشيخ رشيد رضا ، عبد الرزاق البيطار ، جمال الدين القاسمى) وفى هذه الفترة كانت وجهة السيد رشيد رضا هادفة الى الوحدة والوئام بين عنصرى الدولة العثمانية .

فيقول : [ان ابعاد العرب عن الترك مفسدة من آخر المفاسد واننا فى أشد الحاجة الى الاتحاد بالترك والاخلاص لها لأن مصلحتنا ومصلحتهم فى ذلك] .

ويقول : يجب على العرب أن لا ينسوا فى اتحادهم بالترك أنفسهم ويتكلوا على غيرهم بل يجب عليهم مباراة اخوانهم فى التربية التى يقتضيها حال العصر وتحصيل العلوم والفنون التي عليها مدار العمران ليكونوا

يدا واحدة فى احياء الدولة وليقدروا على ترقية شأن بلادهم واستخراج خيراتها العظيمة ثم ليكونوا أهلا لادارتها بأنفسهم .

ويقول : الدعوة أن تكون كل ولاية من ولايات الدولة مستقلة عن ادارتها الداخلية ويعبر عن ذلك بعدم المركزية لابد من استقلال كل جنس بنفسه ، أن نبنى حاضرنا ومستقبلنا على الاخلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر العثمانية ما دامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصة لها ، وأن نكون الآن من أشد الأعوان لجمعية الاتحاد والترقى على بث روح الدستور فى جميع الطبقات ورقباء على الحكومة فى سيرها وأعمالها . والدعوة الى الأخذ بالعلوم الرياضية والطبيعية التى هى حياة الأمة فى هذا العصر واصلاح طرق التعليم بانشاء المدارس الأهلية والجمع بين الاسلام تربية وتعلما وبين تحصيل العلوم العصرية الكثيرة التى تقوى بها الأمة وتعتز الدولة . وقد كان العلماء السابقون يذمون العلوم الطبيعية وينهون عنها ويقصدون النظريات اليونانية فى الالهيات التى تخالف أصول الدين » .

هكذا كان يكتب رشيد رضا فى أول أمر الاتحاديين بنية المصلح المخلص المؤمن بأن هؤلاء القوم يريدون اصلاحا يترابط فيه عنصرى الأمة على رفع شأن الاسلام ولكن الأيام كشفت حقيقة الاتحاديين فكان رشيد رضا أول من حمل عليهم وفضحهم فى العالم الاسلامى كله .

— ٣ —

فهو لا يلبث أن يتحدث عن الاتحاد والترقى (المنار م ١٤ سنة ١٩١١) يقول : اشتهر أن الانقلاب العثمانى كان بتدبير جمعية الاتحاد والترقى فى سلانيك ومناستر وعرف الخاص والعام أن الانقلاب كان من عمل الجيش وبهذا علا مقام كل ضابط عثمانى ورفع اسم (انيازى ، أنور) على كل اسم ولكن خفى اسم (صادق) وهو أجدر بالظهور فهو رب الدستور وحاميه وقد رفعت الأمم اسم الاتحاد والترقى بعمل صادق بك الخفى واخلاصه العظيم وكان أنور ونيازى سيفين من سيوفه (كتاب خاطرات نيازى) ولما وزعت المناصب طلعت للداخلية وجاويد للمالية وأحمد رضا رئاسة المجلس ، وتقدم اليهود فى نظارة المالية على غيرهم وأعلو كلمة الماسونية

والاسراف فى نشرها وتقديم المقدمين منها على غيرهم وجعل مقام الخلافة كالمجرد من كل سلطة ونفوذ . وجاهد صاحب جريدة (طنين) المحامى عن جمعية الاتحاد والترقى بقلمه المسموم حتى سمى (سفينه القوم) وأقمت فى الآستانة سنة كاملة وقفت فيها على غوامض سياستها ومخبئات صناديق أسرارها ، ان هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون ويجهرون فى نشرها وقد جعلوا رجال الحكومة من أعضائها كما ينشرونها فى ضباط الجيش وقد يكون هذا تمهيدا للفصل بين الدين والسياسة وتجريد السلطان من صفة (الخلافة الاسلامية) ومن لوازم تشيعهم للماسون قوة نفوذ اليهود فيهم وفى الدولة وذلك يفضى الى فوز الجمعية الصهيونية فى استعمار بلاد فلسطين التى يراد بها اعادة ملك اسرائيل الى وطنهم الأول والى ابتلاع أصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد .

ويقول : وقد جعل السيادة للشعب التركى والتوسل بقوة الدولة الى اضعاف اللغة العربية واماتتها فى المملكة وتتريك العرب من ابقائهم ضعفاء بالجهل والضغط ومنع الألبانيين والأكراد من تدوين لغتهم وجعلها لغة علمية وقفت الآستانة على هذا ورأينا أهل الرأى والعبرة يتوقعون الفتن ويخافون العواقب ولم أحب أن أشرح هذه الأمور وأبين ما فيها من الخطر بل سعيت الى الاصلاح ما استطعت فلم يغن نصحى لهم شيئا ولما عدت الى مصر أشرت بلطف الى ما يخشى من خطر اليهود والماسون فى هذه المملكة الاسلامية » .

وتوالت الكتابة بمزيد من الكشف عن دور الاتحاد والترقى مما ينفع الباحث اليوم بعد سبعين عاما فى معرفة ما يدور فى فلسطين وتركيا على السواء . ففى (المجلد ١٧ سنة ١٩١٤) مزيد من الكشف عن موقف الاتحاديين بعد الحرب البلقانية واشارة الى حزب اللامركزية فى مصر والمؤتمر العربى فى باريس ومحاولة التفاهم تحت اسم العثمانيين ، حيث يجرى الحديث عن حقوق العرب فى المملكة العثمانية والدعوة الى نظام اللامركزية واشارة الى أن الحكومة الاتحادية أضاعت بحمقها وغرورها وخبث طويتها جميع الممالك العثمانية الأوربية والأفريقية وأشار الى تفريط الاتحاديين بحقوق الدولة فى خليج فارس والعراق والطرف الشرقى من جزيرة

العرب والتزلف بذلك الى انجلترا ، وأشار الى الاتفاق بين تركيا الاتحادية والانجليز حيث تنازلت الدولة العلية عن جميع حقوقها في جزيرة قطر وفى الكويت وأشارت الى استيلاء الملك عبد العزيز على الاحساء والقطيف والقفير (عسير) .

ولم تمتنع المنار عن نشر ما سجلته جريدة دين ومعيشت التى تصدر فى روسيا (أورنبورغ) عن موقف البلاد الاسلامية من السلطان عبد الحميد حيث قالت الجريدة :

انهزم العثمانيون لأنهم استوجبوا غضب الله تعالى فلم ينصرهم وذلك أنهم خلعوا سلطانهم الذي خدمهم ٣٣ سنة خدمة جليلة وانهم لم يعرفوا قدره بل عزلوه عن منصبه وأسقطوه عن عرشه ومزقوه من تاجه فان الله حرمهم من الأراضى والأودية كلها وتركهم أذلاء فى العالم ، كان فى مقدمة هؤلاء الناس الذين بغوا على السلطان عبد الحميد أنور بك ونيازى بك اللذان هما قدم شؤم أحدهما قدم بلاد الأرناؤوط فذهبت تلك البلاد ، وثانيهما قدم طرابلس الغرب فذهبت الى الطليان .

وأشار المنار الى دور الاتحاد والترقى فى انعاش الماسونية وأن الماسونية راجت بسعيهم وانهم أسسوا لها (شرقا عثمانيا) رئيسه طلعت بك ، وقال ان فى رواج الماسونية فى رجال هذه الدولة الإسلامية من الخطر ما فيه وقد ترجمت مجلة (دين ومعيشت) الروسية ما كتبه المنار وزادت عليه أن أركان الدولة والقائمين بأعمالها جميعا من الخفير الى السلطان ماسونيون وجعلت الماسونية فى رجال الدولة مفضية الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسونية (وهذا ما حدث بالدور الذى قام به مصطفى كمال من بعد) وقال السيد رشيد رضا : أرجو أن يكون رجال الاتحاد والترقى قد اعتقدوا أن دولة عريقة فى الاسلام وارثة لمقام الخلافة الاسلامية لا يمكن أن تدور رحاها على قطب الماسونية وان العناصر العثمانية لا يمكن ادغامها فى العنصر التركى وانما من المملكة هو ائتلافها معه باقامة الدستور (صادق ، طاهر ، رحمى ، ناظم ، طلعت ، جاويد) وجاهد أشدهم عنفا .

وأفرد السيد رشيد بحثـــا تحت عنوان اليهود فى المملكة العثمانية ، قال فيه : خبرنا الآســـتانة باقامتنا فيها سنة كاملة فرأينا أن نفوذ اليهـــود فى جمعية الاتحاد والترقى عظيم وأن ناظر المالية اسرائيلى النسب وأنه جعل كاتب سره وكثيرا من موظفى نظارته من اليهود فعلمنا انه سيكون لليهود شأن فى هذه المملكة وآمالهم فى القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم الماليـــة فى المكان بعظم نفوذهم فيه غير مجهولة . وجاءت أنباء مجلس الأمة العثمانية مصدقة لما قلناه فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطبا نبهوا فيها على خطر جمعية اليهود الصهيونية على المملكة العثمانية.

— ٤ —

الجمعيـــة الطورانيـــة

وتحدث المنار (المجلد ١٩) عن الجمعيـــة الطورانية ثمرة الاتحاد والترقى فقال : بدت طلائع الطورانية الحديثـــة فى الآستانة عام ١٩١٣ ثم أخذت تمتـــد وتزداد جلاء حتى أصبحت نهضـــة عامة فى جميع أنحاء السلطنة العثمانية وخلاصة ما يعرف عن هذه النهضة أنها تركية محضة غرضها الأصلى الانفصال عن الاسلام ولها اغراض عديدة :

١ — جعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام .

٢ — ترقية الروح العسكرى فى الأتراك .

٣ — انشـــاء علاقات تجارية وغـــيرها مع مسلمى أزربيجان وروســـيا الآسيوية وروسيا الجنوبية .

٤ — تطهير اللغة التركية من كل ما هو عربى أو فارسى .

٥ — محو الجنسية العربية وادماجها فى الجنسيات الأخرى .

ويرمى القائمون بهذه الحركة الى جعل التركى يعتقد أنه تركى قبـــل كل شىء ومسلم بعد ذلك وتربية الأجيال الحاضرة والمستقبلة على الروح الطورانى بانشاء مدارس طورانية والتوسع فى تعليم التاريخ باللغة التركية وانشـــاء فرق كشـــافة من الأولاد الأتراك تحت اشراف أنور باشـــا ، واشارات الفرقة ورواياتها مأخوذة من رموز ترجع الى ما قبل الاســـلام والأولاد الذين لهم أســـماء عربية يستبدل أسماؤهم بأسماء تركية بحتـــة

(مع العودة الى كتاب المسيو ليون كاهون عن تاريخ الترك والمغول منذ أقدم الأزمنة الى ١٤٠٥ للميلاد) وقد توجت الأكاديمية الفرنسوية هذا الكتاب واتفق أن ناظم بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقى العام قرأ هذا الكتاب فوضع أساسات النهضة الطورانية التى نحن بصددها ، واعتقادهم صحة النظرية التى ابتدعها (فمبرى) وهى أن الاسلام يناقض فكرة الجنسية فالاتحاديون يقولون : ان الاسلام بالاتحاد مع العوامل العربية والفارسية والرومية والبيزنطية قد جعل الأتراك (مسلمين ليفانتين) وحال دون نشوء حضارتهم ، ان هذه الدعوى على عكس الحقيقة تماما فان الأتراك الذين جاءوا أصلا من حدود الصين انتشروا فى مجاهل آسيا حتى ضفاف (الأوكسوس) لم يكن لهم دين معروف أو حضارة راقية لأنهم كانوا قبائل رحل يؤجرون سيوفهم لكل من يطلب معونتهم ولم يحاول أحد قواد الأتراك أن يخضع جميع القبائل التركية . نعم ان جينكيز خان كان يحلم بنشر سلطانه عليها ولكنه لم يفصل وكل ما لدى الأتراك من حضارة فهى بفضل الاسلام اذ لم يكن للأتراك حضارة خاصة بهم ، ولما كان التركى مشهورا بروح الخضوع العسكرى لمن يقوده فقد جعل نفسه سيفا فى قبضة الاسلام ، ان العنصر الطورانى لم يشتهر بشىء من قوة الابتداع وما تاريخه الا تاريخ تدمير ، ومما يدل على أن العقل التركى ليس عقلا مستنبطا انه لم يأت بمستحدث فى الاسلام بل هو اتخذ الاسلام ودان به كما هو ، ومما تسعى اليه النهضة الطورانية الحديثة انشاء امبراطورية حربية واسعة الأرجاء تضم تحت الويتها جميع قبائل التتر والمغول الخاضعة لروسيا او لأى دولة أخرى أما الجنسية العربية فيجب ابادتها وادماجها فى الجنسية التركية لذلك تراهم يسعون لتتريك العناصر العربية بحسب الأساليب البروسية ، قال جلال نورى فى كتاب الفه : ان بلاد العرب لاسيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التى يجب أن تكون لغة الدين .

وعرض السيد رشيد رضا لموضوع (الاسلام والجامعة الطورانية) وكيف يسعى الاتحاديون للاشاة الحضارة الاسلامية فقال : أقمت فى الآستانة سنة كاملة اختبرت فيها الاتحاديين اختبارا تاما لا أزال أرى

فى كل سـنة من الآيات ما يؤيده ويقنعنى بأنى قد استبقت الى ادراك ما لم يدركه كله العثمانيون ولا الأجانب ، ولو كنت ممن يبيع دينه وقومه بالمال والجاه لأمكننى أن أنال فى الآستانة من الاتحاديين أنفسهم ما لا مطمح لعربى من نيل مثله فقد منانى الاتحاديون أعظم الأمانى لانهم كانوا يظنون انى ما دافعت عنهم ورددت على من سبق الى رميهم بالكفر والالحاد وافساد هذه الدولة الا لأن اسلامى سياسى يدور مع المنفعة أنى دارت .

لقد حملت على الاتحاديين بعد عودتى من الآستانة حملات منكرة لم يحمل عليهم أحد بمثلها من الشدة ، كما تعلمون اننى لم أكتب شيئا ينافى مصلحة الدولة العثمانية نفسها ولا شيئا ينافى الاخاء الدينى بين العرب والترك فأنا لم أعاد الدولة ولا الترك ببيان فضائح الاتحاديين ، والذين كانوا يعرفون مقاصد الاتحاديين الالحادية من العرب قليلين جدا ولعلهم لم يكثروا الا بعد أن رأى من رأى خواص العرب فى سوريا مصلوبين فى أعظم مدنها عمرانا وسمع من سمع بأخبارهم ثم بما كان من أمرهم مع الشريف الأكبر أمير مكة المكرمة .

وأشار الى كتاب للاتحاديين تحت عنوان (قوم جديد) وكتاب اتحاد رصلام فقال : انه وسع الحديث عن الحركة الطورانية الحديثة وكشف عن أن غرضها هو هدم المدنية الاسلامية واحياء العصبية التركية على أنقاضها والجمع بين العناصر التركية التترية والشعوب المستملة اليها وفيها الأمة البلغارية ، والقائمون بها قوم مشهورون بعدائهم للاسلام وبغضهم عليه وكثيرا ما يجاهرون بأقوالهم وكتاباتهم بحجة أن الاسلام يسعى لقتل العصبية القومية وتحول دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم يسعون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال ولهم فى ذلك وجهان : تمجيد الشعوب الطورانية والقضاء علي العصبية العربية .

— ٥ —

وأورد (المنار) فى مجال الكشف عن الاتحاديين منشور شريف مكة واميرها الذى أعلن فيه الحرب على الدولة العثمانيـــة والانفصال عنهـــا (١٩١٦) حيث اشار المنشور الى فئة الاتحاديين ووصفهم بالباغين وقال انها هى التى جنت على الدين والدولة والأمة فانحرفت عن صراط الشريعة وأبطلت بعض أركان الاسلام وغيرت أحكام القرآن وحجزت على السلطان حتى منعته من التصرف لشـــئون خاصته وقصره ، ونكلت بالأمة فلم ترع حقوق الاسلام ولا عهود الذمة وخصت العرب بالاضطهاد فصلبت فى الشام كثيرا من أهل العلم والرأى والفضل واستحلت مصادرة الأموال واخراج النساء المخدرات والأطفال من ديارهم وأموالهم ونفتهم الى بلاد الأناضول من غير ذنب وبغير قيم شرعى ، ثم ذكر تقحمهم بالدولة فى هـــذه الحرب وتعريضهم اياها للخطر وما جنـــوه على البلاد . ثم بين أن بلاد الحجـــاز اضطرت بسبب تلك الجرائم والمفاســـد العامة التى اجترمها الاتحاديون الى اعلان استقلالها بنفسها دونهم حرصا على دينها وعلى جنسيتها العربية لأن الاتحاديين يتعمدون افساد هذا الدين ومحو هذه الأمة العربية من لوح الوجود وحسبنا برهانا على ما تكنه صدورهم نحو العـــرب والدين رميهم البيت العتيق بقنبلتين من قنابل مدافعهم أثنـــاء قيـــام البـــلاد بالمطالبة باستقلالها ... » .

وواصل السيد رشـــيد رضا فى المجلد ١٩ تطورات الأمور بالنسبة لحزب الاتحاد والترقى فأشار الى ما ينشره حزب تركيا الفتاة الذين تعتمد عليهم جمعيـــة الاتحاد والترقى فى تحويل الترك عن الاســـلام والتشكيك فى عقائده وشريعته والتشويه لآدابه وفضائله والمحو لعصبيته من القلوب واستبدال صبغة جنسية طورانية بها .

وقال ان الشريف حسين وجريدة القبلة التى يصدرها محب الدين الخطيب فى الحجاز تعتقد أن الاتحاديين ملاحدة ويكيدون للدين الاسلامى على ما لهم فيه من المنافع السياسية والمالية ، وانهم اشد الناس عداوة للعرب ، وأشار الى سوء نية الاتحاديين وخبث ما أضمروه للعرب وما فعله

جمال باشا فى ســوريا وانهم كانوا يتأولون للاتحاديين ويرجون صلاحهم ولكن تبين لهم أن بغضهم للعرب أشــد من بغضهم للروم والأرمن لسببين أحدهما أنهم أعظم أركان الاسلام وأنصاره ، وثانيهما أنهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها عــددا وانهم يهدفون الى ابادة الشعب العربى الناصر للاســلام وتتريك بلاده الخصبة واذلال أهــل الجزيرة العربية الأشــداء باضعافهم ونزع الســلاح منهم وان ملاحدة الاتحاديين أسرعوا فى تنفيــذ خطتهم باذلال العرب التى هى مقدمة لاذلال الاســلام .

— ٦ —

ويتساءل المنار فى احدى فصوله : هل كانت جماعة الاتحاد والترقى خيرا من أولئك السلاطين العظام ؟ ويجيب : كلا . ان زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على أمرها هم أوشاب من الملاحدة المارقين قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد يهود سلانيك وشركاتهم فى النمسا والمانيــا حيث يوجد أقوى أنصارهم ولذلك نرى هممهم جمع المال فلا هم على دين هذه الدولة فيغاروا عليه بل هم يقاومونه ويهدمونه ، ولا هم من أصل راسخ فيها فيكونوا أحرص على حياتها من أبناء سلاطينها وأساطينها فاذا نظرنا الى أعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى أنهم قد فعلوا فى الدولة من الافساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيهــا وقد ثبت أنهم أخــذوا من مال الدولة لنظارة الحربية خمسين مليون جنيه ليجددوا قوتها العسكرية بعد ان كسرت ولاية البلغــار جيوش الدولة وكادت مدافعها بطلحة تمرق مسامع أهــل الآستانة والسبب كله ما عند الجيش العثمانى من المؤونة وقد خسرت الدولة فى عهدهم المشئوم من الممالك ما لم تخسر مثله فى عــدة أجيال . خسرت البوسنة والهرسك ببيع الجمعية اياهما للنمســا وطرابلس الغرب وبرقة ببيعهما اياهما لايطاليا ومكدونية وألبانيا وكريت وجزائر الأرخبيل أضاعوا نصف الدولة فى بضع سنين وحملوها فيها من أثقال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم فى بضعة قرون .

— ٧ —

وهكذا أوشك الستار أن يسدل على الاتحاديين بنهاية الحرب العالمية الأولى حيث يستعرض السيد رشيد رضا نتائج تجربته معهم بعد أن أمضى عاما كاملا فى الآستانة عمد فيه على محاورة زعمائهم ومذاكرة علمائهم ، وعاد وهو موقن أن هذه الجمعية (الاتحاد والترقى) ستقضى على هذه الدولة وان اضطهادها بسلطة الحكومة للعرب سيعيد اليهم عصبيتهم الجنسية .

وأشار الى علاقة العرب بالدولة العثمانية فى عهد الاتحاديين فقال : « لم يكن لهذه الدولة هذه القيمة الا بكون بلاد العرب التى هى مهد الاسلام وموطن نشأته جزءا طبيعيا فيها ولكن الاتحاديين المستكبرين احتقروا العرب وبلادهم ودينهم ولم يرقبوا فيهم الا ولا ذمة ولا دينا ولا حرمة فاضطهدوهم وأذلوهم وحاولوا ابطال لغتهم التى هى لغة كتاب الله ودينه استغناء عنها ومحاولة لنسخها باللغة التى جعلوها لغة (حاكميهم الملية) وجعل بلادهم الحصينة كسوريا والعراق وتركيا محصنة وجزيرتهم مستعمرة للترك يتصرفون فيها تصرف المالك فى عقاره والسيد فى عبيده وامائه .

وأشار الى هزيمتهم فى حرب البلقان حيث انكسرت الدولة العثمانية حتى كادت دولة البلغار الجديدة أن تأخذ القسطنطينية منها وتحدث عن قضائهم على الزهراوى وعبد الكريم الخليل وأشار الى أحمد جمال باشا الذى عرف بسفك الدماء والذى خادع أهل البلاد وباظهار الميل الى العرب خدعة وانهم هم الذين أيأسوا الأمة العربية من الدولة العثمانية واضطروها الى اعلان الثورة فى البلاد الحجازية فكانت من أسباب تقليص ظلها عن رءوسهم وزوال سلطانهم من بلادهم .

المرحلة الثالثة (١٩١٩ — الى نهاية المنار)

أتاتورك واسقاط الخلافة

— ١ —

كانت قضية الخلافة الاسلامية بين مرحلة فصلها عن السلطة ومرحلة اسقاطها هى أهم ما عنى به المنار (فى مجلديه ٢٣ ، ٢٤) فقد استهل مصطفى كمال الموقف باسقاط الدولة العثمانية ، وفصل السلطة عن الخلافة وتكشف بعد مؤتمر لوزان ما وصفه السيد رشيد رضا بأن العالم المسيحى تظاهر على تأليف أوطان خاصة للأقليات المسيحية فى الوطن التركى الصغير : الأرمن والروم والأشوريين والكلدانيين كلهم مسيحيون يجب أن تكون لهم أوطان فى قلب البلاد الاسلامية ولا سيما الدولة التركية ، وقد اضطر الترك الى الصلح لأن شعوب أوربا حاربتهم أربع سنوات فأنهكتهم الحرب وأنهت ثرواتهم العظيمة » .

ومنذ اليوم الأول أخذت المنار تنشر فصولا ودراسات منوعة حول الخلافة والأحكام الشرعية الخاصة بها وكان أبرز الاتجاهات فى هذه الفترة :

أولا : اهتمام الأتراك بنشر دراسات عن الخلافة انتفعوا فيها بدراسات المستشرقين وخاصة اليهود منهم التى ترمى الى القول بأن الخلافة ليست من الاسلام ، وأن الاسلام ليس الا دين عبادى ، وذلك على النحو الذى ترجمه على عبد الرازق وأصدره باسمه من كتابات المستشرق اليهودى مرجليوت .

ثانيا : موقف مسلمى الهند وجهادهم فى سبيل الخلافة الاسلامية وتحرير الجزيرة العربية حيث أخذت جمعية الخلافة الاسلامية بزعامة الشيخ سليمان الندوى تحرض المسلمين على النهوض للوقوف فى وجه حركة الكماليين وقد أشار فى رسالة أرسل بها الى المنار (م ٦١٩/٢٤) الى الحركة التى قام بها المسلمون فى الهند والمطالب التى نهضوا بها أمام حكومتهم البريطانية ومساعيهم التى بذلوها فى سبيل الخلافة العثمانية والدفاع عن كرامة الجزيرة العربية وكشفهم عن موقف الاتحاديين فى استغلال الأمم والخروج من ربقة الدين والانحياز الى الجنسية

والعنصرية لاضعاف كلمة الاسلام وتوهين جامعـة المسلمين ، وقد دعا المسلمون فى الهند الى التناصر والتآخى والدفاع عن حوزة مركز الاسـلام وهى الخلافة العثمانية وكيف سارعت بريطانيا تعلن انها لن تمس عواطفهم او حياتهم الدينية أو البقاع المقدسة الاسلامية التى ستبقى محفوظة خلال الحرب وآمنة من الحملات وأن للمسلمين وحدهم أن يخوضـوا فى شـأن الخـلافة » .

ومن ناحية أخرى أعلن عصمت باشا قيـام الدولة التركية بدلا من الامبراطورية العثمانية واستقلال البـلاد العربية وذكر منهـا الحجاز ، وأعلن أن الملك حسين رئيس الأمة العربية وأكبر زعمائهـا وقال المنـار أن فى تنصيب الملك فيصل بن الحسين على العراق والأمير عبد الله على شرق الأردن ما يضمن للدولة البريطانية استعمار فلسطين والعراق بدون نفقـة كبيرة ، كما قامت الخلافة المستقلة عن السلطة (وحيد الدين) وعبد المجيد بعده مقدمة لالغاء الخلافة عامة .

ولم يتوقف المنار عن مهاجمـة جريدة طنين التركية فى شأن اللغـة العربية بوصفها لغة الاسلام ، وكانت الصحيفة قد تلقت رسالة من مسلمين فى طشقند وأفغانستان ومصر والجزائر وبمباى وبكين يحثون فيها المسلمين على استعمال لغـة واحدة فى العلاقات بينهم اسـوة بالقاعدة المتبعـة فى استعمال اللغة الفرنسية فى المسائل السياسية وصرح هؤلاء أن اللغـة التركية تتوفر فيها الصفات الضرورية لهذا الأمر على كونها لغة أكبر دولة اسلامية .

وكشف رشيد رضا أن هذا الاقتراح مصنوع وأن صناعته غير متقنة وأن لغة تركيا التى يرى الآن سلخها من اللغة العربية وتطهيرها من لغـة القرآن لا يمكن أن تصلح لهذا الغرض مع وجود اللغة العربية » .

كذلك فقد نشرت المنار كتاب العـلامة أبو الكلام ازاد عن الخلافة الاسلامية (م ٢٣/٤٥) .

— ٢ —

ولم تلبث الأحـــداث أن تواصلت ووقع الحادث الجلل : **اســـقاط الخلافة الاسلامية** وعرضه المنـــار فى اهتمام بالغ تحت عنوان : الانقلاب الدينى والسياسى فى الجمهورية التركية : طرد الخليفة وعشيرته من البلاد التركية واستصفاء أموالهم والغاء نظارة الأمور الشرعية ووزارة الأوقاف والمدارس الدينية وفى فصـــل مطول قال السيد رشيد رضا : بدأ ساسة أوربا وأساتذتها ينفثون سم العصبيتين الدينية والجنسية فى الشـــعوب الأوربية المسيحية العثمانية كاليونان والعـــرب والرومان والبلغـــار حتى نهضوا بهم الى طلب استقلال بلادهم وساعدتهم الدول الأوربية على ذلك حتى نالوه ، ثم طفقوا ينفثون السم فى أرواح سائر الشعوب العثمانية عامة وعصبية الجنس واللغة فى شعب الترك خاصة لكراهة السلطنة العثمانية . ومضى الأحرار يسعون لاسقاط الدولة العثمانية ليبنوا على أنقاضها دولة تركية محضة يكرهون جميـــع أهلها على قبول الجنسية التركية وقد فتن المتفرنجون من الترك بتقليد الأوربيين فى نظم حكوماتهم وقوانينها . وعلم السلطان أن الجون ترك يكيدون له فلج فى مطاردتهم فى الداخل والخارج وشغلته هذه المسألة عن اصلاح الدولة والاسراف (ولا شك) ان عطف الدولة البريطانية على الجون ترك ومساعدتها لهم من دلائل استخدامها اياهم فى سياستها من حيث يشعرون أو لا يشعرون ذلك أن رجال جمعية الاتحاد والترقى ، ألفوا الكتب الطاعنة فى الاسلام الداعية الى استبدال الرابطة التورانية بالاسلام ولكنهم كانوا يخافون عاقبة تنفيذ مقاصدهم ، ولما اتجهوا الى الحلف الجرمانى فقدت الدولة سائر ما لها فى أوربا وأفريقيا وآسيا ، ومزقوا هذه الدولة بمعاهدة سيفر شر ممزق ، ومعاهدة لوزان التى تقرر فيها استقلال ما بقى للترك والغاء الامتيازات الأجنبيـــة ، وقام مصطفى كمال بالغاء الخلافة الزمنية أولا ثم الغاء الخلافة بعام » .

ثم تواصلت الأحداث التى تمثلت فى مواقف متعددة حيث جرى البحث عن الخلافة الاسلامية بمناسبة سقوطها والمحاولات التى قام بها الشريف حسن والملك فؤاد وظهور كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق وقيـــام الدولة الســـعودية فى الجزيرة العربية وتصدت المنـــار لكل ذلك

بقوة ودحضت شبهات على عبد الرازق وهاجمت محاولة الدولة الكمالية فى ترجمة القرآن ، وفى فصل مطول تحـدث السيد رشيد رضا عن موقف الكماليين من الاسـلام فقال :

كنا نعلم أن مصطفى كمال باشا يشـنأ الاسـلام ويمقته من قبـل أن يظهر ذلك ونعلم ان ملاحدة الترك الموافقين له فى السعى لتحويل الشعب التركى عن الاسلام بغضا فيه وفى العرب قوم الرسول صلى الله عليـه وسلم كثيرون وكنا نتمنى قبل تأليفه للجمهورية اللادينية لو يظل هو وأركان حزبه يظهـرون الاسـلام ويحافظون على اسـمه وشـعائره الظاهرة ولا يعلنون عداوته مراعاة للشعب التركى فأبوا الا أن يهدموا كل ما بقى للدولة فيه من مظهر وشعيرة ، وحكم وعمل وعلم ، وقد وضعوا فى قانون الجمهورية ان دين الدولة الرسمى هو الاسلام فلم نشك وقد رأينا ما رأينا من هدمهم للاسلام من الدولة ثم محاولة هدمه فى الأمة. ان هذا اللقب قد وضع تقية ، لئلا تكون لمفاجأة الأمة بترك دينها اسما ومعنى تأثير تخشى غائلته ، وقد صرح مصطفى كمال باشا نفسه أخيرا بعد أن صرح مرارا بأن التركى حر فى اختيار الدين الذى يعجبه وثنيا كان أو يهوديا أو نصرانيا ولعمرى انه ليس حرا فى أن يكون مسلما فانه يجبر اجبـارا على استباحة شرائع الاسلام من حلال وحرام ، وقال : لقد سمى الغاء الأحكام الشرعية توحيد للمحاكم وسمى منعـه للعلوم الاسلامية وابطالها توحيـد للتعليم التركى وسـمى تفضيله للقوانين الأوربية المسيحية الأسـاس كقانون سويسرة للأحكام الشخصية ايثارا للأحكام الحديثة ، وهناك رواية أنه يريد أن ينصر الشعب التركى ولكن يود ان يأخـذ ثمنا على ذلك من الدولة البريطانيـة وان من أشـهر الكتاب الذين كانوا يغشـون المسلمين بهؤلاء الملاحـدة عمر رضا المصرى الأصل المقيم فى الآستانة الذى كان يرسل جريدة الأخبار المصرية الاسلامية قبـل أن يصـل أمر الحكومة التركية الى هـذا الحد ، فلما نزح فى الخفاء استبدل جريدة السياسة المؤيدة لنزعة الترك الالحادية بجريدة الأخبار . وقد كتب الأمير شكيب أرسلان مقالات فى اظهار خفايا شنآن الحكومة التركية للاسلام والعرب نشرتها جريدة الأخبار فتولى الرد عليها عمر رضا هـذا وبعض أصحاب الجرائد التركية ثم شايعتهم جريدة

السياسة فى مصر ولم يرد له احد حجة ولا نقض له قضية ، وانما جادلوا وماروا بالباطل وزعموا انه ليس له حق فى الدفاع عن الاسلام لأنه من طائفة الدروز ، والأمير شكيب من أنبغ مريدى الأستاذ الامام الذين تلقوا عنه عقائد السنة السامية وحكمها العالية فى بيروت فكان بهذا من أنصار الاسلام والسنة لا من آحاد المسلمين (م ٢٨) .

وواصل السيد رشيد رضا كشف « حقائق عداوة ملاحدة الترك للاسلام » وعملهم على محو الاسلام من الشعب التركى وتأسيس دولة تركية محضة وجعل الولايات العربية مستعمرات لهذه الدولة وتتريك سائر العناصر العثمانية ومن يقدر على تتريكه من العرب وانهم اتخذوا سياسة المراحل فى القضاء على الاسلام فمهدوا لالغاء الخلافة بتنصيب خليفة روحانى لا عمل له وقال انهم فشلوا فى هذه الخطة لأن الشعب التركى يدين بالاسلام وهو ساخط على الحكومة لشعوره بأنها تهدم دينه الذى هو مناط أمله .

وتحدث عن خط هجوم الكماليين على الاسلام باستبدال الأحرف اللاتينية بالحروف العربية ووجوب محاربة هذا الخط على العالم الاسلامى فقال : لقد بات مقاومة هجوم الكماليين فرضا مقدسا على المسلمين ليستطيعوا الاحتفاظ بدينهم هم وذراريهم المستقلة فان أعداء الاسلام فى انقرة لم يجدوا أمامهم عملا الا استئجار الكتاب من أوربيين وشرقيين بأموالهم وأموال المفسدين لنشر الدعاية ضد الاسلام يدعون الى استبدال الأحرف اللاتينية بالعربية كما فعل ذلك لويس ماسينون فى باريس للقضاء على الأحرف العربية (م ٢٩) .

الفصل الثانى

الماسونية والصهيونية

كان السيد رشيد رضا من اليقظة والوعى بالتيارات العالمية والمؤامرات التى تجري حول عالم الاسلام فكان من ذلك استشفافه لأخطار الماسونية منذ وقت باكر ففى المجلد السادس (١٩٠٢) تحدث عن هذه الارهاصات فقال : رأى جمال الدين أن نحلة الماسونية تجر هذه البلاد الى أوربا بخيوط سياسية خفية ولكنها متينة قوية فهى كالخيوط التى يربط بها المشعوذ التماثيل التى يلعب بها من وراء ستار ، فيحسب الصبيان أنها هى التى تلعب بنفسها . وهكذا كانت مصر ألعوبة فى أيدى الأوربيين فأراد أن يربى رجالا يعرفون كيف يحفظون بلادهم وأنفسهم فوجه همته الى استخدام الماسونية فى تعليم تلاميذه ما لا يمكن التصريح به الا فى جمعية سرية فدخل فى الماسونية ودخل معه تلامذته التابعون فجعل بهم قوة للمصريين وصار رئيس مجتمعهم ، ولكنه كان غاليا فى مضادة الانجليز لما كان من زحفهم على بلاده ولما كان يعتقد من طمعهم فى مصر وقد صرح بذلك كتابة مقاوموه حتى اضطروه الى ترك الماسونية مع كبار حزبه ، ولم يكن للماسونية عمل فى مصر الا فى تلك الفترة ثم ان الماسونية صارت فى مصر آلة لبعض زعمائها فى جلب المنافع ثم كثر فيها الغوغاء حتى قل احترامها وانطلقت الألسنة بالطعن فيها وليس هذا مما يعنينا الآن .

وفى نفس المجلد تحدث عن الماسونية واليهود فقال : الماسونية جمعية سرية تكونت فى أوربا لمقاومة استبداد رؤساء الدنيا من الملوك والأمراء ورؤساء الدين من البابوات القسيسين الذين كانوا متضافرين على استعباد الناس وحرمانهم من نور العلم والحرية وقد اتفق على تكوينها اليهود والنصارى ولذلك جعلوا رموزها واشاراتها متفرعة من الكتاب المشترك الذى يسمى الكتاب المقدس وأسندوها الى بناة الهيكل المقدس : هيكل سليمان عليه السلام وهو المسجد الأقصى ، ثم ان الافرنج لما تغلغلوا فى الشرق ورأوا مزاج السيادة الاسلامية لا يقبل مشاركا له فى حكمه

فهو يجيش بانفعال جميع المسلمين لنبذ سلطة من يحاول السيادة عليهم استعانوا بالماسونية على اضعاف هذا المزاج وتوسلوا الى بعض كبراء المسلمين وأغنيائهم بما توسلوا واستعانوا عليهم بنصارى بلادهم فأدخلوا طائفة منهم وبقى أكثر المسلمين الى اليوم يعد الماسونية نزعة من نزعات الكفر أو وسيلة اليه الا أن الشعب المصرى سريع الانقياد الى التقليد ولذلك كثر الداخلون فى هذه الجمعية من اهله على أن أهله يتصلون بالأديان ويدعون عدم التعرض لها بحال ... »

ومضى السيد رشيد يوالى أمر الماسونية على صفحات المنار فتحدث (م٨) عن مؤلفات جديدة بدأت تظهر بالعربية منها تاريخ اليهود لشاهين مكاريوس ، والحقائق الأصلية فى تاريخ الماسونية العملية ذكر فيها أعمالها السياسية السرية التى كانت من أعظم أسباب الانقلاب السياسى فى أوربا (وتابعه بعد ذلك جرجى زيدان) ومضت الأحداث المضمرة من أعمال الماسونية فى الدولة العثمانية وفى السيطرة على جماعة الاتحاد والترقى وكانت قد حملت لواء القضاء على السلطان عبد الحميد بالقتل والانقلاب وقد جربت الاثنين ففشلت الأولى ونجحت الثانية ، وبعدها انكشفت أوراق الماسونية التى كانت قد خدعت الكثيرين ممن دخلوا فيها ظنا أنها وسيلة للنهضة أو وسيلة للبر أو مقاومة للنفوذ الأجنبى . ففى عام ١٩١١ (م ١٤) اتضح الموقف وكتب السيد رشيد رضا عن الماسونية فى البلاد العثمانية قال : كان السلطان عبد الحميد عدو للجمعية الماسونية لاعتقاده أنها جمعية سرية وهو يخاف من كل اجتماع وكل سر وان غرضها ازالة الاستبداد وهو مستبد وازالة السلطة الدينية من حكومات الأرض كلها وهو يفخر بالخلافة الاسلامية ويحرص عليها وقد تنفس الزمان للماسونية بعد الانقلاب الذى كان لهم فيه أصابع معروفة فأسسوا « شرقيا عثمانيا » أستاذه الأعظم طلعت بك ناظر الداخلية وأركانه زعماء جمعية الاتحاد والترقى وأنصارها من اليهود وغيرهم ولأجل هذا نرى طلعت بك لا يبالى بسخط الأمة ولا برضاها فى ادارته التى استعانت فيها المملكة بألسنة ولاياتها الا ولاية سلانيك وكذا أدرنة فيما أظن والسنة مبعوثيها حتى بعض الاتحاديين وسلانيك هى الآن مركز السلطة الحقيقية فى المملكة وانما الآستانة مركزا للتنفيذ .

ثم واصل المنـــار الحديث فى المجلد ١٤ (١٩١٢) ومنهـــا أول كلمة صريحة وأول اعتراف بانصاف السلطان عبد الحميد وقال انهم كان لهم اثرهم فى الثورة الفرنسية وفى الانقـــلاب العثمانى ثم نشر بيـــان الأميرلاى صـــادق بك عن الماسونية والاتحاد والترقى واشـــار الى مقالة مجـــلة دين دمعيشت الروسية أن جمعية أركان الدولة والقائمين بأعمالها جميعـــا من الخفير الى السلطان ماسونيين وجعلت الماســـونية مهمة رجال الدولة منصبة الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسونية .

— ٢ —

وكان هـــذا كله مقدمة للحديث عن الخطر الصهيونى الزاحف الذى لم يغفل عنه السيد رشيد رضا فقد كانت افتتاحية المنـــار (يناير ١٩٠٢) ١٣١٩ هـ عن اخطار الجمعية الصـــهيونية فقال : ان رياض باشـــا اطلع على كتاب لبعض الأوربيين المجاورين لليهـــود عن الجمعيـــة الصهيونية ومساعيها فى اعادة السلطة والملك الى شعب اسرائيـــل وقال انه يعرف هذه الجمعية منذ خمس سنوات (أى منذ عام ١٨٩٧) وهو تاريخ عقـــد مؤتمر بال وظهور البروتوكولات ، وقال انها جمعية سرية غرضها الاستيلاء على البلاد المقدسة لتكون مقر ملكهم وعرش سلطانهم ، وجاء ذكر هـــذه الجمعية فى منار السنة الأولى (ص ٤٤/٤٥) وفيه أن حركة هذه الجمعية ظهرت فجأة فى النمســـا والمانيا وانجلترا وأمريكا . وهى تتظاهر بنقـــل فقراء اليهود المهاجرين والمقيمين الى بلاد فلســـطين فلما وثقت بقومهـــا الآن خرجت من مضيق الكتمان وقد بعثت منـــذ أشـــهر المســـتر اسرائيل زنفويل من لنـــدرة الى الآستانة للمساومة على شراء القـــدس الشريف ويقال أنه لقى من الحضرة الســـلطانية التفاتا وانعطافا وبعد عودته خطب فى الجمعية فقال : ان اليهود سيرجعون بكثرة الى فلسطين مملكتهم القديمة التى لا يمكن أن تغرب شمسـها عن سماء أفكارهم وسيبلغ عددهم فيهـــا عام ٢٠٠٠ أى فى آخر القرن العشرين المسيحى مائتى الف الف (مليونين) نفس وسيجعلون تلك الأرض جنات عالية قطوفها وينشئون فيهـــا حدائق ذات بهجة ويصلون أطرافها وأرجاءها فيكون شعب اسرائيل منارا على جبل صهيون تهتدى به الأمم ، وقال ان غاية ما يرمى اليه اليهود هو جمع

النقود الكافية لابتياع أرض فلسطين من السلطان وبلغ ما جمع الآن الف الف ريال أمريكانى (مليون) هذا ما نشرته الصحيفة العبرانية الفرنساوية والموضوع بكامله (ص٨٠٦ مجلد ٤ من المنار) ويبدو أن السلطان عبد الحميد لم يكن قد حدد موقفه من الصهيونيين فى هذا الوقت ولذلك فانه لم يعلن موقفه الا بعد أن أتاح لهم الفرصة فى ذكاء السياسى لطرح كل ما عندهم وقد أشار هرتزل فى مذكراته أنه تردد أكثر من مرة على السلطان وان السلطان قد حسم الموقف فى النهاية على النحو الذى أزعجهم وجعلهم يرتبون قتله أو اسقاطه ومن ثم أعلنوا عليه تلك الحملة الضارية التى قادها صحفيو المارون فى مصر وغيرها فى المقطم والهلال وكتابات سركيس وغيره .

وفى المجلد الرابع عشر من المنار سنة ١٩١١ تحدث السيد رشيد رضا عما أطلق عليه المشروع الأصفر فقال : خبرنا الآستانة باقامتنا منها سنة كاملة فرأينا أن نفوذ اليهود فى جماعة الاتحاد والترقى عظيم ، وان ناظر المالية اسرائيلى النسب وانه جعل كاتم سره وكثيرا من موظفى نظارته من اليهود فعلمنا أن اليهود سيكون لهم شأن أى شأن فى هذه المملكة ، وآمالهم فى القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم الحالية فى المكان تعظم وتعوذهم فيه غير مجهول وأشرنا الى ما يخشى من مغبة ذلك فى أجزاء السنة الماضية ثم جاءت أنباء مجلس الأمة العثمانى فى هذه الأيام مصدقة لما قلناه فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطبا نبهوا فيها على خطر جمعية اليهود الصهيونية فى المملكة العثمانية وأنكروا على ناظر المالية بيعه أحسن موقع عسكرى فى الآستانة لشركة أجنبية بثمن دون المثل بسمسرة بعض اليهود ، كذلك أشارت المنار الى أن جريدة الكرمل نشرت مقالات عن جمعية اليهود الصهيونية التى تسعى لتمليك اليهود بلاد فلسطين وتمهد السبيل لاعادة ملك بنى اسرائيل .

— ٣ —

وتحدث عن ما نشرته صحف سوريا فى مشروع الأصفر حيث قال ان عمران بلادنا يتوقف على استعمال الأموال الأوربية فيها وزمام هذه الأموال فى أيدى اليهود ، وترى الصحف أن الخطر من الصهيونية ينحصر

فى شىء واحد هو امتلاكهم للأرض المقدسة ، والخطر من استعمال أموال الأجانب اليهـود ينحصر فى غرق الأهالى والحكومة فى الديون وثانيهما تمليكها لرقبة البلاد بأن يكون أكثر الأرض أو الكثير منها لهم ، وقال لقد زادت ثروة مصر بأموال الأوربيين وأعمالهم أضعافا مضاعفة ولولا جرأة الفلاح المصرى على الاستدانة بالربا الفاحش وغير الفاحش بغير حساب ولولا الاسراف والقمار والمضاربات لما كان على المصريين دين يذكر بالنسبة الى ثروتهم العامة .

وأشار السيد رشيد رضا الى أن المنار كان هو السابق لجميع الصحف فى التنبيه الى نفوذ اليهود الصهيونيين فى جمعية الاتحاد والترقى وما فيه من الخطر على الدولة ، وقد ظهرت الحقيقة فى مجلس الأمة العثمانية وعلى لسان الصدر الأعظم حقى باشا الذى صرح فى خطاب له بأن اليهود هم أصحاب المستقبل فى هذه الدولة ، حتى فى أمورها الادارية والعسكرية .

— ٤ —

ويتحدث السيد رشيد رضا فى مقال مطول عن بنى اسرائيل فأشار الى كيد اليهود فى ثل عرش ذلك السلطان الدينى والدنيوى فى أوربا وانه لولا ذلك لمحت العصبية الصليبية راية الاسلام فى الشرق كما محتها فى أكثر أوربا ولما وجدت هذه الحضارة المؤسسة على قواعد العلوم والفنون والحرية التى نفحها روح الاسلام فى الأندلس والشرق ثم انتقلت الى ايطاليا وفرنسا فسائر بلاد الغرب ثم يقول : على أن الشعوب الأوربية الحرية بالطبع الموروث قد كفرت بنعم الله فى العلم كما كفرت بنعمته فى هداية الدين فهى تستخدمها فى الاستعداد لدك معالم الحضارة والعمران وابادة بعض شعوبها لبعض ، فاليهود يلتوون لهذه الدول وشعوبها فى شرق أوربا وآسيا بالبلشفية وفى غربها بخصمها الراسمالية والغرض من الكيد من ازالة بغى القوة النصرانية ثم القوة المادية لشعوب أوربا التى تساعدهم على غرضهم الأساسى وهو تجديد ملك يهودى يكون له النفوذ الأعلى فى العالم ، فهم الذين ثلوا عرش السلطان البابوى

بقوة العلم والمـــال لأنه كان يضطهدهم فى كل مكان وهم الذين وضـــعوا سلطان الحكم العنصرى بمجلس الدوما أولا ثم قوضوه بالحكومة الشيوعية أخيرا لأنه كان يضطهدهم أيضا وهم الذين ساعدوا جمعية الاتحاد والترقى على تقويض سلطان الخلافة التركية تمهيدا لتمكنهم من امتـــلاك فلسطين لا لاضطهاد الترك لهم وهم الذين قوضوا صرح القوة الألمانيـــة فى الحرب الأخيرة بما بعثوه من سموم الثورة فى أسطولها وفى جيشها وبما جاهدوا بأموالهم وكيدهم فى حمل الولايات المتحدة على مساعدة أعدائها الحلفـــاء عليها ثم ســـعوا لنشر الشيوعية فيهـــا حتى لا تقوم لهـــا قائمة مسيحية ولا قومية ، وما كان هذا الا خدمة لانجلترا وجزاء على عهدها بلسان لورد بلفور فى تأسيس وطن قومى وملك يهودى فى فلسطين فكيدهم لألمانيا ككيدهم للدولة العثمانية لا ككيدهم لدول الاسغن والعنصرية الروســـية . الظالم سيف والله ينتقم به ثم ينتقم منـــه رواه الديلمى فى مســـند العروس بلفظ عـــدل الله (م ٣٤٧/٣٣) .

ثالثـا : الحركات الاصلاحية
(الوهابيـة والسنوسية) وغيرهما

ـ ١ ـ

أولت المنار على مدى عمرها الطويل اهتمامها بالحركات الاصلاحية الاسلامية وتابعت حركة اليقظة الاسلامية فى مختلف أجزاء العالم كما أولت اهتماما بالغا بالمؤتمرات الاسلامية التى عقدت فى الهنـد ودمشق وجنيف ومكة المكرمة وبيت المقدس ، بل لقد اهتمت بمؤتمر أم القرى الذى تخيله الكواكبى ١٣٢٠ هـ .

مؤتمر ندوة علماء الهنـد ١٩١٢/١٣٣٠ .

المؤتمر السورى العـام بدمشق ١٩٢٠/١٣٣٨ (وقد انتخب السيد رشيد رضا رئيسا للمؤتمر) .

المؤتمر السورى الفلسطينى بجنيف ١٣٤١ .

مؤتمر مكة المكرمة السـعودى ١٣٤٤ .

مؤتمر بيت المقدس ١٣٥٠ (ديسمبر ١٩٣١) .

كما تابعت نهضة الاسلام فى الهند وفى جزر الملايو فتحدثت عن أحمد خان الهندى وأحمد دحلان ومدح المنار أحمد خان الذى أنشأ جامعة عليكرة لأنه كان دائما موضع المقارنة مع الشيخ محمد عبـده فيما فعـله كلاهما للخروج من دائرة التقليد وبحث الاسلام بحث المجتهد المحقق كما يقول المنار (ص ٣٣ م ٧) ولكن الأبحاث بعد ذلك كشفت عن جوانب أخرى بالنسبة للرجلين .

وفى المنار المجلد ٢ ص ٢١١ كتب السيد رشيد رضا عن السنوسية كما كتبت عنها صحيفة ألمانية (دى كولونى) وأشار الى أهميتها من حيث انتشارها السياسى وانها أنشئت ١٨٥٥ بواحـة جغبوب محمد بن على السنوسي المولد ١٨٩١ على حدود الجزائر المتاخمة لمراكش ، بارح وطنه

١٨٣٠ مشعلا نار النقمة على الفرنسيين الذين كانوا استولوا على تلك البلاد وقد حط الرحل بعد الرحلة فى واحة جغبوب ١٨٥٥ ، كذلك فقد واصل الحديث عن طريقة السنوسية من الاسكندرية ودرنة (م ١٥) ودعوة السيد احمد الشريف السنوسى الى جهاد الايطاليين كما تحدث عن ثورة السودان التى قام بها الامام المهدى (م ٢) وتحدث عن النفوذ الانجليزى فى البلاد الاسلامية والامتيازات الأجنبية ، وتحدث عن تعصب غلادستون وسالسبرى ضد الاسلام .

وأولت الاستعمار اهتماما كبيرا فتحدثت عن السياسة الهولندية فى جاوة وعن سياسة فرنسا فى مراكش .

كما تحدثت عن انتشار الاسلام فى مجاهل أفريقيا نتيجة أسفار المسلمين وتوغلهم بقصد الكسب والاتجار فلما أنس الأهالى منهم الوفاء والاستقامة اقتدوا بهم فتناسلوا وتكاثروا ونما بينهم الاسلام، حتى قال أحد الرحالة الأوربيون أنه لم يكن يأمن على نفسه أثناء رحلته وأثناء تطوافه الا عند المسلمين .

وأولى المنار اهتماما كبيرا حول المسلمين فى الهند ونشر فصولا عن محاكمة الزعيم المسلم أبو الكلام ازاد فى الهند وخطابه الذى القاه عند محاكمته أمام المحكمة الانجليزية ووصف ثورة الهند السياسية السلبية وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (م ٢٤) .

— ٣ —

ولقد كان لأحوال الحجاز والجزيرة العربية موضعا هاما ومتابعة كاملة وقد والت المنار أخبار الثورة العربية التى قام بها الشريف حسن وما اتصل بها من تمزيق البلاد العربية بمعاهدة سايكس باكو وقيام نظام فى سوريا ملكى ثم احتلال فرنسا لها وما يتصل بموقف الشريف حسين من النفوذ الأجنبى ومسألة فلسطين .

ثم توالت الأحداث وزحف النجديون على الحجاز وتم استيلاء الملك ابن السعود على جميع الحجاز ديسمبر ١٩٢٥ (١٣٤٤ هـ) وأشار الى ما كان بين سلطان نجد والبيت الهاشمى .

وفى مجلد (٢١) تحدث المنار عن الخلاف بين النجديين والحجازيين قال : لفظ الوهابيـــة يطلق على اتباع الشيخ محمد عبد الوهاب العـــالم السنى الشـــهير المجـــدد للنهضة الدينية فى نجد ، فقد اتخذ أمير نجـــد تلك النهضة فى ابان ظهورها وانتشارها وسيلة للاستيلاء على بلاد الحجاز التى طال عليها عهد الظلم والجهل ولم يظهر فيها مصلح علمى ولا ادارى .

وقد انبرت حكومة الآستانة لمناهضته واخراجه من الحجاز الذى هو مناط عظمتها وسلطتها الاسلامية واستعانت على ذلك بحكومة محمـــد على باشا التى كانت عاجزة عن تولى ذلك بنفسها وأرادت أن تشوه تلك الحركة الاصلاحية فأذاعت انها عبارة عن احداث مذهب جديد مبتدع فى الاسلام مخالف لمذاهب أهل السنة وأغرت انصارها من العلماء الرسميين والمفتين بالرد على هذا المذهب وتضليل أهله وتكفيرهم وهم ينكرون كل مذهب فى الأصول غير مذهب الســـلف الصالح ويتبعون فى الفروع مذهب الامام أحمد بن حنبل واصحابه .

وأشار الى رواية الجبرتى عن الوهابية وعسكر محمـــد على .

ثم قال : ولا يزال مسلمى الحجاز ومصر وسوريا والآستانة يظنون أن لأهل نجد مذهب مخالف لمذاهب أهل السنة لأن بعض الذين كتبوا عنهم قالوا انهم يكفرون غيرهم من المسلمين ويقولون فى النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ما يعد اهانة وكانت قد صدرت الارادة السنية الى محمـــد على بقتالهم وردع هـــذه الطائفة خوفا من انتشار شرهم فى البـــلاد الاسلامية فأطفأ سراجهم وبدد شملهم .

ولم يكن فى هذه الفترة من الممكن قول كلمة الحق عن الوهابية لخوف الدولة العثمانية منها ومعارضتها لها ، ثم أشار الى ثورة الشريف حسين على فعلة الاتحاديين الطورانيين ثم على دولة الترك بحملتهـــا فى عهـــد الحرب الأوربية وقد أقنع بعض أهل الفترة والأحلاف من العرب باتخاذ ذلك وسعى الى جمع كلمة عرب الجزيرة فى سبيل انقـــاذ عرب ســـوريا والعراق من ظلم الاتحاديين واضطهادهم . وقد ســـعى بعض الطامعين فى جمع الكلمة بعقـــد اتفـــاق بين شريف مكة والأمـــير ابن ســـعود صاحب

نجـد والامام يحيى صاحب اليمن والادريسى صاحب عسـير على قاعدة الاعتراف بكل منهم باستقلاله فى بلاده والتعاون بينهم على دفع العـدوان الأجنبى ورفع شـأن الجنس العربى ، وبدأت حكومة الحجاز فى الطعن فى أهل نجد والدعوة الدينية الى مثالهم ، وقد أرسلت حكومة مكة الهاشمية الحملة بعد الحملة لقتال الشريف خالد فى الخرمة . وتضمن منشور ملك الحجاز ١٣٣٦ الاشـارة الى البدع والزيغ الدينى عن منتحلى العقيـدة الوهابية المكفرين لكل العالم الاسلامى

وتحـدث عن موقف حكومة الحجـاز وتكفير الوهابيين والنجـديين والدعوة الى تعاليم باسم الدين وقد ارسل ابن سعود بيانا الى أهل الشام قال فيه : نحن مثلكم مسلمون مؤمنون موحدون ندين بدين محمد بن عبد الله ونقر بترتيب الأصحاب كما جاءوا فى الحكم والاستخلاف ونقلد فى عباداتنا الامام الأعظم احمـد بن حنبـل ونعترف أن اخوته الأئمة الباقين هم مثله فى العظمة والصدق والصحة فحذار ثم حذار أن يغركم ويفسدكم ويفتنكم فتعطوه صبرا ومالا . وقال : هم اخوتكم فى الله يجاهدون فى الله ولم يسبق بيننا وبينكم عـداوة ولا نحن طامعون فى بلادكم فخلوا بيننا وبينه ليزول الأعجل ويقضى الله أمرا كان مفعولا » (م ٢١) .

ثم واصل السيد رشيد رضا كشف حقيقة الوهابية وتجلية منشـأ الطعن فيها فقال : ان سبب قذف الوهابية بالابتداع والكفر سياسى محض ؛ كان أولا لتنفير المسلمين منهم لاستيلائهم على الحجاز وخـوف الترك من أن يقيموا دولة عربية ولذلك كان الناس يهجون عليهم تبعا لسخطالدولة. الى أن حددها الملك حسين فى الحجاز وولده فيصل فى العراق وولده الأمير عبد الله فى سوريا (فلسطين) لقد أصدر الملك حسين عـدة منشورات فى جريدته ١٣٣٦/١٣٣٧ رماهم فيها بالكفر وتكفير أهـل السنة والطعن فى الرسـول الأعظم وانه لابد للسلطان من قتالهم ثم سرى ذلك الى مصر وظهر له أثر فى بعض الجرائد وقد رد على هذه الرسائل بعض علماء الشام وجرت مناظرة مع علماء مكة (م ٢٤) .

ثم انتهى الموقف بانتصار السعوديين واستيلائهم على مكة والمدينـة والطائف وجدة واستقر أمرهم وتعرف المسلمون على حقيقة دعوة التوحيد

التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتكشف زيف دعاوى النفوذ الأجنبى فى تشويه الحقائق واستغلال ذلك سياسيا .

ويتحدث السيد رشيد رضا فى المجلد (٢٧) تحت عنوان « الوهابيون والحجاز » فيقول : مما خص الله به هذه الأمة أنها لا تجتمع على ضلالة ، وانه لا يزال طائفة منها ظاهرين على الحق ، وان الله تعالى يبعث فيها مجددين لأمر الدين كما ورد فى الأخبار المرفوعة من صحيحة وحسنة تثبت صحة معانيها بالفعل .

ولقد كان من أجلهم فى القرون الوسطى قدرا وأنبههم ذكرا شيخ الاسلام أحمد تقى الدين بن تيمية رحمه الله فقد أتاه الله من المواهب ما يندر أن يجتمع لأحد من البشر ، وقد تصدى للرد على النصارى وأهل البدع وألف فى ذلك المصنفات الدالة على سعة علمه وقوة حجته وقد شهد له اكابر المصنفين ولاسيما حفاظ الحديث بما لم يشهدوا لغيره من أهل عصره حتى اعترفوا له بالاجتهاد المطلق ، وتصدى لعداوته ويذائه وصده عن نصر السنة واحياء مذهب السلف بعض كبار العلماء الرسميين المقربين الى الملك فاوذى وحبس فى هذا السبيل وظل أولئك المقلدين الجامدين يصدون الناس عن كثير حتى أحياها الله تعالى فى بلاد نجد بظهور المجدد الداعى الى الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وأنصارهم من آل سعود أمراء نجد فى أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر ثم فى نهضة الاصلاح الجديدة بمصر والهند وغيرها من البلاد الاسلامية فى عهدنا هذا من القرن الرابع عشر وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مجددا للاسلام فى بلاد نجد بارجاع أهله عن الشرك والبدع التى فشت فيهم الى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الاسلام ابن تيمية .

أما الدولة العثمانية فقد استمرت على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل لاعتقادهم أنهم يريدون تأسيس دولة عربية قوية تزيل ما لهم من

السلطان فى جزيرة العرب ويتبع ذلك هـدم الخلافة التركية ثم ظهر لهم ان مصلحتها تقتضى بالاتفاق مع آل سعود والاعتراف لهم بسيادتهم على نجد وملحقاتها حتى ما كان بين الدولة فيها فعلت ذلك اما أمراء مكة المعروفون بالشرفاء فقد ظلوا فى الطعن على دين الوهابيين وافتراء الأكاذيب عليهم ، واشار الى دسائس الشريف حسين لآل سـعود ، والى زحف السلطان عبد العزيز على الحجاز وانقاذه منه ، وقد نشر السيد رشيد رضـا بضع مقالات فى جريدة الأهرام وفى المنار كشف فيها عن أن هؤلاء النجديين الذين يلقبون بالوهابيين سنيون متمسكون بمذهب السلف فى العقـائد وبمذهب الامام احمد فى الفروع وانهم اشد شعوب المسلمين فى هـذا العصر اتباعا وأبعدهم عن الابتداع ، وان الاستعداد للاصلاح الاسلامى الحق بالتوحيـد الخالص وترك البدع والخرافات والتقاليد الوراثية الباطلة قد صار الآن أقـوى .

الباب الخامس

ميادين العمل الصحفى الاسلامى

الفصــــل الأول : التعريف بفضــل الاســلام

الفصــل الثانى : الدفاع عن اللغــة العربيــة

الفصــل الثالث : التربيـــة والتعــليم

الفصــل الرابع : قضــايا المرأة والمجتمع

الفصل الخامس : احيــــاء التراث

الفصل السادس : اعــلام المنــار ووفيات الأعيــان

الفصــل السابع : الصحف والمجـــلات

الفصــل الثامن : الجماعات الاســلامية

الفصل الأول

التعريف بفضـــل الاســـلام

- ١ -

كان صدر السيد رشيد رضا ممتلئا ايمانا بعظمة الاســـلام وفضله وأمجاد تاريخه على نحو واضح فى كل صفحات المنار ، ومنذ العدد الأول أولى اهتماما كبيرا لابراز عظمة الاســـلام « كمنهج اجتماعى وحضارى » كان له أبعد الأثر فى الحضـــارة الانسانية عامة وفى الحضـــارة المعاصرة وفى تمدين البشرية ولذلك فقد أولى اهتماما بأدوار عدة :

أولا — عرض ما جاء فى تقدير الحضارة الاسلامية والشريعة الاسلامية فى كتابات الغربيين .

ثانيـــا — عرض صفحات من التـــاريخ الاســـلامى وتاريخ الأندلس ودور المسلمين فى بناء المنهج التجريبى واقتباس أوربا من الاسلام .

ثالثـــا — دور العرب فى بنـــاء النهضة الاسلامية العالمية والتحدث عن مدنية الاسلام فى الطب والفلك وغيرها .

رابعـــا — الاهتمام بالشخصيات ذات الشأن فى التاريخ الحـــديث التى أولت اهتماما وتقديرا للاســـلام .

خامسا — عظمة القرآن وصلاحية الشريعة الاسلامية لهـــذا العصر وكل العصـــور .

وهكذا مضى المنار لطيته منذ اليوم الأول الى اليوم الأخير فهو يتحدث عن اعادة مجد الاسلام تحت عنوان : كيف يعود للاسلام مجده فيقول : **الجواب من الكتاب (كما بدأكم تعودون) ومن السنة (بدأ الاسلام غريبـــا وسيعود غريبا كما بدأ) ومن كلام علماء العمران أن التاريخ يعيد نفسه .** ويقول : لماذا اختار الله الأمة العربية لهذا الاسلام لأنهـــا وسط بين الأمم ولم يكن لها رؤساء فى الدين والسياسة يحكمونها بالجبروت والاستبداد ،

بل سلامة الفطرة وغيرة النفس وشدة البأس ، ولم يكن عند العرب من التقاليد الدينية شيء يستندون منه على وحى سماوى وعلى سلف من الأنبياء فيدافع ما جاء به الاسلام أو يزاحمه ، وأشار الى أنه يوجد من المسلمين بعض المتعلمين على الطريقة الأوربية وأكثرهم من الأتراك والهنود وعدد قليل من المصريين منحرفون عن صراط الدين غير مصبوغين بآدابه وفضائله ، وهناك سكان البوادى من العرب فانهم لم يصبهم من ظلم الظالمين ما أصاب غيرهم . طائفة يعسر عليها أن تجارى المدنية الحاضرة قال : والمنار يدعو الى الوحدة الاسلامية التى تضمن لسائر الشعوب والملل حقوقها فى بلاد الاسلام على أكمل وجه : هذه الوحدة الاسلامية لا يتيسر القيام بتعميمها من مصدر واحد من اختلاف لغات المسلمين ومذاهبهم وحكوماتهم وأقطارهم ومذاهبهم وان الخطر الذى يتهدد العرب ابتلاع الأمم المتمدنة لهم ، فاذا كسر باب المسألة الشرقية انحسر الترك لأنهم عنصر مستقل ولكن البلاد العربية تذهب فريسة المطامع اذا تقلص عنها ظل الدولة العثمانية ومجد الاسلام انما يحفظ بمجد العرب وانما يعود مجد الاسلام بالأصول والأعمال التى أخذ بها المسلمون عند ظهور الاسلام فكان لهم ذلك المجد العظيم وزال مجدهم باهمالها هى التى يعود المجد بالأخذ بها والأسباب تتصل بمسبباتها ، وعبارة يعود غريبا فى الحديث النبوى أخطأ الذين يفهمون من الحديث أن الاسلام يضمحل ويتلاشى ثم لا يعود الى مجده وعزته، انما هى صريحة فى أن الاسلام سيظهر مرة ثانية مثل ظهوره فى المرة الأولى وظهوره فى المرة الأولى كان غريبا على العالم ولكن فى غرابته استعقب مجدا كبيرا وعزة كذلك يكون فى الكرة الأخرى ان شاء الله رغم أنوف اليائسين الذين سجلوا على هذه الأمة الشقاء بدينها الى يوم الدين ، على فهمنا هذا قمنا ندعو المسلمين فى (المنار) الى احياء مجد دينهم بالرجوع الى ما كان على سلفهم الصالح ولا بلاء أشد على المسلمين من اليأس والقنوط .

— ٢ —

وأحاديث مطولة فى المنار (منذ المجلد الثانى) عن مدنية العرب وقد أنشأ هذا البحث ما كان يكتب فى تركيا عن العرب تعصبا للجنس وكان رشيد رضا قد تحدث عن تجديد الروابط بين الترك والعرب على أسلوب جديد وكانوا ينتقضون العرب فى تركيا ويقولون انهم ليس لهم تاريخ ، وحاول فى أدب رفيع أن يشرح هذا الأمر ثم بدأت هذه المقالات تروى ما قدمه العرب فى مجالات المدنية المختلفة ، من طب وفلك وعلوم ، يقول مع الاشارة الى نزعات التعصب الجنسى عند الترك « حرصنا بأن لا تعنى بالوحدة العربية أن ينفصل العرب عن سائر المسلمين أو عن الترك بل تعنى به أن كل شعب يجتهد فى ترقية نفسه ملاحظا أن فى ترقية نفسه ترقيا لسائر الشعوب ، ثم أشار الى الفوارق بين المدنية الاسلامية والمدنية الأوربية وأخطاء الأخيرة حيث حرم الاسلام مقاتلة من لا يقاتلهم كالنساء ورجال الدين والأطفال والشيوخ وحرم عليهم التمثيل وهتك الأعراض .

كذلك تحدث عن اقتباس أوربا من الاسلام ، وعن ثناء منصفى الافرنج عليه كما تحدث عن تبرئته بادانة أهله وأورد ما قاله المسيو ريمون الرحالة الشهير من أنه كان لا يأمن على نفسه الا عند المسلمين أثناء تطوافه فى مجاهل أفريقيا حيث يجد منهم لطفا وحسن ضيافة وقد كتب رسالة طويلة فى هذا المعنى الى السيد السنوسى مدح فيها أخلاق الاسلام وفضلهم على سائر الأمم والشعوب .

كما تحدث السيد رشيد رضا الى سبق الاسلام الى المبادىء الجمهورية والاشتراكية وتحدث عن الفارق بين اشتراكية الاسلام واشتراكية المسيحية (م ٩٤٨/١) .

كما تناول التاريخ الاسلامى وتاريخ الأندلس والخلافة الأموية وتحدث عن جزيرة العرب ومكتشفوها من الافرنج ، وأشار الى تعصب أوربا على الدولة العثمانية وتنازعها للممالك الاسلامية وأورد شهادة التاريخ على بعضها (م ٤٨٨/١) .

— ٣ —

كما اورد كثيرا مما كتبه أعـلام الغرب عن الاسـلام وفى المجلد الحادى عشر نشر بحث مسيو رينيه ميليه الذى القاه فى مؤتمر افريقيا الشمالية المنعقد فى باريس عن الاسلام والمدنيـة الحديثـة ، كما أفاض فى عرض آراء القس اسـحق طيلر عن الاسـلام التى نشرها فى انجلترا عام ١٨٨٨ (م ٤ المنـار) وكان قد كتبها بعـد ما جاء مصر ليختبر حال المسلمين اذ قيل له انه مبالغ فى مدحهم ومدح دينهم وقد نشرها فى جريدة سنت جمس غازت الانجليزية (١٨ ابريل ١٨٨) قال : انى ذهبت الى مصر احد اقطار الاسلام ومقصدى الوحيد أن اطلع من ذلك المكان على الأعمال المجموعة فى القرآن من الآداب والأخلاق والتقوى والمعرفة وأعلم ما هى العقائد الحقيقية المتعلقة بالمسلمين ذوى التربيـة وانى اقر وأعترف بأنى تعجبت غاية التعجب لما رأيت المسلمين راضين بأن يتكلموا معنا فى موضوع عقائدهم وحاضرين للاعتراف بذنوبهم ، كل مسلم يؤمن بالله الواحد القهار النافذ أمره فى السماء والأرض وبرسالة عيسى عليه السلام الملقب عندهم بالمسيح ومعجزاته ويؤمن بوجوب الصـلاة وبنقـاء النفس فى الآخرة ، اما فى الرحمة أو ما فى العذاب وبالهامية الكتب المنزلة من قبـل أمة محمد صلى الله عليه وسلم متقنة جدا وبعض أدعيتهم وصور مناجاتهم حسـنة للغاية حتى انه لا يمكن لأحد من المستحقرين أن يجد فيهـا كلمة واحـدة يعترض عليهـا » .

كذلك فقـد اشار الى كتاب تاريخ القـرآن والمصاحف الذى الفـه روستو فدونى الروسى وطبعه فى بطرسبرج (م ٩٥٣/٨) .

وأولى اهتمامه لاسـلام لورد هدلى (م ٥٥٦/٢٤) وكتابه ايقـاظ الغرب للاسلام (م ٢٦) قال عن اللورد هدلى انه لم يكن فى حياته مسيحيا قط كما قال لى هو بنفسه فقد كان على مذهب الموحدين الذين يؤمنون بالله واحـد ويعتقدون أن المسيح نبى وهؤلاء شيعة كبيرة فى انجلترا وامريكا وأشار الى قول هـدلى : كلما قرأت فى المصحف الكريم اكتشفت بنفسى انى مسلم دون أن يبشرنى أحد بالاسلام ودون أن يدعونى أحد الى الاسلام ،

وقد وجدت الاســلام دينا بسيطا ، ومما يذكر أنه أدخــل باسلامه نحو اربعمائة شخص من رجال ونساء وتسمى بسيف الرحمن رحمه الله فاروق .
ومن ذلك قوله : يسرنى أن اعرف أنه ليس هناك بغض بين المسلمين ولكن المحبة بأوسع معانيها وهى منتشرة بينهم أكثر مما هى منتشرة بين المسيحيين فى الجزر البريطانية فالمسلمون مثلا متسامحون جدا ومطبوعون على ايتاء الخير ازاء جميع المسلمين بخلاف ما عليه فروع الكنيسة بعضها ازاء بعض واذا عينت لجنة من الانكليز الأكفاء حقيقة لفحص الذى يجب أن يتدين به العالم كله لأجمعوا أمرهم على أن يختاروا الدين الاسلامى الذى يشهد له العقل والذى يجيب رغبة الفؤاد والروح الشديدة من الاتصــال بالخالق سبحانه وتعالى ، ولا أعتقد ولا سبق لى أن اعتقدت قط أنه من الضرورى لخلاصى أن أصدق الوهية المسيح أو أن أعتقد الثالوث أو العقائد الأخرى التى تدعى الكنيسة أنها ضرورية للخلاص » .

وقد مضى السيد رشيد رضا يتحدث عن حضارة الاسلام مبتدئا بما أورده الشيخ محمد عبده فى كتاب (رسالة التوحيد) حيث أشار الى ما كان من فتوحات النصــــارى الأوربيين ونشرهم لدينهم بالقهر والتقتيل وابادة المخالفين مدة عشرة قرون كاملة لم يبلغ السيف من كسب عقائد البشر فيها ما بلغه انتشار الاسلام فى أقل من قرن ، ولم يكن المسلمين فى هذه القرون من القوة العددية والالهية ولا من سهولة المواصلات ما يمكنهم من قهــر الشعوب التى فتحوا بلادها على ترك دينها ولا على قبول سيادة شــعب كالشــعب العربى ، فهم لم يخضعوا للمســلمين ويدينوا بدينهم ويتعلموا لغتهم الا لما ظهر لهم من أن دينهم هو دين الحق الموصل لسعادة الدنيــــا والآخرة أو من أنهم أفضل الحكام وأعدلهم » .

ومن هنا فان الاسلام قد فرض على المســلمين ويوافقهم على ذلك جميع شرائع الأمم الافرنج أن لا ضير على أى أمة فقد من وطنها شىء أن تستعد لاستعادته الى أن تظفر به كما فعلت فرنســا باســتعادة ولايتى الالزاس واللورين من ألمانيــا فى الحرب الأخيرة وكانت قد أخذتهــا منــذ نصف قرن ونيف .

وأشــار السيد رشيد رضا الى أن الاســلام دين سعادة وسلطان

وشريعة وحكومة شورية يجمعها نظام حربى جامع بين القوة والرحمة والعدل ، وقد جاهد الأوربيون المسيحيين فى أمر الجامعة الاسلامى حتى صرفوا وجوه الشعوب الاسلامية عن الجامعة الاسلامية الى الجامعتين الجنسية والوطنية وهدموا هيكل الخلافة العثمانية بأيدى حماتها من الترك أنفسهم ، ودفعوا حكومة هذا الشعب الاسلامى الباسل من حيث لا يدرى الى محاربة الدين الاسلامى نفسه بأشد من محاربتهم له بمدارسهم التبشيرية واللادينية وبكتبهم وصحفهم ونفوذهم فاعتقدوا انه قد تم لهم بهذا فتح العالم الاسلامى وأنه لم يبق لهم لاتمام هذا الفتح الا القضاء الأخير على مهده الدينى وعلى شعبه وانصاره .

وقال : ان رأى الفقهاء ان كل ما دخل من البلاد فى محيط سلطان الاسلام ونفذت فيه أحكامه وأقيمت شعائره قد صار من دار الاسلام ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوبا عينيا ، وكانوا آثمين كلهم بتركه وان استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنه وجوب القتال لاسترداده وان طال الزمان فعلى هذا الرأى يجب على مسلمى الأرض ازالة سلطان جميع الدول المستعمرة لشىء من الممالك الاسلامية وارجاع كلمة الاسلام الا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وعجزهم الآن عن ذلك لا يسقط عنهم وجوب توطيد أنفسهم عليه واعداد ما يمكن من النظام والعدة له وانتظار الفرص للوثوب والعمل . وقد صرح الامام الشافعى أن ثغور الحجاز البحرية وما يوجد فى بحره من الجزائر لها حكم أرضه وبلاده فلا يجوز لامام المسلمين وسلطانهم أن يمكن أحدا من غير المسلمين بالاقامة فيها لتجارة أو لغيرها وقد ظهر لمسلمى هذا العصر من حكمة الاسلام فى هذا ما لم يكن يخطر بباله دولهم القوية من قبل التى تساهلت وقصرت فى تنفيذ الوصية المحمدية فسمحت ببقاء بعض أهل الكتاب فى بعض بقاع جزيرة العرب كاليمن ثم بوجود بعضهم فى جدة (م ٣٠ ص ٥٨١)

(٥)

وفيما يتصل بهذا كان دفاع السيد رشيد رضا عن حماية القرآن من مؤامرة ترجمته التى كانت قد أثيرت فى هذه الفترة م ١٨٤/٣٢ قال : ان المسائل القطعية فى هذا الموضوع وما يجب على المسلمين فى هذا العصر

ان اللغة العربية هى لغة دين الاسلام والمسلمين ورابطة الأخوة العامة ووسيلة السلام للمؤمن بما يقيد من نزعات الشعوبية وعصبية الجنسية ونزعات الملحدين وتوحيد كلمة العلماء المختلفة (١) فقد أجمعت الأمة الاسلامية عربها وعجمها على أن هذا القرآن المحفوظ فى قلوب الألوف المرسوم فى الوف الألوف من المصاحف هو كلام الله عز وجل المنزل على محمد رسول الله بلسان عربى مبين معجز للخلق اجمعين (٢) وقد اجمعت الأمة الاسلامية عربها وعجمها على أن هذا القرآن العربى هو أساس دين الله الذى أكمل به ما أوحاه الى رسله من قبله ، وأتم نعمته على العالمين وأمر رسوله أن يبلغه كما أنزله بنصه العربى المبين فبلغه كما أمره الله وما بينه من سنة الرسول وما استنبطه ائمة العلم من عقائده وأحكامه وآدابه (٣) وقد أجمعت الأمة عربها وعجمها على أن الله تعالى قد تعبد بهذا القرآن العربى كل من آمن به وبرسوله محمد خاتم النبيين من اجناس البشر تلاوة وتدبرا وادكارا واعتبارا وامتثالا للأوامر واجتنابا للمناهى وحكما بين الناس قال (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) على ما فى ذلك من الفروض والواجبات على الأعيان (٤) أجمعت الأمة الاسلامية عربها وعجمها على أن ما فرض الله تعالى على أفراد أمة محمد صلى الله عليه وسلم من قراءة فى الصلاة فالواجب على كل فرد ان يتلوه بنصه العربى المنزل كما أنزل (قرآنا عربيا غير ذى عوج) (٥) أجمعت الأمة الاسلامية على أنه لا يباح للمسلمين ترجمة القرآن بلغة اخرى يتعبد بها فى الصلاة والتلاوة والتشريع ويطلق عليها اسم كلام الله وكتاب الله . والقرآن الكريم كما سمى الله كتابه العربى ويستغنى بها عن كتابه المنزل ولذلك نرى جميع الشعوب الاسلامية والأعجمية من الترك والفرس والأفغان والهند والجاو والصين يعلمون أولادهم القرآن ويدرسون فى مدارسهم الدينية تفاسيره وكتب الحديث والفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة باللغة العربية (٦) وقد علم من هذه الأصول التى أجمعت عليها الأمة اعتقادا وعملا ان اقامة هذا الدين فى عباداتهوتشريعه وحكومته يتوقف على معرفة اللغة العربية وان هذه اللغة قد جعلها شرع الاسلام لغة المسلمين كافة وأوجب عليهم تعلمها ، صرح بذلك الامام الشافعى فى رسالته والشاطبى فى

مقاصدها فى كتاب الموافقات (٧) ترجم القرآن بعض علماء الافرنج بأشهر لغاتهم الحية وترجمه بعض المسلمين الى تلك اللغات الشرقية وفى كل ترجمة من هذه التراجم أغلاط لكثرة المخالفة لمدلولات عباراته اللغوية والشرعية فتح باب للطعن فيه والصد عن الاسلام كما أنها فتحت بابا آخر لمن اطلع عليها من مستقلى الفكر عرفوا بدخولهم فيه شيئا كثيرا من عقائد الاسلام الصحيح وأحكامه العادلة وحكموا على جميع ما نشره الملاحدة الماديون ورجال الكنيسة المتعصبون ودعاة النصرانية من الكتب والرسائل فى الطعن فى الاسلام بأن ما دونوه منها من المطاعن زور وبهتان فكبر مادحوا الاسلام من علمائهم الاحرار واهتدى كثير منهم به (٨) ما ترتب على ما ذكر من صلاح وفساد يوجب على المسلمين وجوبا كفائيا أن يريدوا ما كان من صلاح قوة وتأييدا أن يفندوا ما حدث من الفساد تفنيدا وانما يكون ذلك بترجمته بتلك اللغات كلها ترجمة معنوية صحيحة ، هذه الترجمة فرض كفاية على المسلمين لا تسمى قرآنا ولا يتعبد بتلاوتها وانما هى خلاصة تفسيرية له تدخل فى باب الدفاع عن دين الاسلام من جهة ومن باب الدعوة اليه من جهة أخرى .

(٦)

كذلك فقد أولى السيد رشيد رضا اهتمامه للشريعة الاسلامية وصلاحيتها لهذا العصر وقد كتب الشيخ على سرور الزنكلونى فى هذا فصلا مستفيضا قال فيه : ان أسس التشريع الاسلامى قد قيدت البشر بقواعد من الحق والرحمة والعدل والفضل وحقوق الروح والجسد الصالح لكل عصر يكفل لهم كمال الانسان وسعادة الحياة ما أقاموها وأباحت لهم التشريع الاجتهادى فيما يتجدد من الأقضية والمصالح التى تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة مع المحافظة عليها وبهذا لم يكونوا محتاجين الى تشريع سماوى جديد بعدها ، وقد كان من عدم تقيدهم بها هذه الفوضى السياسية والأدبية والاجتماعية والثورات الحكومية التى تهدد العالم المدنى بحرب شر من حربها الأخير تدك معالم العمران دكا . ولو أن دول أوربا تدين الله تعالى بما شرعه الله تعالى فى كتابه القرآن من وجوب حفظ العهود والمواثيق واجتناب جعلها دجلا باطنها ينقض ظاهرها لتحاكم ذلك من كل ما بينهم

من التنازع والتخاصم فى معاهدة الحرب الكبرى وفروعها ، ولقد نبتت طائفة فى هذا الزمان وكثيرا ما تنبت مثلها فى عصور الانتقال — تنادى بوجوب سير الشريعة بجانب نظام المجتمع المادى الحاضر ، وهذه الطائفة ان لم تكن خبيثة فانها جاهلة بالاسلام ، ان حياة العالم الآن حياة مادية تنحدر بسرعة فى طريق الأهواء والشهوات فلو جارى الاسلام انحدار الأمم فأباح الزنا للأعزب ومن لا كسب له ولجيوش الحروب وأباح الرقص لمتاع النفس وأباح الربا لاستكمال مشتهيات الحياة أو لمزاحمة الأجانب وفى مكنة المسلمين أن يزاحموهم ويقفوا مثل وقفتهم بثروتهم الطبيعية والاقتصادية ، لو اتسع الاسلام لكل ذلك لكان دين مادة لا دين خلق وأصبح من أوضاع البشر لا من شرائع الله ومع ذلك ما هو الأساس الاسلامى الذى جرب فى الأمم الاسلامية وفشل وتبين خطؤه ، ومن ذا الذى وازن بعقله السليم المنصف بين حكم اسلامى ونظيره فى تشريع وضعى ثم أمام البرهان الصحيح على ضعف التشريع الاسلامى وخذلانه ثم ما هو الأمر الجوهرى الذى طعن به أعداء الاسلام عليه مع تالبهم الشديد وعداوتهم المستحكمة من أول أمره الى اليوم على كثرتهم وقوتهم ووفرة أساليب حروبهم وضعف المسلمين وتخاذلهم ثم أثبت العقل فى وضوح أنهم محقون والاسلام مبطل ، ان العالم المادى لا يزن الاسلام الا بحالة المسلمين مع أن الاسلام دين وخلق يجب أن يوزن بميزان العلم والعقل لا بميزان أهلها المضيعين لها ، ومن العدل أن يقال ان أوربا اللاتينية انما تخدم القوتين الشبعية والشهوية لأن الانسان سلام واخاء وتعاطف فى الخير لا فى جوانب المادة ومناصرة فى الحق لا تغلب على الضعيف بل الحيوان الضعيف أجدى على الانسان من الحيوان الشرير .

الفصل الثانى

الدفاع عن اللغـــة العربيـــة

- ١ -

كانت اللغة العربية هدفا أساسيا من أهداف الدفاع عن الاســـلام فى نظر المنار باعتبارها لغة القرآن ، وفى مواجهـــة التحديات التى كانت قد بدأت تتعرض لها فى هذا الوقت الباكر من قوى الاستشراق والتغريب والغزو الثقافى ومن أجل هذا أولت المنار الاهتمام باللغة العربية والبلاغة والأسلوب العربى المبين وتناولت الأخطـــار التى تتصـــل بانشاء الصحف العامية ووصفتها بأنها صدمة جديدة على اللغة العربية ، وفى مجال الدفاع عن ضرورة توحيد لغة المسلمين فى اللغـــة العربية وعن العربيـــة ووجوب تعلمها فى الدولة العثمانية .

وفى المنـــار ١٩٠٢ تحـــدث السيد رشيد رضـــا عن مؤامرة التعلم بالعامية المصرية ، وقد بدأت الدعوة ١٩٠١ بكتاب الفه المســـتر ويلمور المستشار القضائى باللغة الانجليزية داعيا الى جعل اللهجة العامية المصرية لغة المصريين العامة بدلا من اللغة العربية الصحيحة وحاول اقناع المصريين بأن هذا خير لهم ، وترجع الصيحة الأولى لصوت ولهلم سبيتا بك الألمانى أمين دار الكتب الخديوية المتوفى ١٨٨٣ فانه وضع حروف أفرنجية للعامية المصرية لأجل احيائها والف كتابا فى صرفها وكتابا فى أمثالها وقصصا عامة ونشر ذلك باللغتين الألمانية والفرنسية ليرغب أوربا فى تنفيذ مشروع تعلم العامية بالحروف الافرنجية وجعلها لغة العلم والتعليم . وقد انتدب بعض أغنياء الافرنج منذ سنين لذلك وأرصد لهم مالا جما ونشرت يومئذ كراسة فى الحث عليه . وأشارت المنار أن (المؤيد) لم تلبث أن نشرت مقدمة كتاب ويلمور لأجل عرضها على الكتاب للرد عليها وقال الشيخ : ليت المؤيد الأغر لم تنشر مقدمة كتاب ويلمور فقد كان الأولى أن يدحض شبهاته من غـــير أن ينشرها ويقررها فان من الناس من يلتاث بالشبهات .

وكان الأولى أن يبطل شهادته من غير أن ينشرها واشار الى مناقشة الشيخ عبد العزيز جاويش لويلمور ، واشار الى أن جمعية مؤلفة من الشبان الذين أتموا دراستهم فى انجلترا دعت المستر ويلمور لحضور اجتماعها للناظرة والمناقشة وكان الشيخ عبد العزيز جاويش موجودا فسأله : هل خطر على بال المستر ويلمور أن يدعو قومه الانجليز الى توحيد لغتهم بأن يجعلوا لغة العاصمة لغة المملكة كلها كما يدعو المصريين الى ذلك فانه يعلم التفاوت بين لهجة أهل لندن ولهجات سائر الولايات فقال ويلمور ان هذا غير ممكن لأنه يضيع علينا تاريخ لغتنا فقال الشيخ ان هذه الغائلة التى يحذرنا منها هى بعينهـا محذورة فى ابطال لهجات ارجاء القطر المصرى ماعدا لهجة القاهرة المذبذبة فان قبائل العرب الفاتحين ضربوا فى كل رجاء من أرجاء القطر وتبوأت طائفة من كل قبيلة جهة من الجهات غلبت لهجتها عليها . وابان خطأ ويلمور فى قوله ان لغة القطر المصرى لغة مستقلة دون العربية الصحيحة وبين أنها ليست الا لغة عربية دخلها التحريف والدخيل وان اكثر ما يظن انه مناف للعربية من لهجاتها هو من العربية وانه اذا لم يوافق لهجة قريش الفصحى فانه ربما يوافق لغة بعض القبائل الأخرى ثم ذكر أيضا شيئا كثيرا من عيوب اللغة الانجليزية كالخلاف بين ما ينطق وما يكتب ، وكالحروف الأثرية الزائدة ، فى كثير من الكلمات حتى ان متعلم هذه اللغة يضطر الى حفظ لفظ كل كلمة وحفظ صورتها فى الرسم لأن الأول لا يدل على الثانى فى العرف من الكلمات حتى يصح أنه لا قياس فى هذه اللغة . وقال الشيخ اذا نبذنا اللغة الفصحى ظهريا وقبلنا أن يكون التعليم باللغة العامية المصرية التى لا كتب فيها ولا قواعد لها سننتقل الى دور آخر فى تعذر الاصلاح واستحالة التعلم والتربية بهذه اللغة الفقيرة وهو الدور الذى احتج فيه لورد ماكولى على وجوب تعلم الهنود الانجليزية (م ٤ ص ٨٧٩) .

وأولى المنار اهتمامه بالحركة التى قامت على اثر ذلك فى دار العلوم من اجل الترجمة والتعريب ونشر كلمات محمد الحضري والاسكندري (م١٠ص٨٥٥) وكان لدار العلوم موقف حاسم بالنسبة للغة العربية والحرب المشنونة عليها ١٩٠٧ بعد انشاء نادي دار العلوم ، إن تكون المهمة الأولى

هى خدمة اللغة العربية مسألة أسماء الأجناس الأعجمية التى يراد ادخالها فى اللغة العربية هل تعرب أم تؤخذ بالترجمة والحديث عن جواز التعريب واقتراح بانشاء مجمع اللغة العربية خطاب فتحى زغلول (م ١١/٣٢) وخطاب حفنى ناصف (م ١١ / ١٢١) .

كما اهتم بأمر الخط العربى واصلاحه (م ١٣/١٩٦) و (م ١٨/٤٦١) حيث قدم عبد الفتاح عبادة فصولا عن انتشار الخط العربى فى العالم الشرقى .

والت المنار هذه الأبحاث فنشرت بحثا للأستاذ محمود بك سالم عن المطاعن الموجهة الى اللغة العربية وغناها بالمسميات العلمية وفضل اللغة العربية على لغات الافرنج وكونها لغة المستقبل (م ١٣) كذلك فقد فضل المشروع الذى تقدم به احمد زكى باشا « الملقب بشيخ العروبة » (م ١٣/٩٣٧) وكان الكاتب الثانى لمجلس النظار لما له من الخبرة الواسعة فى هذا الباب وما يتصل بذلك من اصدار مجلس النظار قرارا قدمه أحمد حشمت باشا وزير المعارف عن الوسائل المقتضى اتخاذها لاحياء الآداب العربية بالديار المصرية وكان أحمد زكى قد قدم مذكرة منذ عشرين عاما وهو يوالى البحث والتنقيب عن أنواع الطرق الموصلة الى تعميم المعارف واستنهاض الهمم لاختبار باب العمل فى فنون الاصلاح المطلوب لاحياء العلوم والآداب العربية ، وقد تناولت الابتداء فى احياء الآداب العربية بطبع ونشر الموسوعتين الكبيرتين المعروفتين باسم نهاية الارب فى فنون الأدب لشهاب الدين النويرى ومسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى وقد ضم المشروع عددا من الكتب الأمهات فى باب الأدب والبلاغة والحديث النبوى وآداب الملوك والتاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلة وعلم حفظ الصحة وعلوم طبيعية وميكانيكية وعلوم الحيوانات والمعادن والفلك والموسيقى والحرب والديانات القديمة وفنون متنوعة .

وفى المجلد الثالث عشر من المنار أوردت الأسماء العربية للمسميات الأجنبية التى اقترحها نادى دار العلوم وكانوا قد أعلنوا عن وضع أسماء

عربية لبعض المسميات الافرنجية وما لم يجدوا له اسما عربيا وضعوا له اسما جديدا أو عربوه والاشتقاق والتعريب ليس جديد فى اللغة بل هما جائزان وواجب أن يصار لهما عند الحاجة ومن هذه الأسماء : اضمامة « بلوك نوت » صبغ « بوية » طنف « ترسينة » مرمى « جول » خريطة « خارطة » ملف « دوسيه » بطاقة الزيارة « كارت فيزيت » خيالة « سينماتوغراف » .

— ٣ —

وأفسحت المنار صدرها لدراسات واسعة عن اللغة العربية بوصفها أقدم اللغات الشرقية وأم المدنية المصرية والبابلية وخاصة ما يتصل بدراسة أحمد كمال فى هذا الشأن الذى أجرى مقارنة بين اللغتين المصرية القديمة واللغة العربية فى عدة فصول (م ١٨) وفى المجلد الخامس عشر خطاب مطول فى اللغة العربية لجبر ضومط تحت عنوان (بحث تاريخى فلسفى فى مواطن اللغة العربية المصرية ونسبتها الى أخواتها من اللغات السامية) ومما جاء فيه ان العلامة روتشن المؤرخ الأثرى يرجح أن المدنية المصرية القديمة لم يكن منبتها مصر بل جاءتها من العراق وبلاد العرب وان الباحثين اتفقوا على أن لغة الأشوريين وقدماء البابليين واحدة وان الآثار البابلية تثبت أن الناطقين باللغة السامية هنالك لم يكونوا من أصل البلاد الأصليين وانما جاءوها من مكان آخر ثم بين أن اللغة العربية هى أم اللغات السامية وسيدتها وأن أرومتها الأولى كانت فى اليمن وحضرموت وعمان وأنه تشعب منها فروع الى بلاد (بابل بالعراق) فعلى ما تقدم يكون كل من مدنية العراق وسوريا ومصر عربى الأصل ثم تولد من ذلك الأصل فروع استقلت .

ويعلق السيد رشيد رضا على ذلك فيقول : لكن علامة العاديات والآثار المصرية وأمام اللغة الهيروغليفية فى عصرنا احمد كمال (أمين دار الآثار المصرية) أظهر لنا من الاتحاد بين اللغة العربية المصرية القديمة ما لم يكن فى الحسبان فقد ألف قاموسا كبيرا أورد فيه ألوفا من الكلمات الهيروغليفية الموافقة للغة العربية المصرية فى الغالب اما موافقة تامة واما موافقة بضرب من التحريف أو القلب أو الابدال المعهود مثله فى اللغتين وكان المشهور عن أحمد كمال انه يرى أن العربية أصل اللغة المصرية

القديمة المدونة بالقلم الهيروغليفى ومن لوازم هذا ان اصحاب تلك المدنية كانوا من العرب ثم انه راى نصا يدل ظاهره على ان العرب انفسهم او بعضهم من المصريين فأخذ بظاهره حملا له على الصدق وبنى عليه محاضرته وذلك النص ما وجد منقوشا فى الدير البحرى بالأقصر فى زمن الدولة الثامنة عشرة (١٦٠٠ — ١٣٨٠ ق ٠ م) وهى أرقى دول مصر وفيه أن المصريين الأولين اشتهروا باسم الأغنياء وهاجر بعضهم الى القيروان وتونس والجزائر والى اواسط افريقيا والصومال وبعضهم قطع البحر الأحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين (م ١٥/١١٦) .

— ٣ —

ومن ناحية أخرى أولى المنار اهتمامه الى ما جاء فى المقتطف من اشارة الى ان فى القرآن كلمات اعجمية وقد كتب احمد كمال الأثرى المعروف تحت عنوان :

[براءة القرآن الشريف من بعض الألفاظ الأعجمية] .

واورد ١٧ كلمة واثبت انها عربية ، قال : اللغة المصرية اى لغة قبائل الأعناء التى سكنت مصر وما جاورها من الأقاليم هى اصل اللغة العربية بلا مراء بنص النقوش المذكورة آنفا . وقد نزل القرآن الشريف بهذه اللغة العربية ونص على ذلك نصا جرى فى آيات كثيرة . قال المفسرون ان فى القرآن الشريف كلمات غير عربية ولكنها لا تخرجه عن العربية كما أن الكلمة العربية اذا وردت فى القصيدة الفارسية لا تخرجها عن كونها فارسية وانا اخالف هذا كله فقد جمع المرحوم الشيخ حمزة فتح الله جميع الكلمات الواردة فى القرآن الشريف ويقال انها اعجمية وطبعها بأمر نظارة المعارف سنة ١٩٠٢ وها أنذا أخالفه فى ذلك مبينا أنها عربية لورودها فى اللغة المصرية القديمة .

أكواب وأباريق (سورة الواقعة) اكواب الكلمة مصرية عربية ، أباريق ليست بفارسية ولكنها مصرية وجدت مكتوبة فى حجر نقش بأمر أحد ملوك الحبشة وعثر عليها فى دنقلة فبقيت فى العربية بهذا اللفظ .

أب — وردت فى نقوش معبد دندرة وعلى جدران مدينة آبو فهى عربية لا أعجمية ، وفى القاموس : الأب الكلأ أو المرعى .

سرى — أي نهر بالسريانية والقبطية واليونانية وفاته كما فات غيره من المفسرين أنه مشتق من سرى يسرى وسرى به فاشتق منه سرى أى النهر .... الخ .

وتحدث في المجلد ١٥ من المنار صفحات (١٨٧/١١٢) جبر ضومط عن اللغة العربية ونسبتها الى اخوتها من اللغات السامية ، وعن القحطانيون والعبرانيون .

— ٤ —

وأولت المنار اهتمامها البالغ بالبلاغة والبيان وتحدثت عن كتاب أسرار البلاغة وضع عبد القاهر الجرجانى وقالت : لقد تنبه الناس فى هذا العصر الى احياء فنون اللغة العربية وتحصيل ملكة البلاغة فيها وقد أخذ الشيخ محمد عبده يقرأ هذا الكتاب على طلبة الأزهر وكذلك الفـجبر ضومط كتابا فى البلاغة أطلق عليه اسم (الخواطر الحسان) وكتاب آخر سماه (فلسفة البلاغة) على قاعدة الاقتصاد فى انتباه السامع (م ٣) .

كذلك أولى المنار اهتماما بالغا بالشعر العربى ونشر فى المجلد الثالث للرافعى والكاظمى وأحمد محرم والبارودى وشوقى وحافظ وتحدث عن الشوقيات كما تحدث عن الشعر وأوزانه ، ومادته وبناؤه .

— ٥ —

وقد عرض السيد رشيد رضا لمشروع التعليم بالعامية المصرية التى يراد بها احكام المؤامرة ضد الفصحى لغة القرآن فقال : واجهت المنار صيحة استبدال اللغة العامية السخيفة باللغة الصحيحة الشريفة ، استبدال الذى هو ادنى بالذى هو خير ، هذه الصيحة حركت الألسنة

والأقلام الى تعويق سهام الملام واقامة الحجة على الصائح بأنه يقصد منفعة قومه لا منفعة الذين يدعوهم الى ترك لغة دينهم وشريعتهم وعلومهم وآدابهم الذى ضعف بضعفها منهم كل مقوم من مقومات حياتهم وفى محوها من الواح التعليم ومحو أمتهم من لوح الوجود الاجتماعى . واشار الى صدمة جديدة على العربية وهى ظهور جرائد بالعامية : الحمارة واللجام والغزالة والشيطان مع سقوط مجلة البيان الفصيحة ونهضت الحمارة باللجام واحجلتاه ، ألم يكفهم هذا حتى قام جماعة يسعون لتعليم وتعلم اللغة العامية بحروف افرنجية .

وقال السيد رشيد رضا انه فند وجوه الخديعة الخلابة وكشف الغطاء عن ضروب التدليس والتلبيس فى الموضوع ونبه الى تقصيرنا فى احياء اللغة الصحيحة ونشرها بالتعليم القويم حتى كادت تمحى وتزول وحتى صار بعض الناس يعتقد أن احياءها محال وعلى الخطر الذى يتهددها اذا تمادينا فى اهمالنا واغفالنا .

الفصل الثالث

التربيــة والتعـليم

ـ ١ ـ

اذا قلنا ان لب لبـــاب دعوة حركة الاصلاح الاسلامى هى التربيــة والتعليم ما عدونا الحقيقة فقد كانت الفكرة الاسلامية للاصلاح هى احياء التربية الاسلامية وتغيير مناهج التعليم بحيث تدخل اليها العلوم الحديثــة واصلاح مناهج الجامع الأزهر وبناء المدارس الأهلية لاســتنقاذ عدد كبير من المسلمين من مدارس التبشير والارساليات ولوضـــع مناهج اسلامية أساسية فى مواجهة التحديات التى كانت تتمثل فى مناهج وزارة المعــارف التى وضعها دنلوب والتى فرغها من المفاهيم الاسلامية والتاريخ والأدب العربى والتراث بعد أن قضى على المناهج الدراسية التى كانت قائمة قبل الاحتلال وتحدث طويلا السيد رشيد رضا ، حتى ليمكن القول دون مبالغة انه لم يخل عام من الأعوام من متابعة الحديث عن ترشيد التربية والتعليم العام والأزهرى ، ومن أجل ذلك تحدث عن المدارس الوطنيـــة فى الديار المصرية والتعليم عنـــد القبط وسبب سبقهم للمسلمين وصـــبغ التعـليم بالصبغة الأجنبية ووثبة المصريين لانشاء المدارس الأهلية ، كما تحـدث المنار عن تربية البنات تربية خاصة مختلفة عن تربية البنين وكذلك تحدث عن تربية الأطفال والتربية النفسية وتعليم النســـاء تدبير المنزل وتربيـــة الطفل وتعليم الأمهات الأصول العامة لطباع الأطفال وغرائزهم، يقول فى نقد التعليم الرسمى وتعليم البنات (م ١٩٣/٥) لم يرد فى قانون التعليم ما يدل على أن البنات يتعلمن ما يختص بالنســـاء من الأحكام والآداب الدينيـــة ورجعنا الى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئا من ذلك ونحن نعلم كما تعلم نظارة المعارف أن النساء ليس لهن مورد من موارد العلم الا هذه المدارس فاذا جاز أن يكتسب التلميذ بعض ما يفوته من الأحكام الدينية فى المدرسة بمقياس أهل التعليم الدينى وحضور مجالسهم وسماع الخطب فمثـل ذلك لا يتأتى للبنات ولا للنســاء لأنه ليس فيهن عالمات بأمور الدين ثم ان البنات

أحوج من الصبيان الى الدين عقائده واعماله وآدابه لسبب آخـر هو أن وضعهن فى الشرق لا يزال فى تأخر عظيم والنسبة بين الرجال والنساء فى مصر كالنسبة بين المصريين والزنوج » .

واشار الى تعليم البنات فى المدرسة السنية وما تشوبه من قصور وشبهات حتى أن مس جريفس الناظرة الأولى للمدرسة السنية كتبت فى تقريرها : ان تعليمنا بلا تربية لا يفيد وان التربية لا تكون بغير دين وان توحيد طرق التربية والتعليم ضرورى فلا يصح أن يكون فى مدرسة واحدة دينان وان أولى الأديان بالترجيح فى مدارس حكومة اسلامية وبلاد اسلامية هو دين الحكومة فيجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الاسلامية فى مدارس البنات وجعلها الزامية ومن أثاره أن ترشد البنات وكن مثلها فى المدرسة حائرات » .

وقد ازعج هذا التقرير مستر دنلوب فاستغنى عنها .

وقد اشار المنار الى خطر دنلوب على وزارة المعارف (م ٢) والى عمله الخطير فى « محو معالم اللغة العربية وطمس آثار الديانة الاسلامية فى المدارس وجعل رسومها موائل ودوارس » قال : ولا لوم على من يخدم دولته وملته وانما اللوم والتثريب بل اللعن والتأنيب على الذين رضوا بأن يكونوا معاول فى يديه لهدم بناء جامعتهم الدينية واللغوية وهم يعلمون أن هدمها يعدم جنسيتهم بالكلية وفى هذا محو الملة والأمة من لوح الوجود ، وعاود السيد رشيد رضا الموضوع (م ٣) فأشار عن انشاء مدارس اهلية لمقاومة المدارس التبشيرية وانشاء مدرسة للبنات على نمط اسلامى كما أولى اهتماما كبيرا الى محاولة اصلاح التعليم فى الأزهر. وأولى اهتمامه بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية والاحتفال بها وقال ان الغرض منها هو تربية أولاد الفقراء فلو أمكننا أن نتلقفهم من الشوارع نرضى أوليائهم ، والمقصد هو أن ننزع من النفوس اعتقاد أن التعليم لا فائدة منه الا الاستخدام فى الحكومة ، وقد أوجدت الجمعية فى نفوس التلاميذ أن يعمل الواحد منهم عمل أبيه وان يعيش مع الناس فى امانة واستقامة .

وقال ان مدارس الجمعية الخيرية تأسست ١٨٩٢/١٣١٠ يوجد ٨٦٠ مشترك فى عواصم متعـددة للقطر المصرى ، المدارس اربع وبهـا ٣٥٠ تلميـذا .

ـ ٣ ـ

وفى مجال الدعوة الى التعليم والتربية الاسلامية أشار الى العلوم التى يجب تعلمها :

١ ـ علم أصـول الدين : (لا البحث فى غوامض علم الكلام كالوجـود هل هو غـير الموجود أم غـيره والصفات وهـل هى عين الذات أم غـيرها) .

٢ ـ علم تهذيب الأخلاق واصلاح العادات .

٣ ـ علم قضية الحلال والحرام والعبادات .

٤ ـ علم الاجتماع وأحوال البشر فى بداوتهم وحضارتهم ومللهم ونحلهم .

٥ ـ علم تقويم البلدان والجغرافيا .

٦ ـ علم التاريخ (مع التوسع فى معرفة تاريخ أمته وملته وبلاده وان يأخذ طرفا من التاريخ العـام) .

٧ ـ علم الاقتصاد الذى يبحث فى انماء الثروة وحفظها .

٨ ـ علم تدبير المنزل .

٩ ـ علم الحسـاب .

١٠ ـ علم حفظ الصحة .

١١ ـ علم لغـة البـلاد (يفتخر الافرنج بلغاتهم ويدابون على خدمتها ، وحق اللغة العربية على أبنائها) .

١٢ ـ فن الخط .

وقد أشار (م ٩) الى التعليم الدينى فى المملكة العثمانية وما أرسله الشيخ محمد عبده ١٣٠٤ هـ الى شيخ الاسلام فى الآستانة فى هذا الصدد ، أشار فيها الى الأخطار التى وقعت بسيطرة المدارس الأجنبية ، مدرسة الأمريكان واليسوعيين العزازية والفرير وجمعيات أخرى دينية أوربية ،

والمسلمون لا يستنكفون عن ارسال اولادهم الى تلك المدارس طمعا فى تعلمهم بعض العلوم المظنون نفعها فى معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الأوربية ، هذا التساهل المحزن ، بالعامة تعدى الى المعروفين من ذوى المناصب الاسلامية ، هؤلاء الضعفاء يدخلون فى سن السذاجة وغرارة الصبا ولا يسمعون الا ما يناقض عقائد الدين الاسلامى ولا يرون الا ما يخالف الروح الاسلامية ، بل لا يطرق أسماعهم الا ما يزرى على دينهم وعقائد آبائهم .

كذلك فقد اشار السيد رشيد رضا الى ان التعليم المنتشر فى البلاد العثمانية فى هذه الفترة (١٩١٠ م تقريبا) هو المانع الأعظم للعثمانيين من الاتحاد لاختلاف طرقه ولو كان عاما شاملا لكان الناس فى اتحادهم اشد واقوى .

كذلك فقد اشار الى المدرسة الكلية الأمريكية فى بيروت وما تقوم به مع الطلاب المسلمين .

واشار الى واقعة استقدام الرئيس للتلاميذ طالبا منهم تعهدا للقيام بالواجبات الدينية من دخول كنيسة ودرس توراة وانجيل حسب الشرح والتعاليق البروتستانتية التى يفر منها المسلم ويشكك فى صحتها (م ٦٣٧/١٢) .

وتابع هذا من بعد بحث آخر تحت عنوان : الالحاد فى المدارس العلمانية قال : اطلعت على بعض كلام لبعض مدارس المدرسة العلمانية اللادينية التى صار انشاؤها حديثا فى بيروت قوامه الطعن فى الدين وفى ذات الله تقدست ذاته ومن ذلك قولهم ان العقل يقودنا الى الحقيقة والايمان يقودنا الى الكذب وكثير من أهالى بيروت أرسلوا أولادهم للمدرسة المذكورة ليتعلموا بها اللادين .

واشار الى ما نشرته عن التعليم اللادينى جريدة المقطم فقالت ان نخبة من الماسون ورجال الجمعيات الأخرى شارعون فى انشاء مدارس للتعليم المطلق من كل سلطة دينية يعلمون فيها التلاميذ على مذهب ابن رشد ، وان فرنسا أقبلت على هذا التعليم منذ ١٨٨٢ فلم تر فيه فائدة فى ترقيتها

الأخلاق بل دلت الاحصاءات على أن الفساد زاد كثيرا فى الأجيال التى تخرجت فى عهده ولا يزال يزداد فى الأحداث بنوع خاص ، ومعدل المنحرفين والفارين من الخدمة العسكرية وازدياد الجنايات وقال : والعقلاء متفقون على أن ذلك نتيجة التعليم اللادينى وقال المسيو تمبلنو من رجال القضاء ان زيادة الجرائم الهائلة بين الفتيات قد بدأت بعد أن انتشر التعليم اللادينى ورأى ابن رشد بشجب المدارس اللادينية ، حتى اذا صمتت دعوتها الأولى وهى أنها تعلم العلوم فى معزل عن الدين فكيف وهى لا تقصد حقيقة سوى مقاومة الدين ومقاتلته ، وقد أعلن ذلك فينفانى فى مجلس النواب الفرنسى وقال اننا نقصد انشاء مدارس لمقاومة الدين وكفانا ذكر الحياد فى الأمور الدينية . هذه نتائج التعلم الذى يريد أن ينفحنا به ماسون الاسكندرية وأعوانهم » (م ١٤/١٩١١) .

وقد واصل السيد رشيد رضا دراساته عن التعليم والتربية فقال فى المجلد ١٥ : انه اختبر أحوال العالم الاسلامى اختبارا لم يتيسر مثله الا لقليل من أمتنا وكانت نتيجة هذا الاختبار أنه يعتقد اعتقادا قاطعا أنه لا رجاء لأمتنا الاسلامية بالنجاح والفلاح الا بتربية خاصة وتعليم خاص لطائفة من المسلمين ليكونوا مرشدين ومعلمين لأمتهم ثم لغيرها من الأمم كما يليق بهدى الاسلام الذى أكمل الله به دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينشغلون بعد ذلك عنه فحسبهم اصلاح النفوس وارشادها الى العمل بما تعلم وقال : وقد رأيت عقلاء المسلمين من العرب والترك والفرس والهنود متفقين معى على هذا الرأى ، هذا هو العمل الذى تألفت له جماعة الدعوة والارشاد ، وأول تهمة قذفنا بها المرجفون فى جريدة العلم المصرية هى أننا نؤسس جمعية سرية لاسقاط الدولة العثمانية وانشاء خلافة عربية وكانت حجتهم فى ذلك أننا نخفى عملنا ولا نظهر للناس أسماءنا وقانوننا » .

وتحدث المنار عن خطر المدارس التبشيرية فى البلاد العربية فقال :

قراء المنار يعلمون أن المدارس الافرنجية والمدارس المتفرنجة على اختلاف أنواعها من تبشيرية أنشئت لدعوة النصرانية وعلمانية أنشئت لمقاومة الأديان وكلها أخرجت للشعوب الاسلامية نابتة مضطربة فى أمر دينها ودنياها وسياستها وآدابها يقل منها من يعرف دينه معرفة صحيحة.

ويكثر فيهم الهدامون لبناء أمتهم ، واشار الى قول لورد سالسبرى عن أن هذه المدارس هى اول خطوة لاستعمار الشعوب التى تنشأ فيها ، فانها تخرج فيها طائفة تحالف سائر امتها فى عقائدها وتفكيرها وتقاليدها فتحدث فيها صدعا وشقاقا تنقسم به على نفسها فيقتلها هون الانقسام بأيديها ومصداق ذلك أن متفرنجة الترك قد هدموا تلك السلطة (الامبراطورية) الراسخة الأساس وانتهى أمرهم الى امارة صغيرة طردوا منها الشعوب المسيحية . ومن المعلوم عند كل من يعرف الاسلام أنه دين وتشريع سياسى قضائى ونظام اجتماعى وانه حكم عربى كما نطق به كتابه المنزل فان كان من مثار العجب أن يحاربه ملاحدة الترك ايثارا للعصبية اللغوية ، وقد جاء هذا ردا على مقال تحت عنوان العالم الغربى والعرب والاسلام وعن حرب اوربا للاسلام وسياستها معه ، وجهد اوربا فى تنصير المسلمين ومقاومة اوربا للاسلام فى بلاده وعطف اوربا على الأرض دون المسلمين (م ٢٦) واشار من بعد عن مسالة تعليم اولاد المسلمين بواسطة معلمين غير مسلمين وما عساه ينشأ من غير المسلمين أمور تنافى دين الاسلام سواء بالمقال ، او بالمال فى بذر الفساد فى النفوس لكونهم ضعاف وذوى نفوس ساذجة ، فقد يجوز الانتفاع بهم فى الحساب والاقتصاد فيما لا يخشى على الأولاد ضرر منه فى دينهم و لاتربيتهم القومية والملية . (م ٣١) وقد وسع هذا البحث من بعد فقال : ان تعليم الأولاد ما يجب عليهم من عقائد الاسلام واحكامه عندما يبلغون سن التكليف ومبادىء اللغة العربية التى هى لغة الاسلام فرض على والديهم وأولياء أمورهم فاذا كانت مدارس الدولة لا تمنع والديهم من تعليم ما يذكر من الأمور الدينية ولغتها ومن تربيتهم على هدى الاسلام واخلاقه ومن أهمها عزة النفس فلا مانع من ادخالهم فيها اذا كانت تمنعهم فلا يجوز ادخالهم فيها ، وأشار الى مدارس النصرانية (مدارس التبشير والارسالية) فقد ثبت بالاختبار العام أن هذه المدارس انما تنشئها لنشر دينها وتربية التلاميذ والتلميذات فيها على عقائدهم وعباداتهم وآدابهم وانها تتوخى بذلك ابعاد المسلمين والمسلمات منهم عن دين الاسلام بأساليب شيطانية تختلف باختلاف حال المسلمين من العلم والجهل . ان المدارس اللادينية التى تنشئها الجمعيات السياسية والالحادية تتوخى بث الالحاد بل الكفر المطلق بالرسل وما جاءوا به من الهدى والرشاد وقد ثبت

بالاختبار ان الالحاد فى الدين قد نشأ فى المتعلمين فى تلك المدارس كلها على درجات منهم المعطلة ومنهم الشاكون او اللاادريون ومنهم الذين يلتزمون الجنسية الدينية والسياسية والاجتماعية فى الزواج والإرث والأعياد والمراسم .

ومن آثار ذلك ما نراه من الفوضى فى الأمور الاسلامية والجهل ببعض الأمور المعلومة من الاسلام بالضرورة التى أجمع علماء المسلمين سلفا وخلفا على كفر جاحدها وعدم عذر جاهلها والدعوة الى مخالفتها . ومن آثار ذلك ترجيح المتفرنجين والى العصبية الجنسية للغات الأجنبية على لغة الاسلام العربية بل يجهلون ان الاسلام قد جعل لغة العرب لغة كل المسلمين لتكون عبادتهم واحدة وشريعتهم واحدة وآدابهم واحدة ويصدق عليهم قوله تعالى (ان هذه أمتكم أمة واحدة) من كل وجه .

فتعليم اولاد المسلمين فى المدارس التبشيرية والمدارس الدينية (الاييك) قد جنى عليهم فى دينهم ودنياهم وسياستهم واوطانهم وسلبهم اكثر ما كانوا نالوه بهداية دينهم . انهم أسلموا أولادهم وافلاذ أكبادهم لأعدائهم لأجل ان يجعلوهم مثلهم فيما كانت به دولتهم عزيزة قوية فقطعوا عليهم الطريق المستقيم الذى يوجههم الى ذلك وهم لا يشعرون ولا يعقلون .

وأكبر المصائب على المسلمين انه ليس لهم دولة اسلامية تقيم الاسلام فى علومه وسياسته وهدايته وتشريعه وتعليمه وتربيته فيرجعون اليها فيما يختلفون فيه من امورهم فى بلادها وغير بلادها وليس لهم جمعيات علمية دينية حكيمة غنية كجمعيات النصارى واليهود فيجب أن ننشىء لهم المدارس والملاجىء والمستشفيات فتغنيهم عن الالتجاء الى أعداء دينهم (م ٣٢) .

وعاود البحث مرة أخرى حول التربية الاسلامية والتعليم الاسلامى فقال :

الذى اعلمه انه لا توجد فى بيوت المسلمين ولا فى المدارس الرسمية ولا غير الرسمية ولا فى المعاهد الدينية (تربية اسلامية) مدونة أو متبعة بالعمل فى تنشئة أطفالهم فى البيوت ثم تلاميذهم فى المدارس والمعاهد عليها أخلاق الاسلام وآدابه وعباداته كالصدق والحب والحياء والأمانة وعزة

النفس وبر الوالدين وصلة الرحم والتعاون والاقتصاد والتراحم واجتنـــاب البذاء والفحش فى القول حتى يترعرع ويشب معتقد أن المسلم باســـلامه أعز الناس نفسا ، وأجدرهم بالكرامة واتباع الحق واحتقار الباطل وحب الخير للناس كافة ، وان يحب لذلك أن يكون قدوة لهم فى كل مرحلة وعادة وعمل ولا يليق به أن يكون تابعا أو مقلدا لقوم آخرين فيما بعد تفضيلا لهم على قومه مع اعترافه لكل ذى حق بحقه وكل ذى فضل بفضله وبراءته من كل ما فشا فى قومه من البدع والخرافات والعادات الضالة والســـــعى لازالتها ، أما تربية المدارس فروحها تفرنج تقتل الاســـلام قتلا بتفضيل كل ما هو أجنبى على ما يخالفه من عقائد الاسلام وشعائره وعباداته وأخلاقه وآدابه ومشخصاته ، وحسبك أن الصلاة التى هى عمود الاسلام وعنوانه ومغذية الايمان غير واجبة على أساتذة هذه المدارس ولا على تلاميذها . هذه المدارس قد وضع الانجليز نظمها وعينوا لها وجهتهـــا وغايتها كمـــا شاءوا ومن مقاصدهم فيها الا يكون لمن يتعلم فيها أدنى شعور بأن لقومه ملة اسلامية لها من المزايا فى دينها وتشريعها وحضـــارتها وتاريخها ما تعلو به على جميع الملك وما لا تشاركها فيه ملة أخرى وقد عزلت الناظرة الانجليزية التى كانت تتولى المدرسة الســـنية على عهد القس دنلوب لأنها قالت لابد من تعليم البنات الدين ودين الأكثرية هو الاسلام ومزق تقريرها ، ومدارس التبشير وراهبات الكاثوليك يحتقرون الاسلام وكل ما ينتمى اليه ويحتقرون لغته أيضا .

الفصل الرابع

قضـــايا المجتمـــع والمـــرأة

كانت قضايا المجتمع والمرأة فى مقدمة الموضوعات التى شـــغل بهـــا المنار وعمل على تقديم رأى الاســـلام ومفهوم الاســـلام فى مختلف المواقف فتحدث المنار عن وجهة نظر اسلامية فى الاشـــتراكية التى تدع اليها بعض الجمعيات فى أوربا (م ١٨٩٨/١) وقال الترف مهلكة الأمم ، وأشـــار الى أسواء المجتمع كالقمار والخمر والزنا وتحدث عن الاقتصاد وحرب الغـــرب لاقتصاد المسلمين وعن انشاء البنك الأهلى فى مصر ، وقال : الأوربيون علموهم أن حرب الدراهم والدنانير أنجح من حرب المدافع والبواريد وقد امتلـــكوا بهذه الحروب الذهبية والفضية أكبر بلاد الشرق فالانجليز استولوا علـــى ممالك الهند عن طريق جمعية تجارية وطأت المسالك ومهدت السبل لطلبها السلطة ويؤيدها النفوذ وكذلك شركة النيجر فى أحشاء أفريقيا ، وعقد عدة فصول عن البنوك ومعاملاتها من وجهة نظر الاسلام (م ٣٦١/١٠) وعن حوالات البنوك كما تناولت المنار علوم الاجتماع والأحوال الاجتماعيـــة فى مصر وما يتصل بالانحراف والقمار (م ٥٧٢/١) وتناولت الرقص الافرنجى (م ٩١٧/٤) ومضار تربية النساء الاستقلالية عند الافرنج (م ٥) وتحدث عما أسماه البغاء أو خطر العهـــارة فى القطر المصرى (م ١٠) وقال ألف الدكتور ثورتفاليس بك كتابا باللغة الفرنسية قال فيه : لعل الذين تركوا الدين فوقعوا فى الأدواء التى تنشأ من الزنا يعرفون الاخطار التى تساورهم فى أجســـــادهم وفى دينهم فيقل تهافتهم على هذه الفواحش المحرمة فى كل دين ، وأعتقد أنه لا علاج لهذه المصائب العمرانية والاجتماعية الا التربيـــة الدينية وان من يزعم أن الامتناع بضرر المعاصى وحده يعمل ما يعمل الدين من النزوع اليها فهو من الجاهلين .

وقد واصل المنار الحديث عن قضية المرأة وترشـــيد نهضة المرأة ، ودأب على نشر ما يؤيد وجهة النظر الاســـلامية فى هذا الشأن ، ونشر

محاضرة باحثة البادية التى القتها فى الجامعة المصرية على النساء (٥ ربيع الآخـــر ١٣٢٨) عن دور الطفولة والمراهقة والملابس والأزياء والخطبـة والزواج والاقتصاد المالي والمنزلي والعمل البيتي والأخلاق والعادات ودور الأمومة .

وعرض السيد رشيد لقضية المرأة فى (المجلد ٣٣) فيقول : كان من فوضى الأقلام وحرية الاباحة والالحاد ان تصدى للتحرير فى الصحف وتصنيف الكتب والقصص أفراد من المتفرنجين الاباحيين ، انتحلوا لأنفسهم دعوى التجديد وزعامة الحضارة فوجهوا دعوتهم الى النساء والشباب لانهما أسرع انخداعا وأسلس قيادا وما زالوا يشوهون لهم كل قديم كانوا عليه ويزينون لهم كل جديد ضار بعروبتهم ولا سيما حجاب النساء وعفافهم ولزوم بيوتهن وطاعة رجالهن حتى هتكن الحجــاب والقين جلابيب الحياء ونشر الأرواح على بعولتهن وتمرد العذارى على آبائهن وخروجهن فى الشوارع والأسواق كاسيات عاريات مائلات مميلات كما ورد فى الحديث الصحيح وصفا لنساء سوف يأتين ممن سيدخلن النار ثم صارت الجمعيات النســوية تجمع بين النساء والرجال فى محافلهن الخاصة بهذه الصنعة للرقص الشرقى وتعاطى كؤوس الخمر ثم صار هؤلاء وهؤلاء يخرجن من البيوت الى سواحل البحار بمآزر الحمام يجتزن الشوارع فرحات مرحات حتى اذا التقين بالرجال على الشاطىء خاصرنهم الى حيث يسبحن معهم فنونا من سباحة الاباحة لم يبق معها للدين ولا للشرف ولا للعفاف ولا الصيانة قيمة ، هذا الفساد وخطره على الأسرة فالوطن فالأمة ..

وتحدث فى موضع آخر عن اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل (م ٢٠) فقال ان اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل يشمل على منكرات محرمة منهـا ظهورها فى أعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضـائها كالرأس والنحر وأعالى الصدر والزراعين والعضدين وتحريم هذا مجمـع عليه معلوم من الدين بالضرورة ، ومنها الاشــتراك مع الرجال الممثلين فى أعمال تكثر فى التمثيل ان لم يكن من لوازمه فى كل قصة كالمعانقة والمخاصرة والملامسة بغير حائل ، وفيها غير ذلك من المنكرات التى تشمل عليها بعض القصص دون بعض كالتشبه بالرجال وتمثيل وقائع العشق والغرام المحرم

بما فيه من الأعمال المحرمة لذاتها أو لكونها ذريعة الى المحرم لذاته (وعاود السيد رشيد الحديث عن موقف المرأة فى التمثيل والتياترو فى المجلد (٣٨/٤١) .

وتحدث عن التمثيل والتياترو فقال : المجموع الذى يتضمن المحذور يكون محذورا وان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وقد نهى القرآن عن ابداء النساء زينتهن لغير بعولتهن أو آبائهن ، فما بالك بما هو شر منهسا وهو الرقص مع الأجانب أو مطارحتهم الغرام وتمثيل معاملتهم معاملة الأزواج تارة والأخوان أخرى ، وقال ان من عصيان المرأة أن تبدى ما خفى من زينتها فى التمثيل ورقصها مع الرجال وان اتباع التقليد يقطع الرابطة الاسلامية ويهدم الجنسية فليس ضررها محصورا فى عصيان بعض النساء لأمر الله وجراتهن على انتهاك محارمه ..

ولقد الف السيد رشيد رضا كتابا تاما فى قضية المرأة تحت عنوان (نداء الجنس اللطيف) نشر مقدمته وفصولا منه فى المنار وقدم فيه مفهوم الاسلام لكل قضايا المرأة .

أما ما يتعلق بقضية تحرير المرأة التى اثارها قاسم أمين باصدار كتابه (تحرير المرأة) و (والمرأة الجديدة) فقد وقف منها السيد رشيد رضا موقف جماعة صالون نازلى فاضل ، وان كان قدم ما كتب فى معارضته مثل كتابى فريد وجدى وطلعت حرب وقال ان كتاب فصل الخطاب فى المرأة والحجاب وضعه طلعت حرب للرد على كتاب المرأة الجديدة كما الف (تربية المرأة والحجاب) للرد على تحرير المرأة وقال ان قاسم أمين غالى فى بيان مضار التشديد والمبالغة فى الحجاب وبالغ جدا فى جعل نجاح المسلمين متوقف على ازالة الحجاب المعهود فى الأذهان والموجود اثره فى العيان واعتذر عنه بأنه افراط فى مقابلة التفريط فى التشدد بالحجاب حتى جعل مانعا من العلم (وأشار الى ما أورده قاسم أمين فى فضائل الحجاب

ومحاسنه وضرر التبرج والتهتك فى رده على الدوق داركور أولا) واشار الى أن فريد وجدى فى كتابه المراة المسلمة اورد جملة حقائق اهمها :

١ — ان المرأة أضعف من الرجل جسما وأقل منه قبولا للعلم لأن وظيفتها الطبيعية تقتضى ذلك لا لأن يكون خاضعة للرجل .

٢ — كمال المرأة موهبة روحانية هذا الكمال لا تناله المراة الا اذا كانت زوجة لرجل وأما لأطفال .

٣ — ان اشتغال المرأة بأشغال الرجال قتل لمواهبها .

٤ — ان الحجاب ضرورى للنساء لصلاح النوع الانسانى .

٥ — ان تعاليم الاسلام للمراة موافقة لفطرتها تمام الموافقة .

٦ — لاينقص المرأة المسلمة لكى تبلغ أكمل نقطة يمكن أن ينال جنسها الا تعلم مبادىء العلوم العصرية .

الفصل الخامس

احيـــاء التـــراث

كان احياء التراث وعرض المجدد منه من أبرز أعمال المنار فقـد كان هذا العمل جزء من خطة الاصلاح ركز عليها الشيخ محمد عبده حين أحيا كتابى أسرار البلاغة ونهج البلاغة رغبة منه فى رفع مســتوى الأســلوب العربى ورده الى عصور الأزدهار ففى المجلد الثالث يشــير « الى اهتمام الشيخ عبده بكتاب أسرار البلاغة واعادة طبعه وذلك فى نطاق الدعوة الى الرجوع فى العلوم الاسلامية الى الوراء بضعة قرون والأخذ بكتب الائمــة الذين دونوا العلوم ووضعوا الفنون وقد خالفه علماء الأزهر الأزهر فى ذلك ومن ذلك أن كتاب عبد القادر الجرجانى أسرار البلاغة لم توجد نسخة منه فى مصر فاستحضرت من الشام وروجعت مع نسخة فى الآستانة »

قال السيد رشيد : ان هدف الشيخ محمد عبده مواجهة الضعف فى أسلوب الكتابة والبيان ، وقد خالفه فى ذلك علماء الأزهر من يعجز منهم عن فهم كتب القدماء فضلا عن تدريسها ويثقل عليه أن يقرن العلم بالعمل لأن ما عنده من العلم خيالات لا تهدى الى عمل فبعد أن سعى لطبع (البصائر النصيرية) فى المنطق وأ تم قراءته درسا فى الأزهر وجه نظره الثاقب لطبع كتاب امام البلغاء بل واضع فنون البلاغة ومؤسسها الشــيخ عبد القاهر الجرجانى (ســقى الله ثراه) ولعبد القاهر كتابان فى البلاغة مشــهوران ينقل عنهما العلماء ، أحدهما أسرار البلاغة والثانى دلائل الاعجاز ولا يوجد فى القطر المصرى نسخة من الكتاب الأول ولكن كانت توجد منه نســخة فى طرابلس بالشام فاستحضرتها بأمر الأستاذ وبعدما نظر فيها رأى فيها غلطا نســخيا وعلمنا أن فى بعض مكاتب الأســـتانة العلية نسخة أخرى فأمر الأستاذ بعض طلاب العلم النبهاء فذهب الى الأستانة مخصوصا وقابلهــا عليها فخرج من النسختين نسخة صحيحة تولى الأستاذ تصحيحها وضبطها بنفسه وأمرنا بطبعها فباشرنا الطبع وباشر هو تدريس الكتاب فى الجامع

الأزهر فأقبل على حضور دروســـــه مع المجاورين كثير من العلماء وكبار الموظفين والكتاب والشعراء وأساتذة المدارس الأميرية ، أما عبارة الكتاب فهى فى الطبقة الأولى من السلامة والمتانة وأسلوبها عربى صريح لا عرقى معقد » .

وتحدث المنار على مدى ســـنواته الطويلة عن المؤلفات التى حققت وبعثت من التراث وهى كثيرة منها نهاية الأرب فى فنون الأدب ، وعيـــون الأخبار والأغانى وكتاب أساس البلاغة للزمخشرى والذى عنى بتصحيحه الشيخ محمد محمود الشنيقطى (والكتاب وضع لبيان الاستعمال الفصـــيح والأسلوب البليغ منها وتصريف القول فى أساليبها ومضامينها ومنه الحقيقة والمجاز والكناية) وقد كتب للخواص من أهل العلم والأدب ، وأشار الى عشرات الكتب منها الحسبة فى الاسلام أو وظيفة الحكومة الاسلامية لابن تيمية والاشارة الى محاسن التجارة لأبى الفضل جعفر بن على الدمشقى ، والسياســـة الشرعية لابن تيمية ، وفيصـــل التفرقة بين الايمان والزندقة للغزالى ومســـند الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهى . واحياء علوم الدين للغزالى والاعتصام والموافقات للشاطبى ، ومقدمة ابن خلدون واحياء كتاب التبر المســـبوك فى نصيحة الملوك لأبى حامد الغزالى كتبه للملك العادل السلطان محمد بن ملك شاه (ولاحظ السيد رشـــيد على الكتاب الغلو فى الرهبنة والنهى عن العناية بعمارة الدنيا) وكتاب عيون المسائل فى أعيان الرسائل لعبد القاهر بن محمد الحسنى (وهو دليل على أن رجال الأزهر حتى القرن العاشر كانوا يقرؤون العلوم الطبية والفلـــكية والطبيعية التى يعاديها علماء الأزهر اليوم (م ٣) .

وتحدث عن مغارى الواقدى فى فتوح الشام وقال : انتقده الشـــيخ محمد عبده وقال أنه كان من عمال الدولة العثمانية ولاه المأمون القضاء فى عسكر المهدى وقال ابن خلكان : ضعفوه فى الحديث وعدوه ضعيف الرواية ليس من أهل الثقة لهذا نفى الامام الرملى من علماء الشـــائعة على أن لا يؤخذ بروايته فى المغازى فان كان هذا الكتاب المطبوع الموجود فى أيدى الناس من تصنيفه فهذه منزلة من الضعف عند علماء المسلمين على أنى لو حكمت بأنه مكذوب عليه مخترع النســـبة اليه لم أكن مخطئا (م ٣/٧٥٩)

وقال ان كثير من عباراته يظهر منها وجه المخالفة بينها وبين مناهج أبناء القرون الأولى فى التعبير وهذا لا يحتاج الى بيان والعارفين بأطوار اللغة العربية يعلمون ذلك فهذا الكتاب لا تصلح الثقة به اما لأنه مكذوب النسبة على الواقدى وهو الأظهر واما لضعف الواقدى نفسه فى رواية المغازى ».

— ٢ —

وكما أولت المنار اهتمامها الواسع للتراث الاسلامى المجدد وكان لها دور فى احيائه وطبعه كذلك فقد اهتمت بالمؤلفات الاسلامية الجديدة التى كانت من ثمار حركة الاصلاح فى الأغلب وقد عرضت لكثير منها :

تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية	فريد وجدى
تاريخ دول العرب والاسلام	طلعت حرب
نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين	محمد الخضرى
الفقه والتصوف	الزهراوى
طبائع الاستبداد	الكواكبى
الدنيا فى باريس	أحمد زكى
أشهر مشاهير الاسلام	رفيق العظم
الشوقيات	أحمد شوقى

كذلك فقد اهتم بالمؤلفات التى كتبها غربيون عن الاسلام وترجمها بعض الباحثين :

الاسلام : كونت هنرى دى كاسترى ترجمة أحمد فتحى زغلول .

العصبية الاسلامية : عبد الله كوليام رئيس المسلمين فى ليفربول بانجلترا عربه محمد ضيا المصرى يحتوى على شهادات علماء أوربا واشتهر كتابها بفضل الدين الاسلامى فى نشر المدنية وارتقاء العمران ».

سر تقدم الانجليز : أحمد فتحى زغلول .

هذا وقد نشر السيد رشيد رضا مؤلفات هامة فصولا فى المنار :

أم القرى : عبد الرحمن الكواكبى ، المستقبل للاسلام : محمد توفيق البكرى ، الاسلام والنصرانية فى العلم والمدنية : محمد عبده .

وقد أولى السيد رشيد رضا اهتماما خاصا بكتاب على أبو الفتوح « خواطر فى القضاء والاقتصاد والاجتماع » وبها مقال عن الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية (م ١٨) قال المؤلف : يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادىء المقررة فى الشريعة الغراء لا توافق هذا الزمان الذى بلغ فيه الانسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة ويتوهمون أن الأحكام والروابط التى فى القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها فى الأصول الاسلامية ولكن الباحث فى الفقه الاسلامى ولو قليلا لا يلبث أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا من الرفاهية وتقرير المبادىء العمرانية والاجتماعية والقضائية شأوا قلما يجاريهم فيه أحد الا أن صعوبة كتب المتأخرين وطريقة تأليفها والتواء أساليبها وتعقيد عباراتها قد أوصد الباب . وقال : أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد المؤلفات القديمة لأنها أسهل موردا وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد وتنزهها عن المشاغبات اللفظية ويترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها دون ملل ، وأشار الى كتاب الخراج لأبى يوسف فقال : عثرت فى هذا الكتاب على درر كثيرة عمدت الى نظمها فى هذه المقالة ... الخ .

كذلك فقد أولى السيد رشيد رضا اهتماما خاصا بكتاب تطبيق الديانة الاسلامية على النواميس المدنية لفريد وجدى وقال ان فريد وجدى على طريقة الأستاذ الامام وقال : من الأسف أن أكثر التصانيف الاسلامية فى القرون الأخيرة أو كلها مأخوذة من كتب المتقدمين نسخا يشبه المسخ وانه لم يكن يوجد عندنا كتاب فى الدين اذا عرض على متمدنى هذا العصر يأخذ من قلوبهم مأخذا يستلفتهم الى النظر الى الدين يتمثله سائقا لهم الى سعادة الروح والجسد على الوجه الذى يناسب زمنهم وعمرانهم حتى قام حكيم المسلمين فى هذا العصر العلامة الشيخ محمد عبده والف رسالة التوحيد الشهيرة وأمامنا الآن كتاب تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية مؤلفه الشاب الذى فاق الشيوخ اناة وكمالا عملا بعلمه

محمد فريد افندى وجدى بين أن الدين ناموس عام ضرورى فى الكون كسائر نواميسه وبين أن العلوم الطبيعية خدمت الاسلام وانهـا كلما ترقت وزاد الناس رسوخا فيها زادوا قربا من الاسـلام وكشف عن براءة الاسـلام من الحقد الدينى المعبر عنه بالتعصب والاسـترقاق وأن الاسـلام راعى ناموس الحضارة والدين الوحيد الذى راعى حقوق الروح والجسد معـا وكفى الكتاب شرفا أننا جعلناه ثانيا لكتاب رسالة التوحيد الذى لم يؤلف مثلها فى الاسلام وقد جرى المؤلف على آثار الأستاذ فى الرسالة أسلوبا وبحثـا .

وأشار الى ديوان الشوقيات الذى أصدره أحمد شوقى أمير الشعراء فقال : ان للشوقيات أبواب يدخـل فيهـا أنواع القول وفنونه وضروبه وشجونه من آداب وأخـلاق وحكم وأمثال وغزل ونسيب ومديح ورثاء ، وحاشاها من الذم فقد ضربت آداب شوقى بينه وبين الهجو بسور لا باب له فيفتح ولا يخرق ولا يتسلق أما حكمه ومواعظه فصـوادع ، وأما أسلوبه فحلوب رائع ، وأما قديمه فقد أحله محله وارتقى به الى مكانة تليق به ، فجعله مقصور على أمراء مصر (اسـماعيل وتوفيق وعباس) وأما الرثاء فلم يتجاوز الأمراء الا الى بعض العلماء والكبراء ولا تسل عن سائر الشجون وما فيها من الفنون والفتون (م ٢/٥٦٦) .

الفصل السادس

وفيــات الأعيــان وكتاب المنــار

كان للمنار موقف واضح من الشخصيات البارزة فى العالم الاسلامى كله ســواء أكانوا من أنصــار حركة الاصــلاح أم من أعدائها ولم يفتها أن تذكرهم فى مناسبات الأحداث وأن تنعاهم فى حال الوفاة وكان موقفهــا معتدلا كريما الا مع قلة قليلة من خصوم الأســتاذ الامام فى الأزهر أمثال الشيخ محمد بخيت والشيخ عفيفى وكان لها معارك ومساجلات وخلافات واضحة مع عبد العزيز جاويش وفريد وجدى وقد عرضنا أسماء من رثتهم المنار على مدار السنوات أمثال نعمان الألوسى وحسن الطويل ومحمد بيرم والسنوسى ، كما أولت المنار تقديرها لكتابها أمثال رفيق العظم ومحمد توفيق صدقى وجمال القاسمى والكواكبى .

وكان المنار حفيا بتلاميذ الأستاذ الامامحتى ولو اختلف منهجهم كما فعل مع سعد زغلول حيث قال عنه (م ٢٢) : الا أنه ينقصه من صفات الزعماء السياسيين — كما يقولون — ما يسمونه المرونة السياسية وهى تشــمل سعة الصدر والحلم والمواراة والتمويه والخداع وان شئنا قلنا والبراعة والكذب الذى يحتمل التأويلات الكثيرة والتملق والبراعــة فى الاســتمالة والتزلف عند الحاجة ، وقد زادوا فى هذه الأيام نعته أنه مستبد لا يخضــع للشورى فهو يعمل باسم الوفد ما يراه وان خالف قرار الأكثرين وهذا خلاف ما يعرف فيه ويعهد فيه ..

كذلك فهو يتحدث عن حسن الطويل (م ٢) أنه أحد أركان النهضة العلميــة الأدبية فى مصر وتلاميذه هم تلاميذ السيد جمال الدين الأفغــانى كان يصرح بانتقاد الحكام فى السياسة وانتقاد شأن الناس فى عاداتهم التى أضرت بدينهم ودنياهم لاســيما الغلو بتعظيم القبــور وطلب الحوائج من الأمــوات .

وأشار الى أن الكواكبى فى كتابه « أم القرى » قد أشار لاسمه برمز « الرحالة ك » ليحكم الناس على القول بذاته ولذاته فاذا الذين يعرفون شخص الأستاذ الهمام السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبى الحلبى وفضله فيقولون أجدر بهذا الكتاب ان يكون له ، أما الذين لا يعرفونه فليحفظوا هذا الاسم الذى يطابق الرمز الى أن يجىء يوم يستدل فيه هذا الرحالة التصريح بالتلميح ، وأشار فى (مجلد ٤) الى بعض كلام فى كتاب أم القرى عن الدولة العلية فقال انه يؤلم أكثر الناس ولا ينبغى أن يعرفه الا الخواص .

ولا ريب أن معظم أعلام المنار على امتداد حياته كلها هو الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، وقد أشار فى غير موضعه الى أسلوبه فى التعليم ودعوته الى ايقاظ أهل الأزهر الشريف وارشادهم بطريقة التعليم المثلى فلقى فى ذلك من العناء ما كان يلقاه المصلحون من قبله ، وعلم أن الارشاد بالقول قليل الجدوى فصار يقرأ الدروس بنفسه وفى ليلة الأربعاء أتم كتاب البصائر النصيرية فى علم المنطق وقد احتفل بتمامه فى الرواق العباسى وأشار الى اهتمامه باختيار الكتب وانه لضعف العلم فى القرون الأخيرة صار العلماء لا يقرءون الا كتب المتأخرين والتى كتبت على الشروح والحواشى الملأى بالمنازعات والمحاورات ولا يكاد يتجرأ عالم على قراءة كتاب من كتب الجهابذة المتقدمين التى لم تشرح ولم يعلق عليها الحواشى فعلمنا الأستاذ كيف نختار الكتب النافعة وعلق عليها شرحا يبين غوامضها وأصلح ما عساه يوجد من الخطأ ، علمنا كيف نمحص الحقائق للوصول الى اليقين بالعلم ليخرجنا من الحيرة الى طريقة التعليم المألوفة لهذا العهد : طريقة الاحتمال وسرد الأقوال وقد فند كلام أفلاطون وأصلح رأى أرسطو فى الماهيات وكان من آيات شجاعته هى رفع القيد الذى هو التقليد الأعمى ووضع الميزان الصحيح الذى لا ينبغى أن يقر رأى ولا فكر الا بعد ما يوزن به ويظهر رجاحته وبهذا يكون الانسان حرا خالصا من رق الأغيار عبدا للحق وحده ، وهذه هى طريقة معرفة الشىء بدليله وبرهانه ما جنينا من علم المنطق ، وانما هى طريقة القرآن الكريم الذى ما قرر شيئا الا واستدل عليه وأرشد متبعه الى الاستدلال انما المنطق

ان يضبط الاستدلال كما أن النحو له لضبط الألفاظ فى الاعراب والبنـــاء .

ويتحدث السيد رشيد رضـــا عن مدرسة الشـــام السلفية بمناسبة وفاة العلامة محمـــد جمال الدين القاسمى (م ١٩١٣/١٧) ويشـــير الى أن مدرسة الشام السلفية قوامها عبـــد الرازق البيطار ، مجـــدد مذهب السلف فى الشام ، وطاهر الجزائرى ، وسليم النجار ، ورفيق العظم ، وكرد على ، وقد جاء مصر مع البيطار فى عهـــد الامام وقد مضى القاسمى فى الدعوة الى الاصـــلاح المدنى لحاجتها الى الاصلاح الدينى وتصدى له التقليديون وأخذوا يكيدون له .

وممن أولى المنار اهتمامه بهم زعماء الاصلاح فى الهند الاسلامية : وفى مقدمتهم شبلى النعمانى وشـــوكت على : يقول فى رثاء شـــوكت على (م ٥٥٧/٣١) انه تربى وتعـــلم فى البلاد الانجليزية وتخرج فى مدرســـة أكسفورد الجامعة وعاد الى الهنـــد متفرنجا فى زيه وهيئته وأكله وشربه وأثاث داره ولقاء زواره وكان يظن أن هـــذا يقربه الى الانجليز الحاكمين فى بلاده زلفى ويزيده عندهم ودا ولكنه لم يزده الا امتهـــانا منهم فاستيقظ من رقدته وتنبه من غفلته وعاد الى شارات قومه وشعائر ملته فاضطروا الى احترامه ومراعاة كرامته ، ودعا الى الاعتصـــام بكتاب الله وســـنة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا الى التربية الدينية الاسلامية وتحذيره النابتة الجـــديدة من تقليد الافرنج فى أزيائهم وعاداتهم وتقاليدهم واقتنـــاع الشبان المفتونين بهذه المظاهر لضررها القومى والسياسى » .

كذلك فقـــد أولت المنـــار اهتماما لتراجم عدد من أعلام الاســـلام : الشافعى ، المعرى ، الغزالى ، شاه العجم ، ونشرت شـــعرا لمصطفى صادق الرافعى ، وعبد المحسن الكاظمى ، ومحمود سامى البـــارودى ، وشوقى ، وحافظ ابراهيم ، وأحمد محرم .

الفصل السابع

المجـــلات والصحف

- ١ -

منذ أن ظهرت المنار (وبالرغم من أنها مجلة شهرية) فقد كان لهـا شخصيتها وموقفهـا من مختلف الصحف اليوميـة الكبرى لرسالتها ذات الطابع الاسلامى المتميز ، وكان لها مع ذلك موقفهـا القائم على التقـدير البالغ لجريدة المؤيد فهى دائما تتابع موضوعاتها وتعـدها أصدق الصحف وتعتبرها من أسلحة الاسلام ، وكانت المؤيد قد صدرت قبل المنار بسنوات وتحمل طابع الصحافة الاسلامية اليومية وان كانت على ولاء كامل لخديو مصر والمعروف أن جريدة المؤيد أنشئت بعد أن ظهرت جريدة المقطم مؤيدة للنفـوذ البريطانى بينما كانت جريدة الأهـرام مؤيدة للنفـوذ الفرنسى ، وقد أشار المنار الى الصحف الاسلامية القائمة وخاصة الى مجلة ثمرات الفنون التى كان يصدرها عبد القادر القبانى فى دمشق (وكان ذلك بمناسبة مرور ٢٥ عاما على تأسيسها) المجلد الأول من المنار .

كما أشارت لصدور مجلة الحياة (فريد وجدى) عام ١٨٩٩ بعد المنار بعام واحد وقد أشارت الى المؤيد (م ٢) فقالت انها كبرى الجرائد العربية دخلت فى السنة الحادية عشرة وهى ثانيـة على منهاجها فى خدمة الدولة العليا فى مصر على ما تحب وترضى والمدافعـة عن حقوق مصر والمصريين التى هضمتها الدولة المحتـلة على وجـه نالت به ثقة السـواد الأعظم من الأمة ، ولقى صاحبها فى بداية ما يندر أن يثبت معه شرقى على عمـل فكانت له العاقبة فصدق عن قول صاحب الحكم (من لا يكون له بداية محرقة لا تكون له نهاية مشرقة) وقـد سمى العشر الأول من عمر جريدته طور الطفولة وفى هذا من الهضم لنفسه ولعمله الناجح ما كان ينبغى أن يكون أسوة للذين يوعوا جرائدهم وهى أجنبية مقاعد الشيخوخة .

— ٢ —

ولما ظهرت جريدة اللواء ظهر خلاف كبير بينها وبين المنــار نتيجة لاختلاف الوجهة بين حزب الاصلاح الاسلامى وبين الحزب الوطنى الذى كان بزعامة مصطفى كامل مواليا للخديو معاديا للاحتلال البريطانى بينما كان حزب الاصلاح بزعامة الشيخ المفتى معاديا للخديو مواليا للاحتــلال يقول رشيد رضــا :

صاحبها سعادتلو مصطفى كامل بك ظهرت فى غرة رمضان المبارك أصغر وألطف من سائر الجرائد اليومية حجما وأقل ثمنا ، ولا تعلم ماذا يكون من أمر هذه الجريدة ولكن نظن أنها اما أن تتلو تلو غيرها اما أن لا تروج أما مواضيعها فهى فائقة عن ذلك الرجل الكبير اللهج بالوطن وحب الوطن وخدمة الوطن ، وقد ضم الى هــذه الكلمات أخيرا ذكر الاســلام والدين أما الاسلام والدين فلا ينتظر من هذه الجريدة كلام مهما يفيد الأمة الا بتتبع ما يذكر منها من الجرائد الافرنجية .

وقال : انتقدنا عليهــا أمرا ذا بال هو الارجاف بأن بعض النــاس فى مصر يسعون فى اقامة خلافة عربية كان الخلافة من الهنات الهينات تنال بســعى جماعة أو جماعات ولا يمكن احتقار مقــام الخلافة الأعلى بأكبر من هذا الارجاف فان مقام الخلافة أسمى من أن يتطاول اليه أحد وقد سلم السواد الأعظم من المسلمين زمامه لبنى عثمان سلميا والرابطة بين الترك والعرب هى كما قال كمال بك الكاتب الشهير موثقــة بالأخوة الاسلامية والخلافة العثمانية فان كان أحد يقدر على حلها فهو الله تعالى وان كان أحد يفتكر فى ذلك فهو الشيطان ويعلم كل خبير بحال هذا الزمن أنه لا يرجف بالخلافة فيه الا رجلان : رجل اتخذ الارجاف حرفة للتعيش وأكل السحت أو التحلى بالوسامات والألقاب الضخمة ورجل اتخــذه الأجانب لخــداع بسطاء المسلمين بايهامهم أن منصب الخلافة ضعيف متزعزع يمكن لأى أمير أن يناله ولاية جمعيــة أن تزحزحه عن مكانه ليزيلوا هيبتــه من القلوب ويقنعوا نفــوس العــامة الأغــرار بامكان تحويله فى وقت من الأوقات وبأن المسلمين ليسوا راضين عن الخلافة العثمانية جميعا . وكان مصطفى كامل أفندى يوم ألف كتاب المسألة الشرقية ينسب هــذا الطمع الأشعبى

للانجليز واليوم ترى مصطفى كامل بك يلقى القول فيه على عواهنه فى خطبه وجريدته ويدع نفوس البسطاء تذهب اليه كل مذهب (م ٢) .

وفى موضع آخر يتحدث عن المنار الاسلامى واللواء الوطنى فيقول :

بينهما تضاد فيما يسمونه المبدأ فالمنار يدعو الى الاصلاح الاسلامى ويثبت أن المسلمين لا يلقونه الا بترك البدع ورجوعهم فى الدين الى ما كان عليه السلف وبأخذهم بوسائل القوة والمدنية العصرية فى أمر الدنيا .

وجريدة اللواء لا رأى لها فى الدين والاسلام . ولكن لها وطنية عمياء من معناها أنه يجب على كل مصرى أن يتعصب على كل من يقيم فى مصر من غير أهلها وان كان مسلما وعلى كل مصرى مسلم أن يتعصب على كل مصرى ليس بمسلم وهذا ما ينقضه المنـار .

ويقول فى موضع آخر : كان صاحب جريدتى اللواء والعالم الاسلامى (يقصد مصطفى كامل) على غروره بنفسه يشعر بأن جريدته لا قيمة لها فهو يخترع الرسائل ويدعى أنها جاءته من الهنـد وجاوة الآستانة وغيرها من البـلاد ثم يتبجح ويفتخر بذلك ويدعى أن جريدته موضع ثقـة الأمم والشعوب الاسلامية فى العالم الاسلامى ولعلك لا تجـد شيئا من هـذا التبجح فى جريدة أخرى الا ما يسمونه بالجرائد الساقطة (م ٨) .

— ٣ —

ويواجه المنار حملة جريدة الوطن القبطية التى هاجمت مشروع احياء الآداب العربية فيقول : عزمت الحكومة المصرية على طبـع بعض الآثار العربية من المصنفات النافعـة النادرة بالمال الخاص بدار الكتب المصرية وكان لديها فى الميزانية ألف جنيه لتنشيط الآداب العربية ولا ريب أن المال الذى خصصته قليل فهى تنفق أكثر منه فى ضيافة أحـد ضيوف الأمير يوما واحـدا وتنفق أكثر منه فى مساعدة التمثيل الافرنجى الذى يرى جمهـور الأمة أن اثمه أكبر من نفعه . ولم يكن يخطر فى البال أن يلقى هذا المشروع اعتراضا حتى سمعنا نعاب صـاحب جريدة الوطن القبطية يدعو بالويل والثبور وينعى على الحكومة المصرية عملها ويندب الشعب المصرى مدعيا أن الحكومة تريد بهذا العمل افسـاد آدابه ومنعه من العلوم والمعـارف

الصحيحة التى ترقيه وتجعله من الشعوب العزيزة الراقية وزجه فى ظلمات الخرافات والسفاهات والسخافات والجهالات العربية ويزعم أنه لا يوجد فى الكتب الغربية غير تلك المضار التى استفرغ كل ما فى جوفه وجعله وصفا لها وكل اناء ينضح بما فيه لم يكتف الكاتب بتحقير جميع العرب والقدح فى كل ما كتبوا ووضعوا حتى خرج يذم دينهم وليست علة صاحب الوطن هى الجهل فنداويها بما ذكرنا من العلم الصحيح فان الجهل وحده لا يستطيع أن يهبط به الى هذه الدركة من الخذلان وانما علته هى الغلو فى التعصب القبطى وكراهة كل شيء ينفع الاسلام والمسلمين وان نفع غيرهم ولم يضرهم (م ٩٠٨/١٣) .

ولا يتوقف المنار عند هذا الحد فهو منافح عن مفهوم الاسلام ازاء اى صحيفة او كاتب ومن ذلك موقفه من لطفى السيد (م ٣٩٩/٧) يقول : يكتب صاحب الجريدة بحسب هواه ويضحك على الناس غاشا اياهم بأنه يخدمهم ولا عجب اذا راجت على الغافلين دعواه . من اطراء الأمراء الحاكمين من الخدمة الوطنية ولكن العجب العجاب رواج دعواهم خدمة للدين الذى هم به جاهلون وعن صراطه ناكبون . وقد ملأ الآفاق هذه الأيام صياح بعض الجرائد التى تسمى نفسها اسلامية من الشكوى من صاحب المؤيد والنيل من عرضه والطعن به والتحريض على ترك جريدته لأنه عقد عقدا شرعيا قابلا للفسخ بطلب الولى على عدم اثبات كفاءته ، اذا كانوا يغارون على الدين كما يزعموا فلماذا لا يتعلمون عقائده وأحكامه . ولماذا يمدحون الأعمال المجمع على تحريمها وكفر مستحلها كالمرقص الذى يكون فى قصر الأمير بين النساء والرجال مع الدعوة الى شرب الخمر جهارا وما قام به زعيمهم صاحب جريدة اللواء يندد بعمل محافظ مصر السابق عندما اراد التشديد على النساء المتهتكات فى الشوارع والأسواق وتبعه كثير من الجرائد » .

ولكن السيد رشيد رضا بالرغم من حملته على اللواء ومصطفى كامل فانه عندما توفى رثاه فى تقدير شديد (م ٦٠/١١) فقال :

أندى الصحفيين المصريين صوتا وأبعدهم فى عالم السياسة حقيقة وأشدهم فى دهماء بلده تأثيرا وأكبرهم وليا ونصيرا ، قضى عن أربعة وثلاثين

ربيعها تقضى نصفها في السياسة ونصف هذا النصف في الصحافية بإذلا مما أخذ فيه جميع أوقاته ومفرغا فيه منتهى وجدانه وشعوره . وقد أعجبه في اللواء جمهور القارئين ثم تعصبت له نابتة كبيرة من المتعلمين بل عشقته بعض طلاب الحقوق عشقا وملك قلوبهم ملكا فظهر أثر تحزبها في تشييع جنازته بمظهر غريب ما رؤى مثله من نسيب أو قريب . كان مصطفى كامل هو المجلى في هذا الطور من أطوار التجلى ثم صار داعية النابتة الى هذه الوطنية وهاديها أو سائقها وجاريها ، رأيت الدعوة موجهة الى جعل الوطنية جنسية المسلمين فأنكرتها في المنار بالبرهان المتين وأكثرت من الكتابة فيها حتى في تفسير القرآن . وانتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب ان في مصر من يسعى لها سعيها وبينت له وجه الضرر في ذلك الارجاف فكبر عليه وقطع المبادلة الصحفية ، وانحى علينا بعد ذلك كثيرا لما كان عليه عفا الله عنه من الشدة على من خالفه ولو مهضوما ونصر من وافقه ظالما كان أو مظلوما وكان الأولى من أسباب انتشار اللواء كالمبالغة في ذم المحتلين وانتقاد الحكومة ومدح الأمة وتحامى الانتقاد عليها والتنويه بالاستقلال والتعجل بطلب محو الاحتلال . (م ١١/٦٠) ومن مواقفه خطبة مصطفى كامل في تمجيد محمد على بعد انتقد المنار أعماله (م ٥/٢٣٢) .

— ٣ —

وكان خلاف المنار مع جريدة السياسة قائما على الخلاف في وجهة النظر الاجتماعية وفي موقف السياسة من التغريب وتأييدها أفكار التغزو وضمها مجموعة المعارضين للفكرة الاسلامية أمثال طه حسين وعلى عبد الرازق ومحمود عزمي وحربهم الشديدة الدائمة للاسلام . يقول صاحب المنار : « ان بين المنار والسياسة خلافا أهم مما كان بين حزبها وحزب الوفد المصرى وهو ان المنار داعية الدين الاسلامى والمدافع عنه والسياسة تقوم بدعاية الحادية تريد أن تنسخ بها هداية الاسلام وتقطع الرابطتين الاسلامية والعربية بما تعبر عنه بالثقافة المصرية والتمدين وما كتب عن مسائل شخصية مختلفة كزعمها أن صاحب المنار ليس له دين ولا عقيدة ولا مذهب فتارة يكون مسلما سنيا أو شيعيا أو وهابيا وتارة بوذيا أو برهميا وتارة ملحدا وما أشبه ذلك ، ولعل جريدة السياسة تريد

ان تستدرجنا بهذا الى منازلتها فى هـذا الميدان الذى تعلم علم اليقين اننا لسنا من فرسانه وان جميع فرسانه المهزومين ينهزمون أمامها فيه ، ان الجرائد البذيئة فى هذا العصر ، قد بذت الشعراء الهجائيين فى العصور الخالية فيجب الاعراض عنها ، لابد للأحزاب من جرائد تنشر دعوتها وتحمي حماها ، ولو بالطعن الشخصى فى خصومها كما كانت القبائل تختار لها شاعرا هجاء يدافع عنها اذا هجيت يلقب بسفيه القوم وكان خصوم القبيلة يهجونها فى حملتها دون سفيهها ولو كانت السياسة ترد على ما تنشره من تفنيد بعض نشرياتها الالحادية عملا بحرية الراى والنشر التى تدافع به عن الكتب الالحادية ككتب على عبد الرازق وطه حسين وتعترف لنا بمثل هـذه الحرية ... » .

ويشير السيد رشيد رضا فى عنوان : « لابد من قتل صاحب المنار » الى ما بلغه من الدكتور هيكل (لسان حال الحزب الحر الدستوري وحزب الملاحـدة) قد قرر لمرءوسيه محررى جريدة السياسة لأنه لابد من قتل صاحب المنار وقد وافقوه وهم يعنون بهـذا القتل أن يكون بأسنة أقلامهم الطعانة ، القتل المعنوى أو الأدبى ، اتهمته جريدة السياسة من قبل أنه يعمل مع جمعية سرية دينية سياسية باغراء الأمير عباس حلمى الخديو السابق ، وكذبت الحكومة هـذه التهمة ، وكان ذنب صاحب المنار لدى جريدة السياسة انكاره علامتها المحقق على عبد الرازق الذى أنكر التشريع الاسلامى من أساسه يضاعف ذنوب صاحب المنار من هـذا النوع فهو بالمرصاد لجميع أنواع الدعاية الالحادية التى تبثها جريدة السياسة باسم التجديد والثقافة العصرية التي تزعم أن مصر بدعايتها وبعناية مدرسة الجامعة المصرية ستنسخ بها ثقافة الاسلام التى مصدرها الأزهر وغيره وتحل محلها وتتبعها فى ذلك سائر العرب بزعمها ، يقولون اننا قتلناه نصف قتلة بما كتبناه فى مسألة مؤتمر الخلافة كما قتلنا الأزهر نفسه وهو الآن مثخن جراحا وسنقضى عليه ببضع مقالات أخرى ، وما قتلوا ولن يقتلوا الا حزبهم وأنفسهم وسنقضي بحول الله وقوته على اباطيلهم (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) . (أبريل ١٩٢٧) .

وكان للمنار موقفه أيضا مع مجلة الحديث الحلبية وصاحبها سامى الكيالى فى مواقفه التغريبية (م ٢٨) يسوؤنا أن هـذه المجلات أضر على

الأمة من بعض الجرائد السياسية التى تخدم الأجانب الغزاة باستعبادها واستعمار بلادها وتمهد لهم السبيل لذلك ، وانها تعمل على تقطيع الروابط التى توحد جمعها وتجمع كلمتها من دين ولغة وأدب وتشريع وهو ما نعبر عنه بمقوماتها ومن عادات وأزياء وهو ما نعبر عنه بمشخصاتها ، ذلك مثل بعض محررى جريدة السياسة أو مجلة الهلال بمصر (كسلامة موسى وطه حسين ومحمود عزمى) المنتحلين لأنفسهم صفة تجديد الثقافة ، واننا نرى مجلة الحديث السورية معجبة بهؤلاء منوهة بآرائهم مثنية عليهم ، فان كان محررها غير مقلد لهؤلاء فلماذا لا يفتأ ينوه بهم بما يغرى قراء مجلته باتباع خطتهم وهو ما يسمونه الثقافة الجديدة التى يحكمونها فى كل ما أشرنا اليه من مقومات الأمة ومشخصاتها وبذلك كانوا دعاة هدم وافساد فيها ، هم عاقون لأمتهم هادمون لهدايتها وتشريعها وآدابها بل ساعون لابتلاع الافرنج لها ومنهم المستخدمون لذلك وهم يوهمون الناس فى هذه الأيام أنهم مبدعو هذه الدعوة فى بلادهم وليس كذلك بل ابتدعها فى مصر الخديو اسماعيل اغترارا بزينتها وشهواتها فهو أول من أراد أن يجعل مصر أوربية وله فى ذلك كلمة مشهورة فكان أول عثرة منها خبأها فقد ملكه ، أما جده محمد على فانما أخذ عن أوربا أسباب الثروة فى صناعة وزراعة وأسباب القوة ، وهو الواجب على كل شعب شرقى يملك أفريقية دون تقليد القردة فى الآراء والزينة والعادات وحرية الفسق والفجور والكفر التى يدعو اليها منتحلو الثقافة الجديدة » .

— ٣ —

وكان للسيد رشيد رضا موقفه من جمعية الرابطة الشرقية ومجلتها (م ٢٩/٦١٩) فقد أخذ عليها وجهتها التغريبية من أول عدد منها حيث صدرت باشراف على عبد الرازق وتنويهها بكتابات طه حسين وسلامة موسى قال : صدر العدد الأول فاذا هى مجلة لا دينية تؤيد ما يسميه ملاحدة العصر بالتجديد اللادينى وتحرير المرأة المسلمة وتدافع عن الترك والفرس والأفغان فيما يحاولونه من تجديد بهدم الاسلام على احتراس قليل فى التعبير ، هو أقرب الى الدفاع عن مصطفى كمال وامان الله خان منه الى الهجوم عليهما . وأشار الى بحث طه حسين « الذى اشتهر بالطعن فى الاسلام وتكذيب القرآن » وخلاصة بحثه الجهلى السخيف فى ضمير الغائب واستعمال اسم الاشارة فى القرآن الكريم وأشار الى بحث سلامة

موسى « عدو الرابطة الشرقية من وطنية وجنسية ولغوية وداعية الكفر والوقاحة والتهتك اللذين يعبر عنهما بالأدب المكشـــوف » وكذلك الدكتور هيكل داعية الثقافة الأوربية وتنويه مجلة الرابطة بالحاد الكماليين وخداع طه حسين للأزهريين بترك الدنيا للملحدين ودعاية سلامة موسى الى الالحاد وهــدم الاســلام .

— ٤ —

ومن أخطر معاركه فى هــذا المجال معركته مع مجلة الأزهر التى اصدرها الأزهر ١٩٣٠ ومن أبرز ما اخذه عليها معارضته لكتابات الشيخ يوسف الدجوى « ففى مكتوباته ما يدعو الى العجب فى مخالفــة اجماع السلف الصالح فى الاتباع وتأييد الخلف الطامح فى الابتداع واقرار ما أفسد على الخرافيين دينهم وآدابهم من عبادة القبور بالدعاء والاستعانة والتضرع والنذور لها والطواف بها كالكعبة واستلام ركنها وتقبيلها كالحجر الأسود » .

واخذ على مجلة الأزهر سكوتها عن أمور المسلمين فى بعض البلاد الاسلامية ، وقد توقفت عنه المجلة بحجة أنه من أعمال السياسة وهى مجلة دينية رسمية ، واقترح عليها أمرين : أحدهما الدفاع عن الاسلام والمسلمين بصد كل من يهاجمها فى هذا العصر بالحجة والارشاد الى العمل الذى يكشف الغمة ويجمع الكلمة والثانى الدقة فى اختيــار كل ما ينشر فى المجــلة من الأحاديث والآثار اذ أن أكثر علماء الأزهر ينقلون الأحاديث من كتبهم دون الرجوع فى تخريجها الي دواوين السنة المعتمــدة حتى اشتهروا باهمال علم السنة .

وقد دخل السيد رشــيد رضــا فى مساجلات واسعة مع الأستاذ « الخضر حسين » رئيس تحرير المجلة وكتب فصــولا مطولة عن نفسه وعن المنار جمعها بعد فى كتاب تحت عنوان « المنار والأزهر » .

— ٥ —

وقد أشار السيد رشيد رضا الى أنه وضــع نموذجا لمجلة الأزهر قبل صدورها على هــذا النحو : (هــذا النموذج ما زال يحتذى ويمكن الانتفاع به الى اليوم) .

الباب الأول : مقالات دينية وعلمية وتاريخية وخطابية ، الغرض منها

بيان حقيقة الاسلام وأحكامه واصلاح لشئون البشر الشخصية والقومية ، والوطنية والسياسية ورفع مستوى الانسان وتوحيد مقومات الامم وبيان حاجة البشر الى اصلاحه فى كل زمان ومكان ولاسيما فى هذا الزمان الذي طغت فيه الأخطار المادية على الأمم فأفسدت آدابها وعلى الدول فحصرت كل منها هما فى الاستعداد للوثوب على التى تأنس فيها الضعف .

الباب الثانى : الفتاوى العامة : فيما يتعلق بالاسلام وآدابه وأحكامه وتشريعه وسياسته .

الباب الثالث : كشف الشبهات وحل عقد المشكلات التي تعرض لطلاب العلوم وغيرهم بالاطلاع على كتب العلوم والفلسفة والأديان المختلفة وما يورده الملاحدة الماديون ودعاة النصرانية وغيرها من الطعن فى الاسلام ، ومقاومة تيار الالحاد الذي انتشر .

الباب الرابع : باب البدع والخرافات وانتقاد الضار من العادات ويسمى باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعتمد فيه على كتاب الملل والنحل والاعتصام .

الباب الخامس : باب التربية والتعلم : التربية الدينية والجسمية والعقلية والنفسية :

العقلية : تربية ملكة الاستقلال فى الفهم وحرية البحث .

النفسية : تهذيب الأخلاق وتربية ملكات الفضائل وتربية الارادة التى عليها المدار الأعظم فى النهوض بالأعمال وتربية الخيال بالأساليب المصورة للمعانى الخطابية والشعرية ومواضع التربية فأولها البيوت ثم المدارس فالجمعيات .

الباب السادس : آداب اللغة العربية وتاريخها .

الباب السابع : الاقتباس والانتقاد وتقريظ الصحف والكتب والمجلات (وما ينشر فى الصحف الغربية من مباحث هامة والرد على المباحث الباطلة)

والقاعدة هى الاجتهاد فيما ليس فيه نص قطعى من وحى ربهم ولا سنة ماضية من سنن نبيهم بشروطه المعروفة فى محلها فان الاجتهاد مع وجود النص ممنوع فى الشرع وفي القوانين الوضعية جميعها .

الفصل الثامن

الجمعيات الاسلامية

كان مقصد انشاء الجمعيات الاسلامية من اكبر اهداف حركة الاصلاح باعتبارها المنطلق الحقيقى لتوجيه النفوس الى فهم الاسلام فهما صحيحا ، ولذلك دعت المنار منذ اليوم الأول الى انشاء الجمعيات الاسلامية وعقدت فصولا مطولة عن الجمعيات الدينية فى الشرق واشار الى الجمعية الخلدونية فى تونس والى جمعية شمس الاسلام والجمعية الخيرية الاسلامية فى مصر ، والى ندوة العلماء فى الهند بوصفها منطلقات جديدة فى مواجهة جمعيات الشباب المسيحية التى نشرها التبشير فى أغلب بلاد الشرق ، وقد اشار المنار فى تقدير بالغ الى نشوء ثلاث جمعيات فى القاهرة هى جمعية مكارم الاسلام وجمعية التعليم الاسلامى وجمعية النهضة الأدبية ، وقال ان بعضها انشأ مدارس جعل التربية والتعليم فيها على منهج الدين وسننه القويم كما انشئت مدرسة أخرى لتعليم البنات .

وقال : انه يسر كل مسلم وكل انسان يحب الفضائل ويرقى أبناء نوعه ما تقوم به جمعية شمس الاسلام وجمعية مكارم الأخلاق من النهوض والانتشار وبرزت اسماء محمد نور مؤسس المدرسة التحضيرية وتلامذتها ثلاثمائة ونيف وقد جعل التربية والتعليم على منهاج الدين وسننه القويمة مع عدم الاخلال بمناهج المدارس الأميرية ، وقد ساء هذا النجاح الباهر أعداء الاسلام من المارقين والحكام فحاولوا اطفاء نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . وأشاع أصحاب الجرائد الضالة أن الجمعية لا ترضى الحضرة السلطانية وما قيل كذب ، اما جمعية مكارم الأخلاق فقد كان راعيها الأستاذ زكى سند مشعلا متوقدا وكذلك اشاروا الى على أبو النور الحربى وخطابه المؤثر فى تهذيب الانسان وتربية الأبناء .

انتهى القسم الأول عن (مجلة المنار)

القسم الثانى عن (مجلة الفتح) يصدر قريبا

آفاق البحـــث

صفحة

رقم الايداع ٨٣/٣١٩٢

دار عطـــوه للطبـــاعة